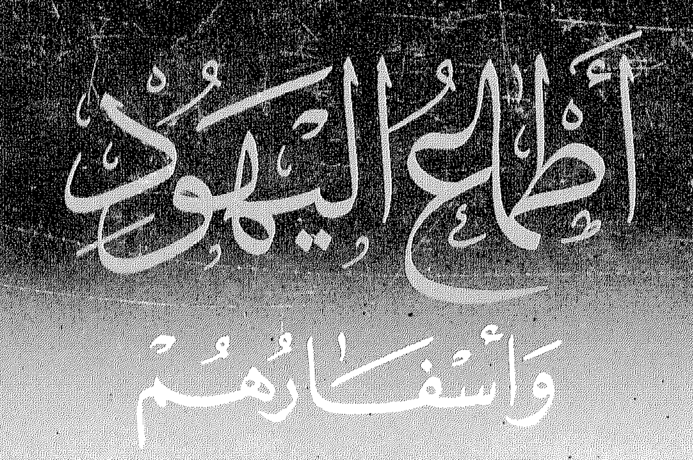


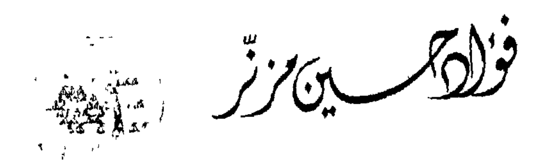
أطماع اليهود وأسفارهم

فؤاد حسين مزنّر

أطماع اليهود

وأسفارهم

أطماع اليهود
وأسفارهم



دار الكتب الثقافية
ص.ب ٧٧٧٨ - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن الكثير من المستشرقين الذي الفوّا وكتبوا عن اليهود في علاقاتهم مع العرب، لم يكملّوا جهودهم بتناول كافة المواضيع التي تكشف كافة الجوانب الموضوعية التي تعيشها أمتنا في عصرنا هذا.

مما حدا بي أن هممت باعتمادي أقوى المصادر والمراجع في شكل يسمح بتسليط الضوء المنير على إعتبارات وحقائق يلتمس منها كل عربي كيفية هذه العلاقة منذ أن سقطت القدس بيد الرومان وأبعدت القبائل اليهودية وتوزعت على الجزيرة العربية. وما نكثت من العهود والمواثيق مع الأمة الإسلامية سعياً لتفنيد وحدانيتهم دون سائر الأمم.

فاعتمدنا الشمولية والموضوعية باحثين ومنقبين ومحلّلين لجميع المعلومات، محاورين ومناقشين آراء المستشرقين والرد عليها قياماً بواجبنا كمسلمين وعرب، الأمر الذي يجب أن يجري عليه كلٌ في اتجاهه المقصود والذي يصبّ أخيراً في كشف تحريف الصهيونية لنشأتها وصراعاتها، كحقيقة نقدمها بيِّنة تاريخية علّنا نضع فيها النقاط على الحروف.

فالإسلام قد إحترم الدين اليهودي، كمرسل سماوي أوحى به الله إلى موسى (ع) ليخرج بني إسرائيل من الظلمات إلى النور. لكن بني إسرائيل لم يقيموا

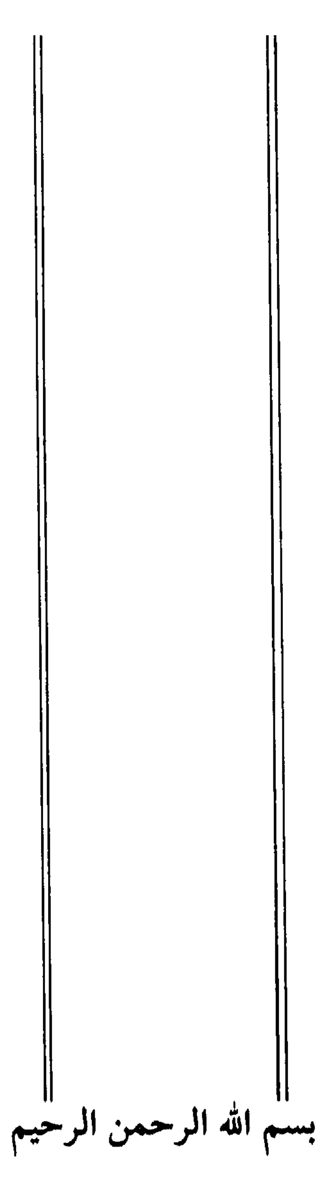
تعاليمهم عليه؛ مما حدا بالقرآن الكريم على ذمّهم؛ كما أدينوا من قبل التوراة والإنجيل، وسجل الله عليهم ذلك بإثارتهم الفتن بين القبائل العربية ورميهم لنار الحرب «بيوم بعاث» بسعيهم للإستيلاء على يثرب مهجّر النبي الكريم.

وقد استفادت اليهود من معاني القبول والسماحة عند العرب لاستعلائهم الأناني الذي حصّنوافيه الحصون والقلاع واعدّوا العدة الماكرة لقتال المسلمين.

لهذا كله، أثبتنا في دراستنا الخطّة المنظّمة في توضيح جذور الصراع العربي - اليهودي منذ أن لجأت البطون «المتعنصرّة» في بداية وجودهم مع جيرانهم، والتماس أمنهم الذي سخّروه مكيدة أتت على رأسهم صاعقة على يد رسول الله (ﷺ).

فهذه المنهجية، إعتمدت على الإسلوب العلمي الدقيق والموقف التاريخي الحريص فقد لمّ كل شاردة وواردة تثبت مدى إرتكاب اليهود الخيانة بحق العرب، علنا نقدم حصيلة موضوعية شاملة تكون كشافاً لمطامع اسرائيل ونواياها العدوانية التوسعية في المناطق العربية.

فؤاد مزنر



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار
يحمل أسفاراً﴾

سورة الجمعة: ٥

إهداء

إلى العرب،
كل العرب دون إستثناء

المؤلف

* مهاجر العبرانيين
(نظرة تاريخية)

كانت فلسطين محور تحرك العبرانيين في تواجدهم؛ فهي نقطة مسار شعوب مناطق النيل من جهة ودجلة والفرات من جهة أخرى حيث اتصلت بحضارات مصر وبابل ومرتفعات آسيا الصغرى في الجزيرة العربية، الطريق إلى الحضارة وملتقى التجارة عامة والحرب والأديان[1].

فلخصوبة أراضي الجزيرة حدثٌ خاص في تكوين الحضارة المشتركة في بلاد ما بين النهرين لشعوب المنطقة. كان ذلك حوالي الألف الثالث قبل الميلاد. وقد مثل هذه الحضارة: السومريون، الأكاديون، الكلدانيون، البابليون، والأشوريون ويليهم الفرس.

وكانت مصر إحدى مهاجر العبرانيين، بعد أن إستولى الرعاة الهكسوس على الحكم من الفراعنة، في الألف الثاني قبل الميلاد.

عليه، كان لموقع فلسطين الأهمية القصوى في الصراع، لم كانت عليه في بروزها بين حدودها لمصر وبلاد ما بين النهرين. فمصر حكمتها مئات السنين، وقد ذكر المؤرخ بريستد في أن آشور والكلدان والفرس تسلطوا عليها لفترة طويلة حتى أصبحت بيد العبرانيين.

وقد شبّه الأقدمون فلسطين وكأنها حجري رحى لم تظهر فيها دولة قوية كغيرها من دول العصور القديمة.

---

(١) Encylapedia Britanica vol 12 p. 1055 By Asociety of gentlemen in scotland.

عرفت فلسطين منسوبة إلى الكنعـانين بـ «أرض كنعان» وهي تسميـة إلى سكانها الفلسطينيين الأقدمين الذين أتوا من جزيرة كريت في حوالي الألف الثاني قبل الميلاد وسكنوا أول ما سكنـوا الساحـل الفلسطيني[1]. كـذلك أطلق على الأرض الفلسطينية «أرض الميعاد» في كتاب اليهود وهي «التوراة».

أمّا المسلمون والنصارى فقد عرفوها بـ «الأرض المقدسة». وفي ذكر هذا التاريخ نورد أن الحثيون سكنوا في جنوب فلسـطين، واليبوسيـون في القدس، والفينيقيون في الشمال بجوار الكنعانيين.

وقد روى سفر التكوين في قصة النبي إبراهيم (ع) أن أرض كنعان هي شيء من التناقض والغموض، فالإصحاح الحادي عشر شـرح فكرة النـزوح إلى والد ابراهيم (ع) من أور الكلدانيين وقـد اصطحب معه ولده ابراهيم (ع) وزوجه ساره ولوط (ع) إبن أخ إبراهيم (ع) واتجهوا نحو حرّان.

بينما الإصحاح الثاني عشر قد روى أن الرب قال لإبراهيم (ع): «إنطلق من عشيرتك وبيت أبيك ألى الأرض التي أريك». وفيه أكّد ذلك الإصحاح الخامس عشر من السفر ذاته، كما نهج عليه الإصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع.

وعلى هذا يكون منشأ إبراهيم (ع) في أور الكلدانية العراقيـة التي أثبتت حفرياتها وجودها في تلك الآونـة، وكان نزوحه مع بني قومه من أور إلى فلسطين حوالي الألفي سنة قبل الميلاد بسبب الخلافات في المعتقدات بينه وبين قومه عبدة الأصنام. فهم تآمروا عليه وعزموا على قتله حرقاً فأنجاه الله والقصة معروفة في القرآن الكريم. مما جعله يهاجر إلى بلاد الشام. وأرض كنعان. كمـــا أكّد القرآن الكريم أيضاً اختيار الله لإبراهيم نبياً[2].

---

(١) The Encyclopedia Americana. jeffeson charles . p.61

(٢) القرآن الكريم ـ سور: الأنعام، مريم، الأنبياء، الشعراء وغيرها.

وفي هذا ذكر الدكتور يوسف العش [١]: أن الحفريات الأثرية التي كشفت عنها الدراسات العلمية من قبل ليونارد ولي في دراسته التاريخية في مناطق شمال الجزيرة السورية إلى وضع الكلدانيين؛ وأن شخصية إبراهيم (ع) هي حقيقة وليست رمزية. وإكّد أن إبراهيم رفض عبادة الأوثان وبحث عن إله يعبده فأوحي إليه بذلك.

سُمّي إبراهيم ومرافقيه بعد أن وصلوا نابلس «شكيم» العبرانيين إما لعبورهم نهر الفرات أو تيمناً بنسب إبراهيم لجده «عبر». وفي هذا نصّ ولفنسون[٢] في إستشراقه: أنهم سمّيوا عبريين لأنهم بدو رُحّل متجولون يعبرون من وادٍ إلى واد إلى أن استقروا في أرض كنعان وقد نفروا من كلمة «عبري» إذ تذكرّهم بحياتهم البدائية.

وفي معرض قول للدكتور أحمد شلبي [٣] هو أن الوافدين الجدد كانوا على صفة إنعزالية على غير السكان الأصليين من الكنعانيين والفلسطينين كونهم قد رفضوا عبادة الأصنام إسوة بغيرهم من الأقدمين. فالسبب الحقيقي لهذا هو أن العبرانيين كانوا بدواً لا ثقافة لهم، فأصبحت تقليداً يهودياً ولنتهم تتطرق إلى الآرامية.

جدبت أرض كنعان، فكانت السبب الأول الداعي لرحيل النبي إبراهيم (ع) وعائلته بإتجاه جنوب البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فلقيوا الزرع والأراض الخصبة.

في ذلك الوقت كانت مصر في عهدة حكم الهكسوس من شعوب آسيا.

لم تطل إقامة إبراهيم (ع) في مصر فعاد إلى أرض كنعان، وقد زادت أنعامه

---

(١) د. يوسف العش - تاريخ الفرق والأديان - ص ٢.

(٢) إسرائيل ولفنسون - اليهود في بلاد العرب - ص ١٤.

(٣) أحمد شلبي - مقارنة الأديان/ اليهودية/ ص ٣٣.

من المواشي. وفي تلك الرحلة أهديت «هاجر» الجارية المصريةإلى «سارة» فتزوجها إبراهيم (ع)، إذ أن زوجه ساره لم تكن لتنجب حينها[1].

رزق الله إبراهيم (ع) من هاجر إسماعيل «أبو العرب المستعربة» أول ابنائه. وبهذا فقد حقق الله وعده لإبراهيم «الأرض لنسله من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات»[2] في إسماعيل لنسله من العرب المسلمين.

وبعد أربعة عشر سنة من مولد إسماعيل من هاجر، أولدت سارة إسحق من إبراهيم (ع) الذي توفي ودفن في الخليل تاركاً ولديه إسماعيل في الحجاز وإسحاق بأرض كنعان.

وولد لإسحاق بن إبراهيم ولدين هما عيسو ويعقوب المسمّى «إسرائيل الله» وينسب إليه بنو إسرائيل.

تزوج يعقوب من ابنتي خاله «ليئة وراحيل» حسب وصية أبيه إسحق ثم تزوج أيضاً بجاريتهما. [3]

ولد يعقوب من زوجتيه وجاريتهما إثنا عشر إبناً هم: رأوبين، شمعون، لاوى، يهوذا، بساكر، زبولون (من لئية). ويوسف وبنيامين من «راحيل». وجاد واستير من «زلفى الجارية» ودان ونفتالي من «بلهة الجارية».

وقد ذكر من أبناء يعقوب «يهوذا» وهو السبط الرابع من ليئة، وهو اسم اليهودي الأصلي «يهوذا» سميوا به تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سميوا اسرائيل. وتشتت الأسباط وأسر يهوذا ودعي نسله بإسمه يهوداً[4].

لقد حظي إبنا راحيل (يوسف وبنيامين) بعطف أبيهما يعقوب أكثر من بقية

---

(١) تاريخ الطبري ـ ج ١ ـ ص ٣٠٩.
(٢) سفر التكوين ـ الإصحاح ١٥.
(٣) الإصحاح من ص ٢٨ ـ ٣٢.
(٤) قاموس الكتاب المقدس (٢) ـ ص ٥٢٧.

أخوتهم مما حدا ببقية أخوتهم لتدبير المؤامرة بحق النبي يوسف (ع). وقد ورد البيان بهذا في القرآن الكريم[1] وسفر التكوين[2]. والتقت الرواية في القرآن الكريم والتوراة إلّا من بعض الحثيثيات. فهناك مماثلة في كيد الأخوة ليوسف ورحلة القافلة إلى مصر. وتأرخت هذه القصة بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد. زمنها كانت مصر تحت حكم الرعاة الهكسوس.

ذكر دروزه: أن أوراق البردى المحفوظة في متحف «ليدن» والمذكور فيها من القصة قد طابق للإصحاح الأول من سفر الخروج من تسخيربني إسرائيل في أعمال البناء والطين، فهي تؤيد وجود بني إسرائيل «العبريين» في مصر في عهد رمسيس الثاني، كما يؤيده ويؤيد واقع خروجهم من مصر وعودتهم إلى فلسطين ثانية»[3].

سكن بني إسرائيل في المنطقة الشرقية شمال بلدة «بلبيس» من مصر المكان المختار لهم من قبلهم. وكان عددهم لا يتجاوز السبعين[4].

في تلك الحقبة من التاريخ نجح أمراء طيبة المصريون في التغلب على الهكسوس[5] فطردهم أحمس خارج البلاد ولم يلتفت أحمس لبني إسرائيل لإنشغاله بالأمور الكبرى وتنظيم أمور الدولة الداخلية. بعدها شعر بني إسرائيل بالشعور العدائي لهم زمن رعمسيس الثاني وخشوا التآمر ضده. وقد قرأت على إحدى عمارات طيبة التي أنشأها مفتاح الأول انشودة ذكرت فيها نكبة بني إسرائيل بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصري[6].

فبعد كشف نواياهم العدائية، عمل بني إسرائيل في الأشغال الشاقة إذلالاً

(١) سورة يوسف.
(٢) الأصحاحات ٣٨ ـ ٥٠.
(٣) محمد عزت دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ـ ص ٣٥.
(٤) سفر العدد ـ الإصحاح الأول.
(٥) صابر طعمة ـ الصهيونية في التاريخ ص ١٤.
(٦) د. أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان/ اليهودية ح ٣٩.

لهم، مما حدا بهم التفكير في النزوح من مصر. وبالفعل فقد تمّ ذلك في عهد النبي موسى (ع).

والجدير ذكره أن النبي موسى (ع) هو مصري التربية، اسرائيلي العواطف، وقد ذاق العذاب مع بني قومه، حتى أنه إذا رأى مصـــرياً يضرب إسرائيلياً كان يضرب المصري فيقتله[1]. مما اضطره إلى الهروب حتى وصل الى «مدين» في جنوب الأردن وتزوج هناك بإبنة شيخ.[2]

وفي قصة عودته إلى مصر، فقد عبر النبي موسى (ع) سيناء حيث أوحى الله إليه وأمره بعبادته وأرسله إلى فرعون في أمرين:

الأول منهما: في «العصا» ـ وقصتها في القرآن الكريم وفيها كيف أن الله سبحانه قد جعله يقاوم أفعال السحرة في شعوذتهم.

وثانيهما: دعوة فرعون إلى عبادة الله وقد شدّ عضده بأخيه هارون الموجود آنذاك في مصر.[3]

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن موسى وهارون ذهبا ألى فرعون وأبلغاه أمر الله بأن يبعث معهما بني إسرائيل، وحصلت معجزة «العصا» وتكذيب الفرعـون لموسى وعداءه له وجوره على بني إسرائيل[4].

وخـرج موسى (ع) وبني إسـرائيل بعـد أن أنجاهم الله من خبث فـرعون وعسكره وساروا في صحراء سيناء. وقد وصف سفر الخروج وسفر العدد أن حوالي ٢٥٠ ألف[5] خرجوا مع موسى.

---

(١) بريستد. جيمس هنري، تاريخ مصر منذ أقدم العصور ـ ص ٤٠٦.
(٢) تاريخ الطبري، ج ١ ص ٣٩١.
(٣) تاريخ الطبري، ج ١ـ ص ٣٩٥.
(٤) تاريخ ابن خلدون ـ مجلد ٢ـ قسم ١ ـ ص ١٥٥. وتاريخ الطبري ج ١ص ٤١٦.
(٥) هذا الرقم مبالغ فيه على الظن.

رحلة سيناء وما جاء فيها من الحوادث:

إمتثل موسى لربه وصعد إلى جبل طور ومكث هناك ليلة تلقّى خلالها وصايا وتعليمات الله التي سيسير عليها شعبه. وهذه الفعلة كانت متشعبة لتأصيل الوثنية في نفوس بني إسرائيل بسبب مجاورتهم الطويلة للمصريين.

ففي هذه الأثناء إنتهز «السامرائي» ـ ذكره القرآن الكريم ـ فرصة غياب النبي موسى (ع) ووضع عجلاً قوامه الحليّ والمصاغ له خوارٌ مصطنع عبده بني إسرائيل بالرغم من نواهي هارون في عدم الإصغاء لتدجيل السامرائي. فكان عقابهم أن سلّط الله بعضهم على بعض[1].

وعليه إنقسمت اليهودية وأعملت السيف في رقاب بعضها، وخرج اليهود على مواثيقهم وعهدهم لموسى. واتهموا هارون بأنه دعاهم لعبادة العجل ـ ذكره سفر الخروج من كتاب التوراة ـ.

وفي رحلة سيناء إشتد العطش على بني إسرائيل، فشكوا أمرهم إلى موسى، فضرب الحجر بعصاه فتفجرت العيون ماءًا. كذلك ساق الله لهم الغمام حين إشتدّ الحرّ، كما أنزل عليهم المن والسلوى عندما نقص زادهم[2].

لكنهم وعلى عاداتهم، بقي اليهود متذمرين، يتهكمون على موسى بقولهم «ليتنا متنا بأرض الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا الفقر لكي تميتا كل هذه الجموع بالجوع»[3].

وفي نهاية المطاف، واقتراب النبي موسى (ع) من الأرض المقدسة (فلسطين) أرسل كشافين يستطلعوا أمر المدينة ووضعها، فعاد الكشّافون قائلين عنها أنها أرض اللبن والعسل لكنها محميّة ورجالها أقوياء جداً لا يقدرون عليهم،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ المجلد ٢ـ ص ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٠.

(٣) سفر الخروج ـ الإحجاج ١٦.

فخرج إثنين من بني إسرائيل أحدهما يوشع بن نون وقال عكس القوم، مما جعل موسى يأمر بالدخول إلى فلسطين. فخاف بني إسرائيل وقالوا: «يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها»[1]. وتمردوا على موسى؛ فكان عقاب الله لهم أن حرمهم دخول فلسطين لمدة أربعين عام.

وفي هذا العقاب؛ ذكر ابن خلدون[2] بأن لا يدخل الأرض المقدسة أحد من ذلك الجيل وإنما يدخلها أبناؤهم.

وأغلب الظن أن هذا التحريم قد جاء هدفاً لإنتهاء جيل العبودية والذل في مصر.

---

(١) سفر العدد ـ الإصحاح ١٣ـ وسورة المائدة: ٢٠ـ ٢٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون/ مجلد ٢ ـ القسم الأول ـ ص ١٦٢.

* وفاة النبي موسى (ع) وغزو يوشع بن نون بلاد فلسطين

رضوخاً لحكم الله تعالى في تحريم دخول قوم موسى فلسطين، ففي نهاية السنة الأخيرة من هذه الأربعين؛ حاول موسى (ع) دخول فلسطين من الجهة الجنوبية، لكنه لقي مقاومة عنيفة أحالته عن نجاحه، مما إضطره بالتوجه شرقاً نحو بلاد آدوم وسار ببني إسرائيل نحو وادي الحسا فالموجب؛ وهنالك توفي موسى (ع) وهارون.

فاستلم يوشع بن نون «فتى موسى»(1) قيادة بني إسرائيل، فزحف نحو الشمال. واشرف على فلسطين لجهة نهر الأردن من الشرق، وكانت غايته إبادة شعب فلسطين. وهذا ما ذكره سفر التثنية: «إذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي لترثها، استئصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجانيين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر وأسلمهم الرب إلهك واضربهم فأبسلهم إبسالاً، لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، تعملون بهم هكذا تهدمون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون أشجارهم وتحرقون تماثيلهم بالنار».

على رغم المجابهة التي تعرض لها يوشع بن نون من الكنعانيين، فقد إستطاع أن يحتل مدن وقرى كثيرة. لكنه لم يقدر على اقتحام المناطق الساحلية حيث كان

---

(1) اليهود والأديان ـ ص ٣٢٢ـ ومحاضرة رقم ١١ ـ الشيخ «السابق»: القيت بتاريخ ٧٣/٤/١٢ في محاضرات الموسم الثقافي لعام ٧٢ـ أبو ظبي.

الساحل الجنوبي بيد الفلسطينيين، والساحل الشمالي بيد الكنعانيين. وفي هذا انحصر إحتلال بني إسرائيل في زمن يوشع في المناطق الداخلية فقط.

فقد عبر يوشع بن نون نهر الأردن إلى أريحا التي قتلوا أهلها وحرقوا مبانيها ونهبوها[1]. وفي هذا علق ديوارنت على هذا النوع من الهمجية لبني إسرائيل فقال: «أمّا يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذي يقول أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً، ولهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر للعواطف فيها إستولى اليهود على الأرض الموعودة»[2].

وفي هذا «الإحتلال»، تداورت حياة بني آسرائيل فأتت على الوجه الآتي[3]: (عهود انتهت بزوال ملك إسرائيل).

١ ـ عهد القضاة: الشيوخ.

٢ ـ عهد الملوك.

٣ ـ عهد الإنقسام وزوال ملك بني إسرائيل من فلسطين.

١ ـ أولاً عهد القضاة:

أتى هذا العهد ما بين الفترة الواقعة بين يوشع وطالوت الذي عرف بعهد «الشيوخ» الذين كانوا من الكهنة يُنتخبون من كبار الشعب حكّاماً لبني إسرائيل. وقد ذكر منهم «جدعون»[4] الذي انتصر على «المديانيين» و «وشمشون» الذي أشتهر بحربه مع الفلسطينين وإنتهى الأمر بقتله[5] «ودبّورة» امرأة إشتهرت بقتالها مع الكنعانيين وصموئيل آخرهم وأشهرهم الذي عيّن لهم شاؤل ملكاً وتوجّه على

---

(١) سفر يشوع ـ الإصحاح ٦.

(٢) ول ديوارنت ـ قصة الحضارة ج ٢ـ ص ٣٢٧.

(٣) أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان/ اليهودية/ ص ٥١.

(٤) سفر القضاة ـ الإصحاح ٧ـ ٨.

(٥) سفر القضاة ـ الإصحاح ١٣.

بني إسرائيل. وفي تلك الفترة وضع شاؤل أساس الحياة اليهودية وبثّ الفكر اليهودي.

على أثر ذلك ترك بني إسرائيل البدواة وتعلموا زراعة الأرض، إضافة إلى التجارة التي أخذوها من الأمم المجاورة لهم[1]. كذلك فقد تأثروا بمعتقدات الكنعانيين الوثنية.

٢ ـ ثانياً: عهد الملوك:

في عام ١٠٣٠ قبل الميلاد نصّب شاؤل ملكاً على بني إسرائيل لجمع كلمتهم ضد الخطر الفلسطيني المحدّق بهم والمجاور لهم. وقد سمّى القرآن الكريم شاؤل هذا بـ «طالوت»[2] ـ بدء المملكة اليهودية.

فمن أبرز الحوادث في زمن شاؤل حربه مع جالوت القائد الفلسطيني؛ وإنتهت تلك الحرب بأن قتل داوود (جندي في الجيش اليهودي) جالوت وهزم الفلسطينيين[3]. وولّي ملكاً بعد شاؤل.

أ ـ عهد الملك داوود: (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ قبل الميلاد)

نصّب داوود ملكاً على كافة الأسباط اليهودية، وكانت مدينة الخليل عاصمته حتى سقوط القدس بيده فأصبحت العاصمة الجديدة. واعتبر داوود هو مؤسس الدولة العبرية، فحارب جيرانه وأرجعهم إلى الجبال شمالاً والصحراء جنوباً[4].

وبهذه الحرب؛ إتسعت مملكة داوود حتى وصلت إلى جبل الشيخ والكرمل شمالاً وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً وإلى الصحراء شرقاً. أما الساحل الممتدّ شمال يافا إلى غزة فكان تابعاً لمصر.

---

(١) أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان/ اليهودية ص ٥٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٩.

(٣) Encylopdia Americana vol 16. jeffson charles.

(٤)ـ أحمد شلبي ومقارنة الأديان/ اليهودية/ ص ٦١.

والجدير ذكره أن من أسباب إتساع مملكة داوود، الإنحطاط الذي مرّ ببلاد مصر وآشور.

فداوود جمع بين الملك والنبوة. وقد ذكرت التوراة ذلك، كما أن ذكره القرآن بالإسم في عدة سور منه. وكانت تقوم سياسته على عنصر المحالفات مع مدينة صور الفينقية إذ كان حاكمها آنذاك أحيرام، فكفلت تجارته إلى البحر الأحمر عبر التلال العبرانية. وقد أنشأ أحيرام أسوار القدس ومعبدها كترتيب على حسن العلاقات مجتمعة[1].

يقول غوستان لوبون في شؤون الحضارة التي لم يتعرّف عليها اليهود: «لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التي لا تكاد تميزّ من طور الوحشية وعندما خرج هؤلاء البداة الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا في فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل ولم يقتبسوا من تلك الأمم سوى أخس ما فيها من حضارة ودعارة وخرافة فقربوا لعشتروت ولبعل أكثر مما قربوه لإله قبيلتهم «يهود» العبوس الحاقد - وأن أرض الميعاد لم تكن غير بيئة مختلفة لبني إسرائيل، فالبادية كانت الوطن الحقيقي لهم. . . وتاريخ اليهود لا يبدأ في الحقيقة إلا في عهد ملوكهم زمن داوود الذي اتخذ القدس عاصمة، فإبنه سليمان»[2].

ب - عهد الملك سليمان بن داوود:

خلف سليمان أباه داوود في المملكة أيضاً، فهو قد جمع كذلك بين الملك والنبوّة[3]. وكان حكمه في هدوء واستقرار وعمران، أشتهر بالثراء والحكمة، وبنى الهيكل «هيكل سليمان» بمساعدة الفينيقيين[4]. ثار عليه الكنعانيون فاستنجد

(١) أحمد شلبي - مقارنة الأديان اليهودية/ ص ٦١.

(٢) غوستاف لوبون - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٦ - ٣٩. ترجمة عادل زعيتر والكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ١ - ص ٢٢٩.

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، ج ١ - ص ٢٢٩.

(٤) Encyclopedia Britanica vol 12. p 1057.

بـ (شيشق الأول) فرعون مصر فقضى على الثورة. وفتح له المجال للسيطرة على الفلسطينيين[1]. وقد خسر سليمان بعض المناطق في شرقي الأردن، وثار عليه (يربعام) بمحاولة إنقلاب ففشل وهرب لاجئاً إلى فرعون مصر شيشق.

وإنتهى عهد سليمان بوفاته سنة ٩٣٥ قبل الميلاد، إذ تولّى بعده إبنه الحكم رحبعام[2].

٣ ـ ثالثاً زوال مُلك إسرائيل (٩٣٥ ـ ٧٢٢ قبل الميلاد)

ذكر إبن خلدون[3] أن رحبعام إشتد على بني إسرائيل بفرض الضرائب، وطلبوا منه تخفيفها لكنه إمتنع عن ذلك فنقموا منه، وفي تلك الأثناء عاد يربعام الهارب إلى مصر فبايعه الأسباط العشرة من بني إسرائيل في الشمال ما عدا سبطي يهوذا وبنيامين في الجنوب الذين رسيا على تأييدهم لرحبعام وبهذا إنقسمت مملكة داوود وسليمان إلى مملكتين:

١ ـ مملكة جنوبية: سمّيت مملكة يهوذا وعاصمتها القدس.

٢ ـ مملكة شمالية: سمّيت مملكة إسرائيل وعاصمتها نابلس.

فقد عرفنا أن يربعام أتخذ من نابلس عاصمته له، وهذا أورده إبن خلدون[4] في أن ما يقرب تسعة عشر ملكاً توالو على هذه المملكة وقتل منهم حوالي عشرة بأيدي بني قومهم لأسباب مختلفة وإنقلابات عدة.

فمن المعلوم أن الدولة أن مملكة إسرائيل تأثرت بالوثنية كونها مجاورة، فلقد أقام يربعام عجلين من ذهب وأمر اليهود أن يعبدوهما قاصداً بذلك صرف سكان مملكته النظر عن معبد سليمان في القدس.

---

(١) بريستد ـ تاريخ مصر منذ أقدم العصور ـ ص ٣٥٧.

(٢) سفر الملوك الأول ـ الإصحاح ١١.

(٣) ابن خلدون ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. مجلد قسم ١ ص ١٩١.

(٤) ابن خلدون ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ ج ٢ ـ ص ٢١٢ ـ ٢٢٠.

وفي إيـام شلمناصـر (٨٥٩ ـ ٨٢٤ قبل الميـلاد)، تمكّن الأشوريـون من السيطرة على بلاد الشام وممتلكات الآراميين والفينيقيين ومملكة إسرائيل، وواصلوا مسيرتهم وزحفهم إلى بلاد مصر. وفي تلك الأثناء كان هوشع بن أيله (٧٣٣ ـ ٧٢٢ ق. م) آخـر ملوك بني إسرائيـل قد حـاول محالفـة فراعنـة مصر لخلع السلطة الأشورية، على أثره زحف سرجون الثاني الأشوري إلى السامرة عاصمة إسرائيل ودك أسوارها وسبى قسماً من أهلها، بينما هجر القسم الآخر إلى مملكة يهوذا، فبهذا النقص من السكان أحضر سرجون الثاني جماعة السمرة من العراق وأسكنهم أمكنة من فرّ من الشعب.

* مملكة اليهود

هي منسوبة إلى «يهوذا» أحد أبناء يعقوب، وقد احتلت مكانها في القسم الجنوبي من فلسطين.

فقد ذكر الطبراني[١] أن حوالي عشرين ملكاً توالوا على حكمها، مات منهم ستة على أيدي بني قومهم. وقد بقيت المملكة اليهودية قائمة نحو ماية وستة وثلاثين سنة بعد سقوط «مملكة إسرائيل» في شمال البلاد.

وبقيت فلسطين تتأرجح في ولائها تارة إلى آشور وطوراً إلى مصر. وعندما ضعفت أشور إستطاع الفراعنة عام ٦٤٠ قبل الميلاد إسترجاع سلطتهم على بلاد الشام ومنها فلسطين[٢].

فقد سقطت الدولة الآشورية وحل محلها الدولة البابلية بزعامة بختنصرّ (نبوخذ نصر) الذي اكتسح بلاد الشام وأجبر أهلها على دفع الجزية. وعليه تمردّت المملكة اليهودية رافضة للأمر بتحريض من مصر وثارت على نبوخذ نصرّ، فما كان منه إلاّ أن حاصر القدس فاستسلمت له وسبى ملكها وعائلته ومعهم حوالي سبعماية ألف من اليهود الى مدينة بابل. ثم احتلها ثانية عام ٥٨٦ ق. م وأحرق هيكلها[٣] وسبى أيضاً من أهلها قرابة خمسماية ألف إلى بابل.

---

(١) تاريخ الطبري ـ ج ١ ص ٥٣٠ ـ ٥٣٨.

(٢) Encyclopedia Britanica vol 12. p. 1057 Asociety of gentelmen .

(٣) غوستاف لوبون ـ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٤٢ ـ ترجمة زعيتر.

وبهذا سقطت مملكة اليهود. ففي مراحل سقوطها نرى أنها قد مرّت في مرحلتين هامتين من تاريخ الحكم اليهودي فكانت على الوجه التالي:

أ ـ زمنها في عهد تيطس الروماني وسقوط الدولة البابلية:

في عام ٥٣٩ قبل الميلاد، سقطت الدولة البابلية على يد كورش الفارسي الذي سيطر على كافة ممتلكات البابليين ومنها أرض يهوذا. وفي عام ٥٣٨ ق. م منح كورش الفارسي اليهود إذناً بالعودة من منفاهم؛ فأعادوا بناء الهيكل في القدس. وفي هذا المجال تذكر التوراة[١] أن عملية السماح لليهود بالعودة إلى أرضهم حدثت بفعل تأثير فتاة يهودية جميلة تدعى «أستير» على قلب كورش الذي تزوجها مما حدا بالأقلية اليهودية أن تعود الى القدس. ومما يلفت النظر لعدم عودة الأكثرية اليهودية هو أن تعاليم اليهود لإبنائهم بأنهم ورثة أمة عظيمة وأنه لا بدّلهم الوصول الى ما وعدوا به[٢].

وإنتقل الحكم إلى اليونان، وإستطاع المكدوني أن يحقق الإنتصارات على الفرس وورث ممتلكاتهم في عام ٣٣٢ ق. م.

وعين السلوقيين على سوريا والبطالسة على مصر، وبهذا خضع اليهود فترة طويلة من الزمن الى بطالسة مصر الذين أعطوهم جزءاً كبيراً من الحرية الذاتية والحكم الذاتي[٣].

هم الخبثاء والمنافقين، فبفرصتهم هذه، قاموا بثورة عام ١٦٧ ق.م للحصول على إستقلالهم وسميّت ثورتهم بالثورة «المكابية» نسبة لقائدها المكابي «أرستبولس» الذي استطاع أن يصبح ملكاً عام ١٠٤ ق.م. ولمدة قصيرة من الزمن، حينها كانت الدولة الرومانية قد أعدّت العدّة للإستيلاء على فلسطين

---

(١) سفر.

(٢) Encyclopedia Americana vol 16. p 61 By charles gentelmen.

(٣) ول ديورانت ـ قصة الحضارة مجلد ٨ ـ ص ١٥١ ـ ترجمة محمد بدران.

مستغلة بذلك الصراع الداخلي ما بين قائدين يهودين، مما جعل «بومبيوس» الروماني يغزو فلسطين عن طريق القدس عام ٦٣ قبل الميلاد.

وفي هذه الآونة، عاد اليهود لعزلتهم من جديد، وحصلوا من الرومان على حرية المعتقد وإعفائهم من الخدمة في الجيش؛ وبقي الأمر على هذه الحال حتى ظهور السيد المسيح (ع). فعمد اليهود إلى مؤامراتهم المعروفة وأهمها الإيقاع وشق الخلاف بين المسيح (ع) والحاكم الروماني «بيلاطس» وإقناع الأخير بالحكم على المسيح (ع) بالموت.

ومن جديد قام اليهود بثورة سنة ٦٦ ميلادية بعد أن زرعوا البغض والحقد في نفوس أبنائهم مستغلين عدم وجود حامية رومانية في البلاد، إلّا أن ثورتهم فشلت وأعمل «تيطس» الروماني السيف في رقاب اليهود وأحرق المعبد عام ٧٠ ميلادية[١]، وأجبر أغلبيتهم على الهجرة ألى خارج البلاد، فذهب منهم إلى أفريقيا ومنهم إلى شمال الجزيرة العربية، وبقي قسم منهم في فلسطين عادوا وثاروا على دخول القدس، وأمر ببناء هيكل وثني على أنقاض هيكل هيرودوس. بهذا شتّت اليهود في أرجاء الدنيا.

ب ـ خلاف اليهود مع الأنباط:

١ ـ مملكة الأنباط ومقرها: إن الرأي السائد بين العلماء في مملكة الأنباط أنها مملكة عربية وقد نشأت قبل ميلاد المسيح (ع) ومستقرّ الأنباط الرئيسي هو بطر «البتراء» التي تقع غرب جبال الشراة، تليها إلى الغرب صحراء النقب في وادي موسى بين البحر الميّت وخليج العقبة من الشمال إلى الجنوب؛ وهي مدينة منحوتة في الصخر. وتعدّ البتراء والصحراء التي تليها مباشرة إحدى المداخل الصحراوية للجزيرة العربية.

---

(١) ابن خلدون ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ـ ص ٢٧٦.

فقد ذكر سفر الميكابين الثاني[1] أن «أرتاس» زعيم العرب طرد ياسون من أرضه. كما أن سفر الميكابين الأول[2]، قد أشار إلى النـزاع الذي حصـل بين «ياسون» وأخيه «أويناس» الثالث في يهوذا على الكهانة. وقد حكم أرتاس الذي عُرف من خلال الكتابات النبطية بـ «حارثة» من الأسماء العربية المشهورة عام ١٦٩ ق.م[3].

توطدت العلاقات ما بين الأنباط والميكابين اليهود إلى درجت أن استعان الميكابيون بالأنباط[4]. وكما هو معروف في عدم إعطاء الأمان لليهود، فقد برز ذلك في عهد الملك الميكابي «اسكندر جينوس» عام ١٠٣ ـ ٧٦ قبل الميلاد[5]. فترة فرار «اسكندر» إلى القدس خوفاً من بطش ملك الأنباط «عبادة الأول» الذي كاد أن يسحق إسكندر ومن معه[6]، على أثرها نشبت حرباً أهلية بين المعارضين للإسكندر والمؤيدين له ، مما جعله أن يتنازل للأنباط عن بعض مناطق في «مؤاب» و «جلعاد»، توددأ للعرب وتخفيفاً لحملة معارضيه عليه.

وبعد زمن قصير، عادت الأحوال فساءت بين الطرفين، فغـزا على أثرهـا الحارث أرض يهوذا وأنهار الجيش اليهودي أمـام زحفه، فـطالب اليهود الصلح بشروط مذلّة وليست لصالحهم[7]. وبقيت اليهود تحت سلطة الأنباط طيلة فترة الحارث عام ٦٥ قبل الميلاد، زمن حدوث تمكن الرومان من إسقاط دولة الأنباط عام ١٠٦ على يد «تراجان»، وفي المعارك القائمة يذكر أن الأنباط صمدوا في وجه الرومان وأقلقوهم؛ وفي مواجهة اليهود الذين كانوا جزءاً من الدولة الرومانية.

---

(١) الفصل الخامس: ٨.
(٢) الفصل الخامس: ٢٤.
(٣) د. جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جـ ٣ ـص ٢١.
(٤) سفر الميكابيين الأول ـالفصل التاسع. ص ٣٦.
(٥) The universal jeirish encyclopedia vol 8. p
(٦) جرجي زيدان ـالعرب قبل الإسلام ـص ٧٣.
(٧) د. جواد علي ـتاريخ العرب قبل الإسلام ـج ٣ ـص ٢٦.

شهادة التاريخ:
هل لليهود حق في فلسطين؛

نرى أن الصهيونية العالمية اليوم تدعوا جميع اليهود في كافة أقطار الدنيا للعودة إلى الأرض المقدسة (فلسطين) وكأن لهم الحق المكتسب في هذه الأرض. لهذا رأينا من الواجب الرد على مساعي اليهود الرذيلة والتي ترسم بطرق مباشرة وغير مباشرة خططاً صهيونية شاملة لإكتساح الأراضي العربية والتعدي على شعبها. زاعمين أنها أرض أباؤهم واجدادهم. وهنا لا بد لنا أن نعرض سائلين لكشف مدى صحية أو كذب وإفتراء اليهود بما يلي:

١ ـ هل كانت أرض فلسطين بقعة جرداء قبل مجيء اليهود.

٢ ـ وهل كانت مسكونة من قبل شعب ما وسكت عن مجيء اليهود.

٣ ـ وإذا التاريخ شهد أن لليهود وجود قديم في فلسطين هل يعطي ذلك حق الإستيلاء وإقامة دولة خاصة بهم.

فلسطين مكان إقامة الكنعانيون العرب؛ جاؤوا من شبه الجزيرة العربية حسب اعتماد الأوساط العالمية[1]. غزا العبرانيون بلاد فلسطين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد والتقوا بحضارة الكنعانيين.

وهذا ما ساعدنا على القول بأن اليهود لم يولدوا في فلسطين ولكنهم عرفوا ولفترة قصيرة من الزمن أيام داود وسليمان.

(١) ندوة القانونيين العرب بمؤسسة الدراسات الفلسطينية، القضية الفلسطينية ص ١٤ ترجمة صلاح الدباغ.

كذلك نعود بالتاريخ إلى أيام العرب في صدر الأسلام الذين لم يأخذوا فلسطين من اليهود بل أخذوها من البيزنطيين دون اليهود حتى أن (صفروينوس) بطريرك النصارى في القدس اشترط على الخليفة عمر بن الخطاب إلاّ يسمح لليهود بالسكن فيها.

وبقيت الأمة الإسلامية مستمرة على فلسطين لأكثر من ثلاثة عشر قرناً وانقطعت صلة اليهود فيها. حتى عاد قسماً منهم وسكنوا في فلسطين بمسامحة القائمين عليها[1].

يقول دومال[2] أن العبريين ولفترة أربعين قرناً لم يحكموا فلسطين إلاّ ماية وثلاثة عشرة عاماً فقط. وهذا ما يحذف حجة اليهود بحقية وجودهم التاريخي في فلسطين.

كذلك يقول المؤرخ رابو بور: «أن سكان فلسطين يرجعون إلى عهد قديم يقدر بعشرة الآف سنة قبل الميلاد، وقبل أن يضع اليهود أقدامهم في فلسطين كان يقطنها أقوام كانت لهم حضارة وأمجاد مثل الكنعانيين والحثيين والفينيقيين والفلسطينيين».

من الدلالة الأكيدة أن إحتلال اليهود لفلسطين لم يأت طبيعياً بل واجهت اليهودية مقاومة عنيفة من قبل الكنعانيين تارة ومن الفلسطينيين تارة أخرى وظل الأمر بين مد وجزر إلى أن تشتت اليهود على يد تيطس الروماني عام ٧٠ ميلادية وجاء بعدها الفتح الإسلامي وحررها عمر بن الخطاب عام ٦٣٦ ميلادية ودخل العرب المسلمون فلسطين واستمروا في بقائهم حتى وقتنا هذا.

يذكر الأب الياس اندراوس[3] «أنه إذا ما انتقلنا إلى بحث الحجج القانونية أو

---

(١) القضية الفلسطينية ـ أنور زعيتر ص ٥٩.

(٢) جاك دومال وماري لورا ـ التحدي الصهيوني ١٩٦٨ ص ٢٢ ترجمة نزيه الحكيم.

(٣) إلياس اندراوس ـ هل لليهود حق بإنشاء دولة خاصة بهم في فلسطين ص ١٤.

السياسية فليس من العسير علينا أن نقيم الدليل القاطع على أن الصهيونية كانت على غير حق فيما فعلت، فبمجرد أن أرضاً كان يقطنها أجداد شعب من الشعوب منذ نحو الفي سنة لا يمكن أن يخول أحفاد ذلك الشعب في أية حال من الأحوال حق العودة الى سكنى تلك الأرض ضد إرادة سكانها الحاليين، وإلا لما كان لشعب تحت الشمس حق في الأرض التي يقطنها، ولما كان لأية دولة من دول أميركا الجنوبية أو الشمالية أن يدّعي سكانها بأنهم مالكون شرعيون لها، لأن هذه الأرض كانت حتى في القرن الخامس عشر ملكاً للهنود الحمر وغيرهم، ومن ثم لا يحق لأعقاب هؤلاء أن يطردوا سكانها الحاليين منها على أنهم مغتصبون ظالمون».

وعلى الصعيد القانوني فإن القانونيين العرب[1] توصلوا إلى أن ممارسة السيادة تكون بالممارسة الفعلية، لهذا لا يجوز لليهود القول والتذرع بحقوق وهمية غير واقعية، فلو كان العكس صحيحاً لطلب السماح للعرب السيادة على أسبانيا التي حكموها نحو ثمانية قرون. لكن ليس لهذا أي سند في قواعد القانون الدولي.

والصهاينة يخرجون على القانون ويدّعون الوعد الألهي بعودة اليهود إلى فلسطين عن طريق التشابه العرقي لجميع اليهود إن كان في روسيا وبولندا أو أوروبا وأميركا معتمدين على الأسطورة القائلة بأن يهود اليوم أحفاداً للعبرانيين اليهود القدامى الذين غزوا فلسطين[2].

وشارك في هذا الدفاع الدكتور تونبي[3] في مناظرته المعروفة مع داعية صهيونية كبير في جامعة ماكجويل في كندا: **«إذا ذُكر أن إدعاء اليهود بحقهم في فلسطين إدعاء باطل من أساسه، لأن العرب الكنعانيين سبقوهم إلى حكم فلسطين، كما أن العرب المسلمين خلفوهم في حكمها حكماً متصلاً** بحيث برزت

---

(١) القانونيين العرب ـ القضية الفلسطينية ص ١٧ مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(٢) د. أحمد طربين ـ فلسطين ص ٢٨.

(٣) أرنولد توينبي ـ فلسطين جريمة ودفاع ص ١٣٥/ تقريب عمر الديراوي.

شخصيتها العربية مدة قرون طويلة. ولو سلمنا جدلاً بصحة هذا الإدعاء رغم وضوح بطلانه لوجب إعادة توزيع معظم أوطان العالم إذ يحق للإيطاليين الإدعاء بملكية أجزاء كبيرة من فرنسا وإنكلترا لأن أجدادهم فتحوها وحكموها مدة من الزمن.

* الدين اليهودي وارتباطه بيهوا:

أمرٌ مفروغ منه أن تكون مصادر العقيدة اليهودية كتاب **التوراة**؛ عهد النبي موسى وأنبياء بني إسرائيل، والواضح الجلي في هذا أنْ وجدت التوراة بثلاث نسخ تختلف فيها الواحدة عن الأخرى أتت على الوجه التالي:

التوراة الأولى: جاءت عبارة عن ترجمة يونانية عن اللغة العبرية، في القرن الثالث قبل الميلاد، قرأت في الكنائس النصرانية.

الثانية: تضمنت نص التوراة وأسفاراً أخرى، جمعت في القرن الأول الميلادي، معترفٌ فيها عند اليهود وطائفة البروتستانت من النصارى.

الثالثة: تختلف كل الإختلاف عن الثانية[1] أخذها عامة المسيحيون دون البروتستانت، جمعت باللغة اللاتينية.

ومما علّق عليه لوبون في أن التوراة أٌلِّفت في أدوار مختلفة جداً، أنها مملؤة بالإختلاطات والروايات المرتبة[2].

ومن المعروف أن التوراة تتضمن خمسة أسفار ذكر فيها تاريخ اليهود وشريعتهم، ومن المرجح أنها التي قصدها القرآن الكريم.

وهنالك **التلمود**، يعده اليهود الشرح الشفوي للعقيدة اليهودية.

---

(١) تاريخ الفرق والأديان/ ص ٤ د. يؤسف العش.

(٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى/ ص ٧٢/ ترجمته عادل زعيتر.

أ ـ تطور هذا الدين:

حملت قصة خروج بني إسرائيل من مصر ولادة دين إسرائيل الذي ارتأى بموسى أنه المؤسس للدين والقوانين اليهودية[1]. وارتبط ذلك بإله اليهود القومي (يهوا)، الذي عرفه بني إسرائيل أنه إلهاً زمن وجودهم في مصر إبان الفترة الواقعة بين إبراهيم وموسى.

والجدير ذكره ولا بد من رسمه بـ رفيته في وصية موسى الثانية من وصاياه العشرة إذ جاءت: «لا تضع لك تـ نالا منحوتاً ولا صورة مما في السماء وما في الأرض من تحت»[2].

ومع هذا نرى التوراة ترسم صورة الأله يسير أمامهم في النهار عمود سحاب وليلاً في عمود نار ليضيء لهم الطريق. كذلك نرى يهوا غير معصوم ويندم على فعلة ما، ففي التوراة يوجه الرب الكلام إلى صموئيل «ندمت إني جعلت شاؤول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي»[3].

ولا هوادة في وصف الإله يهوا بصفات شرسة بحيث أنه إله قاس متعصب لشعبه بني اسرائيل حيث يأمرهم بهدم جميع مدن الشعوب المغلوبة[4].

فنتيجة ما تقدم أعتبر بني إسرائيل أن يهوا هو إلّههم وإله فلسطين، سرعان ما تبدد هذا الإعتبار بعد سبيهم إلى العراق وحرق الهيكل، فأول ما تساءلوا: أين يهوا؟؟ ـ أهل بقي في فلسطين أم سبي معهم إلى العراق؟! وعلى هذا وليتخلصوا من ورطة الوجود الإلّهي؛ اعتبروا أن يهوا موجود في كل مكان.

ولقد طرأ الكثير من التغيير على المعتقد اليهودي عند عودة بني إسرائيل إلى فلسطين بمساعدة قورش الفارسي[5].

---

(١) Ency. Britannica vol 12. p 1055 by Ascociety of Gentelmen.

(٢) سفر الخروج ـ الإصحاح ٢٠.

(٣) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح ١.

(٤) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى /ص ٧٠/ غوستاف لوبون.

(٥) قصة العقائد بين السماء والأرض /ص ٣١٧/ سليمان مظهر.

ظاهرة جديدة تغلغلت في المعتقد اليهودي زمن النبي أشعيا وعلى لسانه بقوله أن الإله لا يتصف بمواصفات بني البشر مطلقاً، جاءت هذه الدعوة أيام الأسر البابلي، إلاّ أنها تبددت ولم تدم طويلاً؛ مع أنها ذكرت في السفر الخاص بأشعيا.

ب ـ ما عبدته اليهودية غير يهوا

إنقلبت موازين المعتقد اليهودي بعد النبي موسى، إذ أن الكثير من اليهود خرجوا عن المعتقد بأن يهوا إلهاً عاماً؛ فهنالك آلهة أخرى للشعوب الأخرى يستنصرون بـ (يهوا) عليها.

أثرت الوثنية المصرية في نفوس بني إسرائيل حتى أنهم طلبوا من موسى تصنيع صنمٍ وذلك عندما شاهدوا الناس يعبدون الأصنام عند خروجهم من مصر. كذلك عبدوا العجل في غياب موسى في طور سيناء[1]، كما أن البعض منهم عبدوا الحية وذلك فيما ذكره ول ديورانت[2]: كان من نتيجة معجزة الأفعى التي قدمها موسى أن نظر اليهود إلى موسى وهارون على أنهما ساحران؛ وعلى هذا انتشر السحر بينهم على الرغم من احتجاج الأنبياء والكهنة عليهم.

وعلى غير ما مرّ من معبودات فلقد تأثر اليهود بمعبودات الكنعانيين والفينيقيين، ففي فترة ما أصبح إله الكنعانيين إلهاً لبني إسرائيل[3]، كما قرَّبوا القرابين **لعشتروت وبعل ومولك** إلهة جيرانهم اكثر مما قربوه ليهوا.

«أورشليم المدينة العاهرة» هذا ما ذكره لوبون في قصّة (انتشرت المنكرات في بني إسرائيل ولذا فقد وصف الأنبياء أورشليم بالمدينة العاهرة التي لا تشبع من الفجور)[4].

هذا الفجور حدا بأنبياء بني إسرائيل لأن ينذروا ويحذروا من كثرة الإشراك فمنهم عاموس واشعيا وآرميا في فلسطين، وحزقيال الذي ظهر أيام نفي اليهود.

---

(١) تاريخ الفرق والاديان/ ص ٧/ د. يوسف العش.

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٣٩ ـ ول ديورانت.

(٣) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦٦/ غوستاف لوبون ترجمه عادل زعيتر.

(٤) المرجع السابق/ ص ٨٦.

* ما شرعته اليهودية:

- جاء التشريع اليهودي في التوراة على وجهين:

* الوجه الأول: **الناحية الإجتماعية:**
تعرضت التوراة **إلى الزواج والمحرمات وتعدد الزوجات والرق.**

أ - الزواج: حرمت التوراة الزواج من البنت والأخت والعمة والخالة، كما أنه لا يجوز التزاوج مع غير اليهود. كذلك جائزٌ في اليهودية تعدد الزوجات بدون حد، والمرأة التي ترتكب خطيئة وتعترف أمام الكاهن تطهر بواسطة القرابين والأدعية.

ب - الرق: واجبٌ على اليهودي أن يسترق غيره وعدوه، أما بين اليهود أنفسهم فيجوز أن يستعبد الغني الفقير والدائن المدين حتى يوفي له الدين، وإذا عجز عن الدفع يحرر في السنة السابعة[1].

الوجه الثاني: **الناحية الإقتصادية:**

أ - الربا: حرمت اليهودية الربا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فقد أصبحوا من أشد مرابي العالم مع علمهم بأن الربا محرم بينهم. أما المعاملة مع غيرهم فواجب ولازم.

ب - التوريث: أجازت اليهودية مبدأ التوريث للذكور فللبكر مثل حظ إثنين من إخوته. **وأما البنات فلهنّ النفقة فقط**[2].

(١) سفر الخروج.
(٢) مقارنة الأديان/ اليهودية ص ٢٧٥ د. أحمد شلبي.

الآخرة عند اليهود:

في البدء لم يتطرق كتاب العبرانيين المقدس لأخبار الحياة الأخرى بعد الموت، إلّا بعد سبي اليهود إلى العراق وتأثرهم بالديانة الزرادشتية فنقلوا ذلك الإعتقاد إلى دينهم.

فلقد صوّر كبار أحبار اليهود النار على أنها جهنم أو شاءِل[1] التي يهوى إليها العُصاة، لكنهم عادوا عن رأيهم فعرفوا الجنة والنار كما تقدم في سبيهم الى العراق.

كذلك اعتقد اليهود أن الأنسان يجازى على أعماله في الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وعن من يفعل خيراً فيجازى شراً أولّوا ذلك أنه يجازى عن أعمال غيره من قبيلته[2].

هذا في الحياة الدنيا أمّا في أمور الآخرة، فلقد لقيت طائفة الفريسيين القائلة بيوم الآخرة معارضة شديدة[3].

أ ـ التابوت والهيكل والقرابين:

ـ التابوت: أطلق النبي موسى على وصف التابوت الذي المصنوع من الخشب في فترة وجوده على الجبل عندما أخذ لوحي الحجارة والشريعة ووصية لبني إسرائيل بتابوت العهد.

---

(١) قصة الحضارة ـ جـ ١٤ ص ٢١ ول ديورانت.

(٢) تاريخ الفرق والأديان ص ٧ ـ د. يوسف العش.

(٣) مقارنة الأديان/ اليهودية ص ١٧٤ د. أحمد شلبي.

وكانت عصا موسى ولوحيّ الحجارة توضع داخل هذا التابوت(1).

وفي هذا تذكر التوراة أن التابوت أخذه الفلسطينيون، وأعيد لليهود. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

فالنبي آرميا لم يعطِ الأهمية الكبرى لهذا التابوت بالرغم من تشدد التوراة على دوره وأهميته. وقد ذكر غوستاف لوبون(2) عن لسان آرميا: «لا يعودون يقولون تابوت عهد الرب ولا يخطر لهم ببال، ولا يذكرونه ولا يفتقدونه ولا يصنع من بعد».

أما الهيكل فبناه النبي سليمان تنفيذاً لفكرة أبيه داوود وكان التابوت يوضع فيه وعليه يقول ديورانت(3): «إن هذا الهيكل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة، ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم، وكان الهدف من بنائه أن يكون معبداً روحياً لليهود ومستقراً لتابوت عهد الرب ومكان تقديم القربان.

والجدير ذكره ترجع فكرة تقديم القرابين إلى عهد النبي إبراهيم عليه السلام، مما حدا باليهود تقديم القرابين الحيوانية ومن ثم البشرية. فالإصحاح السادس عشر من سفر الملوك الثاني أورد أن **الملك أحاز** قدّم ابنه قرباناً للإلهة، معتبراً أن تقديم القرابين تكفير عن الخطايا والآثام وتأكيد الروابط المتينة بين الشعب ويهوا.

ب ـ الأعياد اليهودية:

أهم الأعياد اليهودية ذكره سفر الأوليين بأربعة وهي:

أولاً: عيد الفصح زمنه ١٤ نيسان ومدته أسبوع وهو ذكرى خروجهم من مصر مع النبي موسى، تقام فيه الحفلات.

---

(1) الإصحاح ـ ٢٤/ سفر الخروج.
(2) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ـ ص ٦٢/ غوستاف لوبون.
(3) قصة الحضارة جـ ٢/ ص ٣٣٥/ ول ديوارنت.

ثانياً: السبت: وهو يوم مقدس، ممنوع العمل فيه لأنهم يؤمنون بأن الرب سوّى الأرض والسماء بستة أيام واستراح في اليوم السابع[1]

ثالثاً: عيد الهلال: يقيمون الحفلات فيه لرؤية الهلال مطلع كل شهر.

رابعاً: يوم التكفير: ينقطع فيه اليهودي للعبادة والصوم ويأتي في الشهر السابع (تموز) من السنة اليهودية[2].

---

(١) سفر الخروج ـ ٣١.

(٢) مقارنة الأديان/ اليهودية ص ٢٨٣/ د. أحمد شلبي.

* القرآن والعقيدة اليهودية:

مما لاحظنا في أسفار العهد القديم بأن العقيدة اليهودية أتت بشكل غير لائق وغير حرّي بصدق المعلومات لجهة أنبياء بني إسرائيل لنسبها إليهم الفواحش التي الصقت حتّى بأبناء قومهم. لذا وجب علينا أن نرى ما ذكره القرآن الكريم في هذه الطائفة من الناس.

فلقد ذكرهم الله سبحانه وتعالى في الرسالة السماوية «القرآن المجيد»، بأنهم ذو عقيدة صافية وصادقة لا تختلف في شيء عن عقيدة المسلمين، فهي أصلاً الإيمان بالله الواحد الأحد إله الناس. والإعتراف بالملائكة واليوم الآخر والبعث والحساب. فالقرآن[1] الكريم يخاطب النبي محمد (ﷺ) **﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾**. [للتذكير: يعقوب سمّي باسرائيل ومنه بني إسرائيل].

فلا بأس إن ذكرنا بآيات القرآن التي تشهد لإبراهيم وذريته من بعده أنهم آمنوا بالله الواحد القهّار فمنها **﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال ربه أسلم، قال أسلمت لله رب العالمين، ووصّى بها إبراهيم بنيه يعقوب يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم**

(١) سورة النساء/ الآية ١٦٣.

وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[1].

هذا على صعيد الإقرار والإيمان بالله عز وجل الواحد الأحد، أما على صعيد الحياة الدنيا والحياة الآخرة فقد قال تعالى بقول النبي موسى **﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار، من عمل سيئة فلا يجزى إلاَّ بمثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾**[2]

ولقد صوّرت المصادر الإسلامية أنبياء بني إسرائيل وفي مقدمتها القرآن صورة كريمة لا يستهان بها وصورة طاهرة كغيرهم من الأنبياء والرسل من إمتيازاتهم الصدق والأمانة **والعصمة وصحة العقل**. [وما صاحبكم بمجنون].

يقول الدكتور شلبي[3] أن القرآن تعامل والأنبياء بمعالجة الأمور بتقدير واتجه في المعاملة ألى عدم خدش سمعة هؤلاء الأنبياء عكس المصادر اليهودية التي كانت تذم وتقدح وتنسب ما لا يمكن أن ينسب لأمثال الأنبياء، فالقرآن زاخر بالآيات التي تصوّر أنبياء بني إسرائيل بالصورة الواضحة المشرقة وتحدد إتجاههم النبيل والخلق العظيم[4].

قتلة الأنبياء والرسل، حرفوا الكلم عن مواضعه، فلقد أتاهم القرآن بالذل والمسكنة، إذ قال تعالى: **﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس، وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾**[5].

---

(١) القرآن ـ سورة البقرة الآية ١٣٠.

(٢) سورة غافر ـ الآية ٤٠.

(٣) مقارنة الأديان/ اليهودية ص ١٠٦/ د. احمد شلبي.

(٤) راجع القرآن السور: يوسف، طه، الأعراف، الأحزاب، سبا، النمل، ص.

(٥) آل عمران ـ الآية ١١٢.

* فكرة انشاء التلمود

التلمود كلمة معناها كتاب تعاليم ديانة وآداب اليهود. وهي تركيبة من كتابي «المشنا» الذي وضعه أحد الحاخامات المسمى يوضاس، إذ جمع الروايات الشفوية عام ١٥٠ م؛ والمشنا تعنى الشريعة المكرّرة وهي تفسير لشريعة النبي موسى. وعليه فبعض القراء وجدوا صعوبة في فهم كتاب المشنا فأخذوا يعدون ويكتبون حواش كثيرة في هذا الكتاب مما أجبرهم على كتابة كتاب آخر داخل كتاب المشنا أسموه «جمارا»[١].

والجدير ذكره أن سبب نشأة التلمود هي أن أحكام الشريعة الواردة في الأسفار الخمسة أحكام مسطورة، لم تستطع الإيفاء بجميع حاجات القدس بعد أن فقدت حريتها ولا اليهودية بعد أن فقدت القدس ولا الشعب اليهودي خارج فلسطين، كذلك لم تستطع معالجة الظروف المحيطة بها[٢]. وهذا مما جعل الأحبار اليهود يجمعون الشمل قبل التشتت بتفسير شريعة موسى للجيل الجديد خوف الضياع.

فالتلمود جاء على أصناف مجموعة من عصبة رجال الدين المقيمون في المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية، فلقد ألفّوا اسفار الشريعة المعروفة **بالتلمود الفلسطيني والتلمود البابلي**. تلقاها التلاميذ جيلٌ بعد جيل وأضافوا إليها

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٤١ د. روهلينخ، ترجمة من الفرنسية يوسف نصر.
(٢) قصة الحضارة ج ٣ ص ١٠ / ول ديوارنت.

زيادات وتنقيمات وهي الشريعة الشفوية التي يطلق عليها اسم التلمود[1].

أ ـ علاقة اليهود بالتلمود

عرفنا أن التلمود هو الشريعة اليهودية الشفوية (من عند الله/بنظر اليهود)، لذلك فطاعته واجبة، وهنا لا بد لنا من التعرّف على بعض الفرق اليهودية ورأيها من كتاب التلمود لمؤلف:

أولاً: **الفريسيون**: اعتقدوا بأن التوراة ليست كلها المقدسة، فهي بحاجة إلى جانبها لبعض الوصايا والشروح والتفاسير. وقد صرّح الفريسيون أن للحاخامات سلطة مميزة عليها. وأنهم معصمون، وأقوالهم صادرة عن الله، ومخافتهم مخافة الله[2].

إنحرفت هذه الفرقة فأصبحت كلمة (فريسي) هي العار، لكنهم استعادوا نفوذهم بعد سقوط القدس عام ٧٠ م.

ثانياً: **الصدقيون**: صاحبها صادوق الكاهن الأعظم زمن سليمان، هذه الفرقة نكرت البعث والحياة الآخرة، كما نكرت تعاليم التلمود، حتى التوراة فهم لا يرونها مقدسة قدسية مطلقة[3].

ثالثاً **القراءون**: أقلهم قلة، إتسع نفوذهم زمن تدهور حالة الفريسين لا يعترفون إلّا بالعهد القديم، يقولون بالإجتهاد ولا يعترفون بالتلمود.

رابعاً **المتعصبون**: أهم فئة متطرفة، كانت السبب المباشر في أشرّ العداوة بين اليهود والرومان، قاموا بحركات اغتيال ضد اليهود الذين تعاونوا مع الرومان[4]. التقوا مع الفريسين في المعتقد، وتطرفوا بعدم التسامح مع المواطنين اللادينيين.

---

(١) نفس المصدر السابق جـ٣ ص ١١.

(٢) مقارنة الأديان/ اليهودية ص ١٩٦ د. احمد شلبي.

(٣) المرجع السابق ص١٩٧.

(٤) مقارنة الأديان/ اليهودية ص ٢٠٣ د. احمد شلبي.

زالت هذه الفرقة بعد تدمير تيطس الروماني القدس عام ٧٠ م. وبذلك صفى الجو للفريسين الذين سيطروا على الكيان اليهودي واستمسك رجال الدين بالتلمود، وآمنوا بـه أنـه من عند الله واضافـوه إلى أسفار موسى الإله [١].

فالتلمود عندهم أشد قدسية من التوراة يرون فيه أنه المشنا والجمار والمدخل لمعرفة الأله.

ومن أقوال التلمود[٢]: «إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع الإختلاف بين الله وبين أحد الحاخامات الذي حكم بخطأ الإله مما اضطره إلى الإعتراف لخطئه».

وهنا لا بد أن نشر لمَ قاله ديوارنت[٣] عن التلمود: «ما من شك بأن كثيراً من المقالات قد وضعت في غير موضعها من الكتاب، وإن عدداً من الفصول قد وضع في غير المقالات التي يجب أن يوضع بها. وإن موضوعات تبدأ ثم تترك، ثم تبدأ من جديد على غير قاعدة موضوعه، وليس الكتاب ثمرة تفكير بل التفكير نفسه، فكل الآراء المختلفة قد دونت فيه، وكثيراً ما تترك النقط المتعارضة دون أن تحل وتفسر».

(١) إسرائيل والتلمود ص ١٩ ـ إبراهيم خليل أحمد.
(٢) التلمود ـ ص ٧٤ ـ والكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٤٧/ روهيلنج ترجمة يوسف نصر.
(٣) قصة الحضارة ـ جـ٣ ص ٣٠ ـ ول ديوارنت.

* بين التوراة والتلمود

في نهاية فصل العقيدة اليهودية رأينا أنه لا بد من الإشارة لوصايا النبي موسى العشرة وكيفية تحريفها بوضع التلمود كتاب مبني على أنانية شعب لم يختر الله رباً وإلهاً واحد.

جاء في وصايا النبي موسى محاكاة مباشرة لأساس تقوم عليه العقيدة اليهودية وتعاليمها وقد أمرت هذه الوصايا بني إسرائيل بما يلي :

١ ـ إلّا يتخذوا إلهاً غير يهوا.

٢ ـ الّا يعبدوا الأصنام والتماثيل.

٣ ـ الّا يتخذوا إسم يهوا لعباً ولهواً.

٤ ـ أن يستريحوا في اليوم السابع السبت.

٥ ـ أن يكرموا أباءهم وأمهاتهم.

٦ ـ ألّا يقتلوا.

٧ ـ إلّا يفسقوا.

٨ ـ ألّا يسرقوا.

٩ ـ ألّا يشهدوا على أقربائهم شهادة زور.

١٠ ـ ألّا يشتهوا نساء اقربائهم ولا يتمنوا الحصول على ما لديهم.

أمّا ما ورد في التلمود من خرافات وأقاصيص غير واقعة وغير صادقة حرّفت

تعالَيم النبي موسى في مسلك أناني بحت جاء على الشكل التالي :

١ ـ تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله وأرواح غير اليهود شبيهة بأرواح الحيوانات.

٢ ـ يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع إستملاك باقي أمم الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم.

٣ ـ قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها، ويجب أن يلعن ثلاث مرات في اليوم.

٤ ـ يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم، وأنه مرتد عن الدين اليهودي، وأمه زانية.

٥ ـ يسمح لليهودي غش الأجنبي وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش.

٦ ـ الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، ومن العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرّب قرباناً إلى الله.

٧ ـ إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثاً لأعقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات.

٨ ـ على اليهودي أن يحلف عشرين يميناً كاذباً ولا يعرّض أحد أخوته لضرر ما.

٩ ـ اليهود شعب الله المختار في الأرض، وقد أوجب عليهم أن يفرقهم لمنفعتهم وذلك لكي يمتطوا ظهور الأمم الأخرى.

١٠ ـ يجب أن يزوج اليهود بناتهم الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن يدخلوا أبناؤهم في الديانات المختلفة وأن يُوقعوا بين الأمم الأخرى، وليدخل عليهم الخوف فيحارب بعضهم بعضاً[1].

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود/ ص ٦٤، ٦٠، ٧٥، ٨٥، ٩٥/ روهيلنج ترجمة عن الفرنسية يوسف نصر.

فبعد هذا العرض لوصايا التوراة وتحريفات التلمود، نرى أن اليهود اعتنقوا كتاب التلمود فهو يعني بنظرهم فعلاً جمع الشمل على الباطل دون محاولة معرفة الحق والإرتباط بالعالم الخارجي على صعيد سليم وصحيح ليبقى في مختلف الإزمنة والعصور.

ولا نريد هنا أن نناقش دقة كل كلمة ومعنى كل بند من قرارات كتاب التلمود فيكفي أن نذكر ما قاله الله عز وجل في كتابه الكريم لجهة واحدة نعتبرها موجّهة لمعرفة كل المقرارات الباقية.

ففي قوله تعالى مخصوص أكذوبة بني إسرائيل أنهم شعب الله المختار وأنهم وزعوا في الأرض ليمتطوا باقي الأمم. قال عز وجل: **﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1] ـ **﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء﴾**[2].

﴿وقطعناهم في الأرض أمماً، منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون، فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وأن يأتهم عرض مثله يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق، ودرسوا ما فيه، والدار الآخرة خير للذين يتقون، أفلا تعقلون﴾[3].

﴿إن شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين عاهدت منهم

---

(١) القرآن ـ سورة البقرة الآية ١١١ ـ ١١٢.

(٢) المائدة ـ الآية ١٨.

(٣) الأعراف ـ الآية ١٦٨ ـ ١٦٩.

ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾[1]. وهذا مما يكفي قاطعاً دالاً لأن لا نكمل باقي ما تبقى من شروحات تناهض وتنقض بقايا قول التلمود في بني إسرائيل.

---

(1) الأنفال ـ الآية ٥٥ ـ ٥٦.

* اليهود في الجزيرة العربية

دخول اليهود إلى شمالي الجزيرة:

إن المصادر الرئيسية التي استسقى منها المؤرخون العرب في العصر الوسيط والمؤرخون المحدثون عرباً كانوا أم مستشرقين هوكتاب العهد القديم. فالدكتور جواد علي[1] يذكر عدم وجود وصول يهود إلى جزيرة العرب وعدم إقامتهم في أماكن منها، عكس التوراة التي تؤكد أنهم (وساروا إلى مدخل جذور إلى شرق الأردن ليفتشوا عن مرعى لماشيتهم، فوجدوا مرعى خصيباً جداً، لأن آل حام سكنوا هناك في القديم وجاء هؤلاء المكتوبة اسماؤهم في أيام حزقيا ملك يهوذا، وضربوا خيمهم والمعونيون الذين وجدوا هناك، وسكنوا مكانهم لأن هناك مرعى لماشيتهم، ومنهم من بني شمعون ذهب إلى جبل سعير خمس مئة رجل، وضربوا بقية المتنقلين من عماليق، وسكنوا هناك الى هذا اليوم)[2]. هذا ما ورد في أسفار العهد القديم عن أخبار البطون اليهودية وهجرتهم الى الجزيرة العربية حتى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد).

فالنص المذكور أعلاه يفيد أن بطون بني شمعون إصطدمت مع قبائل معان وجماعة العماليق، خَلُصَ إلى فوز بني شمعون على غيرهم.

وفي هذا السرد التاريخي نرى أن هنالك معارضة من قبل بعض المستشرقين

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام: ٦ ـ ص ٦. د. جواد علي.
(٢) الإصحاح: ٤ فقرة ٣٨ ـ ٤٣ سفر أخبار الأيام الأول.

كإسرائيل ولفنسون[1] الذي يرى أن الرواية تشمل بعض الإبهام والغموض إذ ليس ممكناً أن نقرّ زمن نزوح بطون بني شمعون إلى جزيرة العرب. بينما المستشرق مرجليون[2] يلمحّ إلى أن النزاع الحاصل وقع في عهد الملك حزقيا حاكم بلاد يهوذا من عام ٧٩٠ ـ ٧١٧ ق.م.

كذلك نرى أن المستشرق الجغرافي سترابو[3] يقول بأن قرنا كانت عاصمة قبائل معان وهي تقع في جنوب الجزيرة وليس بين يثرب ومكة كما صرّح بعض المستشرقين في اتفاقهم. وهنا وقع الخلاف على تواجد اليهود أكانوا في شمال الجزيرة العربية أم في جنوبها؟

فبعض المؤرخين حسبوا أنه لا يمكن الإعتماد على الرواية المنقولة من العهد القديم حيث يشكون أصلاً في وجود قبيلة بني شمعون؟ بينما أشير إليها أنها اشتركت مع بطون بني يهوذا في فتح فلسطين وعن نزوحها الى الديار الإسرائيلية[4].

وهنا لا بدّ التمحيص التاريخي فليس من المعقول أن تنزح بطون بني شمعون كلها إلى مواطن أقل ثراء وخصوبة من بلادهم طلباً للرعي والكلأ؟!

على كل حال فقبائل بني شمعون موجودة في التاريخ الإسرائيلي وقد ورد ذكرها مراراً في أسفار العهد القديم.

فعمليات الهجوم والهجوم المضاد اعتمدها بني إسرائيل لكونهم بدواً في أول حياتهم فقد تصادموا مع جيرانهم كثيراً خاصة مع الشعوب المجاورة لفلسطين ومن مداخل شمال الجزيرة العربية.

---

(١) تاريخ اليهود ـ ص ٣ ـ إسرائيل ولفنسون.

(٢) The reiation Between Arabs and isaractites prion to the rise of the isiam p. 51—

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ص ٥ ـ ولفنسون.

(٤) سفر القضاة ـ الإصحاح الأول.

فمن مثال تصادمهم كما ورد في سفر صموئيل الأول[1] أن تصادم حصل بين شاؤل والعماليق الذين اعترضوا طريق بني إسرائيل وهم قادمون من مصر، وعن جماعة شاؤل أن الرب أمرهم بقتال العماليق واستأصالهم عن بكرة أبيهم. إلاّ أن شاؤل قد عفا عن أجاج ملك العماليق مما أغضب الرب عليه؟! وعليه لم يكن محدد تواجد العماليق في حالة التصادم التي حصلت، أهل كان العماليق في سيناء أم في جهات يثرب أم على حدود الجزيرة الشمالية؟

فأبو الفرج الأصفهاني[2] ذكر أن موسى بن عمران بعث مبعوثاً الى الحجاز حينها كانت أفواج العماليق وعلى رأسهم ملك يدعى الأرقم: فأمرهم موسى بقتل أمة العماليق فنفذوا الأمر لكنهم استبقوا ابنه لوضاءته، وبعد رجوعهم من مهمتهم قوبلوا بتوبيخ إخوانهم لهم ومنعوهم من دخول الشام وعادوا إلى الحجاز، فنزلوا المدينة، وفي ذلك كان أول سكن لليهود في المدينة.

والسؤال يكمن هنا في هل يمكن لموسى إرسال قوة إلى الحجاز لمقاتلة العماليق وهو لم يحقق مراده بعد في الوصول إلى أرض فلسطين؟ وهل كان جيش موسى كافياً لتوزيعه على الأقطار؟

وحتى لا نقع في الخطأ فنذكر أنه كانت تجارة قائمة بين بلاد الشام والجزيرة العربية ككل، إذ ورد في سفر الملوك الأول (وعمل الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيله على شاطىء بحر سوف في أرض أدوم، فأرسل حيرام في السفن عبيده العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا إلى أوفير، وأخذوا من هناك ذهباً أربع مئة وزنه وعشرين وزنه وأتوابها إلى الملك سليمان)[3].

فالدال فيما ذكر أن سفن سليمان اتجهت من أيله بحراً لجهة الجنوب حيث تواجد الذهب، فالقوافل التجارية لا تستبعد أن تكون على صلة مع سكان جبال

(١) الإصحاح: ١٥ فقرة ١ ـ ٩.
(٢) الأغاني: جـ ١٩ ـ ص ٩٤ ـ أبو الفرج الأصفهاني.
(٣) الإصحاح العاشر: الفقرة ١ ـ ١٠.

الحجاز الجنوبية حتى اليمن (المناطق الغنية بالذهب)، ومن المعروف أيضاً أن أيله من المداخل الساحلية للجزيرة العربية؛ مع العلم أن المصادر كلها أجمعت على العلاقات الودية التي كانت قائمة بين النبي سليمان وملكة سبأ، وعلى رأسها إشـارة القرآن الكريم[1]

هذا ما ورد تاريخياً حتى بداية القرن الخامس ق.م. أمـا فيما يتعلق في هجرة اليهود إلى شمال الجزيرة العربية، ثم هجرة الأوس والخزرج العرب إلى يثرب، والعلاقة المتبادلة بين اليهود والعرب ستأتي بدورها لاحقاً.

من المحقق العلمي والتاريخي أن بعض البطون اليهودية قد فرّت أيام السبي البابلي زمن بختنصر عام ٥٨٦ ق.م؛ ونزلت في المناطق الشمالية في خيبر وتيما ووادي القرى وفدك.

ويـذكر ولفنسـون[2] في حوالي القـرن الأول ق.م (أن هـاجمت الـدولـة الرومانية فلسطين، واخضعت أركان الدولة اليهودية لسلطان النسر الروماني الذي قبض على سلطان الحكم بيد من حديد، مما سبّب في إشتعال الفتن اليهودية ضد الرومان، فكانت ثوراتهم تقمع بشدة. مما حد ببعض اليهود ضمن هذه الأمـور والأحوال القاسية عليهم أن تلجأ إلى أراضي الجزيرة العربية كونها تتلائم وحياتهم البدوية، خاصة وأنّ المناطق الرملية تعيق زحف الرومان صوبهم.

ولا بد أن نشير هنا أيضاً مؤكدين صحة المستند التاريخي إبان عهد تدمير القدس على يد تيطس الروماني عام ٧٠ م بأن هاجرت بعض القبائل اليهودية إلى النواحي البعيدة عن مقاصد الرومان. فأبو الفرج الأصفهاني[3] أورد أن بني النضير وقريظة وبنو هدل هربوا بظهور الروم على بني إسرائيل بالشام، مما حدا بملك

(١) سورة سبأ.
(٢) تاريخ اليهودية في بلاد العرب ـ ص ٩ ـ إسرائيل ولفنسون.
(٣) الأغاني جـ ١٩ ص ٩٤/ ٩٥.

الروم بإرسال فرقة لجلبهم، إلّا أن الروم ماتوا عطشاً وسمي الموضوع آنذاك تمر الروم.

وبهذا وبسياق الهجرة فقد وصل اليهود إلى يثرب ونزلوا بواديين هما بطمان ومهزور (أرض خصبة ذات مياه) وتوزعوا قبائلاً كالتالي:

- نزل بني النضير على بطمان

- نزلت بني قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور.

كذلك هاجر الأوس والخزرج إلى يثرب وكان فيها من قبائل بني إسرائيل (كبنو عكرمة، بنو ثعلبة، بنو محمر، بنو زعوراء، بنو قينقاع، بنو زيد، بنو النضير، بنو قريظة، بنو بهدل، بنو عوف، وبنو القصيص) كذلك كان يعيش إلى جانبهم بعض البطون العربية.

ومن المعتقد أن هذه الهجرات توالت منذ حرب تيطس عام ٧٠م[١] إلى إجهاز هادريان على اليهود عام ١٣٢ ميلادية بسبب الضغوط الرومانية عليهم.

ونذكر هنا أيضاً سبب حط ترحال اليهود في المناطق المجاورة ليثرب وهو احتواء هذه المناطق على العيون الكثيرة لإتخاذ المزارع شأن خيبر التي عرفت بزراعتها وعيونها ونخلها. كذلك لا بد من ذكر سبب وجيه يحمي القبائل اليهودية في هجرتهم وهو كثرة الحصون التي تقيهم من غارات الأعراب القريبة منهم[٢].

وفي أصل يهود خيبر يذكر الدكتور جواد علي[٣] أن بعض المستشرقين زعم أن يهود خيبر هم في الأصل من نسل ركاب، معتمدين في ذلك على سفر الملوك[٤]، وقد هاجروا بعد تحطيم الهيكل، وأقاموا في خيبر حيث الحصون وعمل الزراعة.

---

(١) قصة الحضارة جـ ٣ ص ١٩٠ ـ ول ديورانت ترجمة محمد بدران.

(٢) Gratez History of the jews 3 p. 56.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ١٧، د. جواد علي.

(٤) الإصحاح العاشر فقرة ١٥.

ودل على تشابه الأسماء اليهودية في خيبر وبين اسم جندب ابن ركاب، وورود اسم ركاب جاء في كتاب التوراة لا يعتبر دليلاً قاطعاً على أن يهود خيبر من رحل ركاب.

نرى في الحقائب التاريخية أن المتشرق دوزي[1] يحاول دلالّة على أن يثبت أن اليهود قد سكنت مكة قبل الإسلام وكانوا فيها بدل الإسلام. وهذا ليس مستند علمي واقعي وذلك لأن النبي محمد ﷺ والمسلمين في مكة لم يرد عنهم أنهم جاوروا يهوداً بمكة. ولا ندري إذا كان دوزي قد اعتبر أن بعض مرور القوافل التجارية أو العلاقات التجارية لبضعة يهود تعتبر إقامة موطن يهودي في مكة؟.

كذلك زعم بعض المستشرقين أن مملكة لحيان اليهودية، معتمدين على خواص لغوية مشتركة مثل ها أداة التعريف مع بعض الأسماء الواردة في اللغتين: ويرد عليهم مارجليوث[2] بقوله أن ما أشاروا له واستدلوا به لا يرمز إلى وجود أثر لليهودية بين اللحيانيين، بحيث أن أسماء الملوك للحيانيين هي أسماء وثنية وكتاباتهم تمجّد الأصنام اللحيانية ولا صلة لها بأسماء اليهود.

كذلك الدكتور جواد علي[3] يؤكد أن اللحيانيين كانوا وثنيين ومن أصنامهم وأوثانهم عجلبون صنمهم المعروف عند نبط تدمر. كذلك بعض الدلالات والكتابات التي عثر عليها تعود للقرن الثالث الميلادي.

أ ـ هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب.

أورد ابن هشام[4] في سيرته أن خروج الأوس والخزرج من اليمن إلى يثرب كان قبل خراب سد مأرب وذلك برأي عمرو بن عامر بأن السد سيؤول إلى الدمار.

---

(١) R. Dozy. Israelieten to Mekka p. 97.

(٢) The relations between Arabs and Israeleites prior to the Rise of Islam p.67

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جـ ٦ ص ١٩ د. جواد علي.

(٤) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٢.

بينما يلمحّ الأصفهاني[1] عكس ذلـك أي بعد أن أرسل الله سيل العرم على مأرب، تمّ نزوح الأوس والخزرج.

والشيخ الخضري[2] أيد ذلك في كتاباته، فزمن الخروج أتى بعد سيل العرم وذلك لأنه لا يعقل مفارقة مواطن موطنه لمجرد أي خبر قائم على الحدس كذلك قد ورد هذا في القرآن الكريم في سورة سبأ.

وهنا يتضح أن حـادثة السيـل قد نكلّت بهم وبـدلّت من شكل أرضهم. فالدكتور ولفنسون[3] لم يؤمن بحادثة السيل معتبراً أن المصادر العربية قامت على الخرافة، لكن هذا الرأي تحول إلى يقين جغرافي أثري عندمـا ظهرت بحـوث العالم جلازر عام ١٨٩٦ ميلادية بحمله بعض المنقوشات من بلاد اليمن تثبت حدوث السيل فعلاً.

وبهذا تبددت ظلمات زمن النزوح وغير الكثير من المستشرقين رأيهم في فترة نزوح الأوس والخزرج كذلك نكلسون[4] حيث جزم بأن نزوح البطون الأزدية حدث بعد سيل العرم.

وبقي زمن الحدوث أهو في القرن الثاني أو في الأول الميلادي؟ وهذا ما لا نعيره إهتماماً كلياً لأنه لا يربط دراستنا إلّا بحدوث السيل أم لا.

ب ـ علاقة القبائل ويهود يثرب:

يذكر الأصفهاني[5] أن الأوس والخزرج توجهّوا إلى المدينة ونزلوا في جرار وتفرقوا، ولجأ بعضهم إلى بعض القرى، ولم يكونوا من أهل النِعم، لا نخل لهم ولا زرع.

---

(١) الأغاني، جـ ١٩ ص ٩٥ ـ أبو الفرج الإصفهاني.

(٢) تاريخ الأمم الإسلامية ـ ص ١٨ ـ الشيخ محمد الخضري.

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ص ٥٣ إسرائيل ولفنسون.

(٤) A literary history of the arabs p. 16.

(٥) الأغاني جـ ١٩ ص ٩٦ ـ أبو الفرج الأصفهاني.

وعليه فقدأشارالسمهوري [1] إلى أن الوفاق كان قائماً بين الأوس والخزرج من جهة وبين اليهود من جهة أخرى، حتى أنهم عقدوا حلفاً وحواراً يأمن فيه بعضهم بعضاً يردون فيه الغير. وظلّ الأمر كذلك حتى صار للأوس والخزرج مالاً وعدداً في ظلها خاف بنو قريظة والنضير أن يغلبهم الأوس والخزرج على عملهم، فقطعوا الحلف، مما جعل الأوس والخزرج تخاف على مصيرها أنذاك.

والدال القاطع في هذا أن اليهود كانوا يملكون زمام الأمور الإقتصادية في يثرب.

ويرى المؤرخ غرايتز[2] أن الأوس والخزرج قد انتهزوا فرصة القضاء على اليهود في اليمن، فخرجوا على تحالفهم مع يهود يثرب، وذلك لأن اليهود في اليمن قبل القضاء عليهم كانت سلطتهم ممتدة نحو المقاطعات العربية الوثنية.

والمعتقد في هذا أن غرايتز يبالغ جداً في رأيه لأنه لا يمكن أن يكون لليهود في اليمن سيطرة على شمال الحجاز حتّى ولو كانت بعض القبائل اليهودية موجودة في تلك المناطق.

وفي قضية توتر العلاقات بين الأوس والخزرج وبين اليهود تكاثرت الروايات بحيث جاءت كل منها موافقة لرأي قائلها، فالسمهوري[3] أورد أنه كانت لا تُهدي العروس إلى الحييّن في يثرب حتى يقدم عليها الفيطون ملك اليهود فيفضّ بكارتها، وحدث أن تزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من قومها، فواجهته أخته قائلة أن غداً سيحدث بي شيء فظيع وعظيم، كيف أهدى إلى غير زوجي؟ أثار هذا الخبر غضب مالك فاستل سيفه مساءً ودخل على الفيطون وقتله.

وولفنسون[4] يرى أن هذه القصة غريبة وملفقّة لأن ابن هشام والواقدي

(١) خلاصة الوفا في أخبار المصطفى ص ٨٣ ـ السمهوري.

(٢) The history of the jews 3 p.67.

(٣) خلاصة الوفا في أخبار المصطفى ـ ص ٨٤ ـ السمهوري.

(٤) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ ـ إسرائيل ولفنسون.

وصاحب الأغاني لم يأتوا على ذكرها، ويرى أن لا تتناسب مع ما كان عليه العرب من العزة والغيرة والشجاعة. كذلك فإنه يستبعد إقدام ملك يهودي على إرتكاب جرائم كهذه وكذلك لأن يهود الحجاز لهم دينهم السماوي وهو الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذه لا بد من الردّ على ولفنسون فعزة العرب وغيرتهم وشجاعتهم أمر مفروغ منه أما قصة الغدر وارتكاب الفواحش من إختصاص اليهود فالتوراة نفسها أشارت إلى أن اليهود كانت تخرج على تعليمها كما حدث بتهمة إرتكاب الفاحشة بداوود وغيره.

والأصفهاني[1] له رأي أيضاً فهو يقول بتحول وتوتر العلاقات العرب واليهود في يثرب بأن مالك بن العجلان ذهب إلى ملك غسان أبي جبيلة وأخبره بحالتهم السيئة في يثرب، فلقي وعد أبي جبيلة بالذهاب إلى اليهود لبّت الأمر معهم، علم اليهود بقدوم أبي جبيلة. وفعلاً حدث مجيء الملك إليهم فاستقبله العرب واليهود وعلى الفور وبعد تبيان بعض الحقائق عمد إلى قتل رؤساء اليهود.

على أثرها اشتدت العداوة بين الأوس والخزرج واليهود، مما جعل مالك بن العجلان يكيد باليهود فدعاهم إلى مائدة طعام وقتل منهم سبعة وثمانون، ممّا حدا باليهود لتصوير مالك بكنائسهم ولعنهم إياه.

بعد هذه الحادثة دبّ الخوف بين اليهود، فصاروا يتوددون ويستجيرون بالبطون العربية من أوس وخزرج[2].

والغريب في التصّور أن ولفنسون[3] لا يقرّ أن يكون أبو جبيلة من ملوك غسان، مع العلم أن ابن خلدون ذكره في أنه لم يتولى عرش غسان من غير بني

---

(١) الأغاني: جـ ١٩ ص ١٠١، أبو الفرج الأصفهاني.
(٢) الأغاني: حـ ٢ ص ٥٩٧ ـ أبو الفرج الأصفهاني.
(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ص ٥٩ ـ إسرائيل ولفنسون.

جفنة إلاّ أبو جبيلة والحارث الأعرج. فالظاهر في هذا الأمر أن ولفنسون على غير علم بحقيقة تاريخية وهي أن قياصرة الروم ولوّا ملكين من غير سلالة آل جفنة وأرجعوا العرش إلى هذه الأسرة، وذلك لأن آخر ملوك غسان كان من بني جفنة وهو جبلة بن الأيهم. كذلك من المحتمل أن يكون أبو جبيلة قام بأمره هذا بإيعاز من الدولة الرومانية النصرانية حيث كان العداء على أشده بين الرومان واليهود منذ عهد تيطس عام ٧٠ م. والجدير ذكره أن تلك الفترة كانت الروم سادة الغساسنة ولا غريب أن تلتقي مصالح الروم مع مصالح مالك بن عجلان حين استنجد بأبناء عمومته ببلاد الشام، فأتت الفرصة جاهزة للكل معاً.

وفي حادثة غدر مالك بن عجلان بترتيب مائدة طعام لليهود وقتلهم، فهذا أمر مستغرب وغير صحيح لأن اليهود لم تغب عن بالهم مذبحة أبو جبيلة لهم، ولا يمكن أن يجروّا إلى غدرٍ وهم أهل الغدر وأصحاب المكر.

وعودة إلى السمهوري[1] في رواية قتل الفيطون ملك اليهود فيقول أن مالك بن العجلان بعد قتله الفيطون ذهب شاكياً إلى تبعّ الأصغر في اليمن فعاهده تبعّ بأنه سيسير إلى يثرب ويذل اليهود.

وللإيضاح أن تبع الأصغر من أقيال الحبشة المتنصرين في اليمن[2]، فالنظرية كانت تتربص لليهود في دوائر الجزيرة العربية كذلك فالدولة الرومانية أرسلت أسطولها إلى الحبشة لمساعدتها ضد اليهود في اليمن.

على كل حال فالهالة التي أحيطت بمالك بن عجلان كان مبالغٌ فيها للحديث عنه في أنه هو الذي حرك العرب في الشمال على قتال اليهود وتدبيره مكيدة لكبار اليهود وإثارة عرب الجنوب / عرب اليمن/ للقضاء على اليهود.

---

(١) خلاصة الوفا في أخبار المصطفى ص ٨٣ ـ السمهوري.

(٢) خلاصة الوفا في أخبار المصطفى ص ٨٤ السمهوري.

ج ـ الفتنة الدموية في يوم بعاث:

على مُرّ من الغلبة للعرب على اليهود، تأججت النار في صدور اليهود وأخذوا يهيئون لفتنة دموية بين العرب أنفسهم /الأوس والخزرج/ الذين كانوا على أحسن حال منذ مجيئهم من اليمن إلى يثرب.

فأول ما حدث هو أن أحد يهود بني قينقاع أوقع بين الأوس والخزرج والتي دارت فيها الحرب على الأوس[1] فدارت بينهم حرب حاطب، واللغز في هذا يعود إلى نظرية اليهود في تفرقة العرب لتسنح لهم فرصة عودة الإستيلاء على يثرب ولإضعاف العرب على مرّ الزمن.

وفي حديث يوم بعاث يروي الأصفهاني[2] بأن الأوس استعانت ببني قريظة والنضير في حربهم مع الخزرج، علمت الخزرج بهذا الأمر فاستعلمت النبأ فأرسلوا يهددوهم بالموت في حال انتصروا، حينها إعتذر بني قريظة والنضير للخزرج ، فلم تأمن الخزرج لهم وطلبوا منهم رهائن كعربون عدم الغدر بهم فأرسلوا لهم أربعين غلاماً. لكن بعض الخزرج لم تركن إلى هذا فطلبوا قتل الرهائن وإخراج قريظة والنضير من ديارهم. وبالتالي فلقد خير الخزرج اليهود إمَّا بإخلاء الديار أو بقتل الرهائن. وإنتهى الأمر إلى قتل الرهائن إلاّ أن عبدالله بن أبي خلّى عمن عنده من رهينة. على أثرها انضمت قريظة والنضير إلى الأوس بزعامة كعب بن أسد القريظي، وبهذا قويت الأوس وحلفائها.

صار الخلاف على أشده مما جعل عبدالله بن أبي أن اعتزل عن قومه فجعل الخزرج عمرو بن النعمان الباظي ولي عليهم. والسبب في هذا أن عبدالله رفض رأي الخزرج بفناء الأوس.

أرسلت الخزرج والأوس تستحلف بعض بطون العرب كل لها وأعدّوا العدة

---

(١) الكامل في التاريخ/ المجلد الأول/ ص ٦٧١ ابن الأثير.

(٢) الأغاني جـ ١٩ ص ١٠٢ ـ أبو الفرج الأصفهاني.

لتصنيع الحرب. والتقى المتنازعون وحلفائهم بـ بعاث، وبعاث هي قطعة أرض من أموال قريظة. ضرب المثل في حشد الحرب فيه، حمل الطرفان على بعضهم. ودارت معارك ضارية، انهزمت فيها الأوس، فعمد سيد الأوس خضير إلى طعن فخذه بسنان رمحه مما جعل قوةً في قومه فعادوا وقاتلوا، وأصيب رأس عمرو بن النعمان الباظي فقتل. على أثرها أنهزم الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاح[1]. وعمد بني قريظة وبني النضير على سلب الخزرج. أجار الأوس الخزرج فلقد ساعد سعد بن معاذ بعضهم، كما عفى عن عبدالله بن أبي، وأفلت يومها الزبير بن أياس بن ياظا وثابت بن قيس بن شماس اليهوديان[2] بعد إنتهاء المعارك ما لبث أن توفي سيد الأوس متأثراً بجروحه لنصرة قومه.

وللمستطلع في دوائر حرب يوم بعاث لا بد أن نشير لرجاء اليهود في النصر والغلبة للأوس في حادثة أن يهودياً أعمى من بني قريظة كان يومئذٍ في أطمٍ من آطامهم طلب من ابنة له أن تنظر ما فعل القوم، فأشرفت على الأطعم وقالت لأبيها أسمع قائلًا يقول: أضربوا يا آل الخزرج، فقال: الدولة إذن على الأوس لا خير في البقاء، ثم قالت له بعد قليل أسمع رجالاً يقولون: يا آل الخزرج. فقال الآن حمي القتال. ثم أشرفت بعد ساعة فقالت: أسمع قوماً يقولون: نحن بنو صخرة أصحاب الرعل، فقال تلك بنو عبد الأشهل ثم وثب فرحاً ثم ضرب رأسه في باب الأطم فسقط فمات[3].

وقد أتى توزيع بطون اليهود أن انضم بني قريظة وبني النضير إلى الأوس بينما إلتحق بنو قينقاع إلى الخزرج، والسبب في ذلك أن بني قينقاع كانوا من ذي قبل من موالي الخزرج، كما كانوا أعداء مع القبائل اليهودية الأخرى.

في يوم بعاث يرى ولفنسون[4] أن أخبار هذا اليوم صحيح وأن حدوث هذا

---

(١) السيرة النبوية جـ ٣ ص ٩٤ ـ ابن هشام/ الكامل في التاريخ /جـ ١ وابن الأثير ص ٦٨.

(٢) تاريخ العبر مجلد ٢ ص ٦٠٢ ـ ابن خلدون.

(٣) الأغاني جـ ٢١ ـ ص ٦١ ـ أبو الفرج الأصفهاني.

(٤) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ص ٦٨ ـ إسرائيل ولفنسون.

المعارك قد جرت قبل الهجرة بخمس سنوات وأن الكثير من جالوا فيه قد أدركوا الإسلام.

لقد خفت الضغينة والعدوان بين الأوس والخزرج لما قاموا من شر الحرب، إلّا أن نار العدواة إشتدت بين البطون اليهودية في فرقتها متناقضة تبعاً للفريقين.

فابن هشام[1] ذكر في سيرته أن سكان يثرب شعروا بأن من الواجب إعادة التحامهم وإتحادهم وملكوّا عليهم عبدالله بن أبي وهو من الخزرج المغلوب على أمرهم.

(١) السيرة جـ ٢ ص ١٧٧ ـ ابن هشام.

* حول الروايات في دخول اليهود بلاد اليمن

أمرٌ لا بد من إقراره بأن اليهودية ظهرت في بلاد اليمن وهي الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، ولكن يبقى السؤال في تمحيص التاريخ وهو هل انتشرت اليهودية في كافة أنحاء اليمن؟ وهل كان دخولها عن طريق فلسطين أم عن طريق الحجاز؟ وهل كان يهود اليمن أصليين أو متهودين بتأثير التبشير.

المصادر اليونانية والرومانية وبعد ظهور الإسلام المصادر العربية الإسلامية ذكرتهم فذكرت أحوال دخولهم، خاصة بعد الزيارات المتكررة للمستشرقين الذين اطلعوا على المخطوطات والنقوش بحيث خرجوا منها بنتائج قيّمة مما جعل التحليل والمقارنة والتوصل إلى نتائج هامة سهل، وهذا مما نورده هنا بدءاً لما أورده ابن هشام[1] أن تبان أسعد أبو كرب قد مرّ بيثرب حين عودته من حرب في المشرق وإيران، حيث أقام في يثرب وتعرّف على حبرين من علماء اليهود، علمان كانا راسخان فى العلم، إصطحبهما إلى اليمن، وهما ممن نهياه عن التعرض للبيت في مكة بأذى، عمل على رأيهما وأتبعهما على دينهما. وفي اليمن دعا قوم للدخول في هذا الدين، فأبوا في بادىء الأمر حتى جربّت فيهم النار التي تضّر الظالم وتنصر المظلوم، وقد نجحوا في رسالتهم مما أجمع حميّر على دينه، وعليه كان يصل اليهودية في اليمن.

هذه الرواية: أورده ابن هشام والطبري[2] ومن بعدهم أبو الفرج الأصفهاني، مع

---

(١) السيرة جـ ١ ص ١٦ ـ ١٨/ ابن هشام.

(٢) تاريخ الطبري ـ جـ ٢ ص ٢٢١.

العلم أن الأمور قد اختلطت لصحة الرواية أو لعدم صحتها خاصة وأن هشام الكلبي كان قد قال بأنهم يأخذون مباشرة من الشيبة والنصارى واليهود ومن أديرة النصارى، لذا اختلط الحق بالباطل.

فرواية النار وشيبان والأحبار تدلّ على أن اليهود لم تدخل اليمن قبل القرن الخامس الميلادي، مع الفارق بأن هنالك دلالات تشير إلى قصص القوافل وطرقها التجارية والبحرية ببلاد الشام.

وقعة سليمان مع ملكة سبأ[1] تشير إلى هجرة جماعة من اليهود إلى اليمن عن طريق الحجاز بغاية التجارة والهجرة طلباً للعيش. وكان ذلك قبل هدم هيكل سليمان زمن تيطس الروماني.

ولتأكيد وجود اليهودية بين الحميرين، فقد أشار المستشرق مارجليوث[2] أن المؤرخ النصراني فيلوستر وجيوس في حوالي عام ٤٢٥ م ذكر أن السبائيين الذين عرفوا فيما بعد بالحُميريين قد مارسوا شعائر النبي إبراهيم وإلتزموا بطقوس يوم السبت، لكنهم عبدوا الشمس والقمر وغيرها، وأن بعضاً منهم كان على دين اليهودية، وهم الذين قاوموا ثيوفليس رسول القيصر قسطنطين (٣٤٠ - ٣٦١ م) عندما دعا للنصرانية أو المسيحية بين بطون حميّر، والنتائج تدل على أنه استطاع تشييد ثلاث كنائس في عدن وظفار.

ومن المعلوم أن حمير كانت على دين وثني وبعض منها على دين يهودي وهذا مما جعل رسول القيصر يقاوم لتنفيذ رغبة القيصر.

كذلك نرى أن المؤرخ ثيودور لكتور مؤرخ القرن السادس الميلادي يشير إلى أن الحميريين كانوا على دين اليهودية منذ عصر ملكة سبأ، لكنهم إرتدوا إلى الوثنية ثمّ تنصّروا أيام الملك نسطاس.

---

(١) القرآن الكريم - سورة سبأ/ سفر الملوك أخبار الأيام الثاني - الإصحاح ٩ - ١٠.

(٢) The relation between Arabs and Israeleites prior to the of rise of Islam p. 62.

العالمان جلازر وهالفي دارسي المخطوطات والنقوش في اليمن دارسة علمية توصلا إلى أن اليهودية وجدت في اليمن قبل الإسلام بمدة بعيدة.

أما عن ظهور اليهودية في بطون حمير يقومّها ولفنسون[1] ذاكراً أن العالمين جلازر وونكلر يريان أنها كانت نتيجة صراع عنيف واقع بين اليهودية والنصرانية، كتبت فيه الغلبة لليهودية في بادىء الأمر. وأوعز ذلك إلى سبب سياسي وهو أن ملوك الدولة الرومانية الشرقية قرروا ضم أطراف الجزيرة العربية إلى ملكيتهم، مما جعلهم يعتمدون السياسة بإرسال مبشرين من الرهبان لتلك البلاد، وأمروهم بنشر التعاليم المسيحية، تمهيداً لقبول الحكم الروماني، فكانت الواقعة من قبل ملوك حمير الذين قرروا بدورهم إحباط محاولة ملوك الرومان. فاعتنقوا الدين اليهودي نكاية بمآرب السياسة الرومانية في الإستيلاء على بلاد اليمن.

ويكمل ولفنسون[2] الأسباب الداعية لأعتناق ملوك حمير الدين اليهودي وهو عدم قبول ملوك حمير الرضوخ والذواب في سلسلة الدولة الرومانية ذات الشأن والنفوذ الكبيرين إن على الصعيد النصراني أو على الصعيد السياسي.

فالمستشرق مارجليوث[3] يحدّث أن سبب إعتناق ملوك حمير اليهودية هو رغبتهم لتحزيب قوة تساعدهم في التنظيم الإداري والمالي، كون النصارى غير مرغوب فيهم في ذلك لإرتباطهم الوثيق بالدولة الرومانية وجماعة الجيش أخوتهم في دينهم. لهذا رأوا أن اليهود باب الملجأ الوحيد فألزموهم شؤونهم المالية.

ولا ندري إن كان هذا شيء مبالغاً فيه فالدكتور جواد علي [4] يعتبر ذلك قائماً على الإفتراض والتخمين للمعروف حتى عصرنا هذا بمعرفة اليهود في الأمور المالية وإدارة المعارف.

---

(١) تاريخ اليهود ـ ص ٣٥ إسرائيل ولفنسون.

(٢) نفس المصدر ص ٣٦.

(٣) The relation betwees Arabs and Israeleites prior the Rise of Islam p. 62.

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام/ جـ ٦ ص ٢٨، د. جواد علي.

أ ـ تاريخ اليهودية في اليمن:

فيما يتعلق ببعض النصوص التي وجدت مدونة في بلاد اليمن، فقد دلّ المستشرق مارجليوث[1] إلى نص مدون على سد مأرب ذكره المؤرخ جلازر وبعده ونكلر يستدل منه على **تهّود** كاتبه، وقد وردت فيه جملة ـ بعل سمين وأرض ـ يعني (رب السماوات والأرض). وكاتبه هو **شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد**، تدل جملته على (التوحيد الصافي والخالص). وإن كانت حينها جملة توحيد **خالص** هي من العقيدة اليهودية إلاّ أن كلمة **بعل** كانت أيضاً من المصطلحات الوثنية المعاكسة للحس اليهودي. كذلك يمكننا القول بأن هذه الديانة قد تكون توحيدية لا يهودية ولا نصرانية، فمثلاً **عبادة الرحمن**، ديانة توحيدية إنتشرت بعد الميلاد في بلاد اليمن وهي لم تكن يهودية أو نصرانية، فالنص المكتوب بات غير واضح مرجعه إلى أي ديانة كانت آنذاك يعتنقها صاحبها.

ونشر المستشرق ونكلر نصّ في بلاد اليمن مكتوب فيه ـ (إسرائيل) ـ و(رب اليهود) ـ وهو: تبرك سم خمن ذا بسمين وسِرال والهمو رب يهود، ذا هرد عبدهمو وتحرم وأمهوبم وحشكتهو (شمم وأولد همو ذمم، وأيشعر وما وكل وأبهه). وترجمته هي (تبارك اسم الرحمن الذي في السماء وإسرائيل وإلهه ورب يهود الذي ساعد عبده شحر وأمه بم وزوجته شمساً وأولاده ذمم والشعير ومثار وكل أهل بيته)[2].

فكلمة (الرحمن) أثارت شكوك المؤرخ هالفي واعتبرها تذكير بعبادة الرحمن التي كان لها اتباعها في اليمن، كما أضاف أن الأسماء الورادة في النص الموجود ليست يهودية أصلاً.

أمّا عن تاريخ ظهور الدين اليهودي في بلدان اليمن فقد كان موضع جدال

---

(١) relation. p 63/Etudes juives vol 23. p122/uninckler I s337

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص٢٨ د. جواد علي أقتبسه من Revue des Etudes

ونقاش حاد بين المستشرقين عبر أرائهم ومقولاتهم، فالمستشرق ولفنسون[1] ذكر أن المستشرق بروكوك وهو من علماء القرن الثامن يرى أن دولة حيمر ظهرت في القرن الأول ق. م لكنه وجد الكثير من المعارضين له بقولهم أنه لو صح ما قاله لكان يوسف المؤرخ اليهودي قد ذكر ذلك وتكلم عن هذه الدولة.

ويضيف ولفنسون أن العالم سيلفترد ـ ساكي يرى أن ظهور اليهودية في بلاد اليمن لم يكن قبل القرن الثاني بعد الميلاد. والمؤرخ شيسفر ينكر صحة هـذا الإدعاء بقوله أنه لو وجدت دولة يهودية في القرن الثاني ق. م لكان التلمود يملأ صحائف يذكر أخبارها، فعدم ذكر التلمود لهذه الظاهرة التاريخية دليل قاطع على عدم وجودها.

فالمجلة الآسيوية الفرنسية برزّت مقالاً ناقضت فيه رأي جميع المقـولات برأي العالم بيرون، فهو يذكر ان دولة حمير لم تظهر إلاّ في القرن الخامس بعد الميلاد، وعلى هذا ذكر الطبري من أن **أحيحة** الذي قاتل تبان أسعد أبي كرب ملك حمير وزعيم الدعوة اليهودية، طلق زوجته سلمة فذهبت إلى مكة وتزوجت من هشام بن عبد المطلب جد النبي محمد ﷺ. وهذه دلالة واضحة على أن مقاتلة تبان لأهالي يثرب كان حوالي نهاية القرن الخامس ق. م[2].

ب ـ تمليك ذو نواس واليهودية:

(زرعة ذي نواس بن تبان أسعد).

دبّ الخلاف بين ملوك حمير على أثر حادثة أوردها ابن هشام[3] خلاصتها أن حسان بن تبان أسعد أبي كرب سار بأهـل اليمن إلى أرض الأعاجم بمهمـة الغزو، إلاّ أن طائفة من رجالاته بزعامة أخيه عمرو رفضت مواصلة السير وقتلت

---

(١) تاريخ اليهود ـ ص ٣٦ ـ إسرائيل ولفنسون.

(٢) Journal Asiatique 1838 November p. 358 [Sur l'introduction de judaisme au yemen].

(٣) السيرة جـ ص ٢٦ / ٢٩.

حساناً وعادت بزعامة عمرو إلى بلاد اليمن، وهذا مما سبّب في تفرقة حمير عن بعضها. فقام رجل من حمير يعرف بـ لخنيعة ينوف فقتل مشاهير ممكلة حمير، بعدها جاءت الفرصة ملائمة لزرعة ذي نواس بن تبان أسعد فعمل على قتل لخنيعة، وجمع حمير تحت سلطته ونصّب نفسه ملكاً عليهم.

ما يهمنا في هذه القصة هي هل كانت للفتن مقاصد شخصية للوصول إلى الحكم وما هي علاقة حسان وأخيه بالديانة اليهودية؟

وهنا يذكر الدكتور ولفنسون[1] بأن الثورة قدهدفت إلى محو اليهودية، ولتبيان ذلك عمد ولفنسون إلى حكمه على المراجع اليونانية من أن ثورة دينية إشتعلت ضد ذي نواس. لكن نسيانه ظاهراً بأن الثورة كانت ضد عمرو بن تبان أسعد.

وابن هشام[2] ذكر بأن ذا نواس كان آخرملوك حمير، وفي آخر أيامه كان هنالك فلول من النصرانية وعلى رأسهم عبدالله بن الثامر، سار إليهم ذو نواس ودعاهم إلى اليهودية، لم يمثلوا فقتل منهم عشرين ألفاً. وقد بين ذلك القرآن الكريم في سورة البروج.

أما عن زمن تمليك ذو نواس فقد ذكر المستشرق غرايتز[3] أن ذو نواس نصبّ ملكاً على حمير عام (٥٢٠ م إلى ٥٣٠ م).

كذلك يعتبر المستشرق غرايتز أن المراجع العربية استسقت معلوماتها من المصادر اليونانية التي لا ترتكز عليها، فهو يذكر أن مؤرخاً يونانياً من مدينة أفزوس يروي خبراً لم تطرق له المراجع العربية وهو أن دومينوس الحميري قد ألقى القبض على بعض التجار من نصارى الروم وقتلهم، وعامل تجار الروم معاملة قاسية للغاية، مما سبب بكساد الأسواق اليمنية، وأدّى إلى غضب اليمنيين، فقام

---

(١) تاريخ اليهود - ص ٤٣ - إسرائيل ولفنسون.

(٢) السيرة - ص ٢٩ - ٣٥ - ابن هشام.

(٣) The histoty of the jews; 3. p 64

أيدوج من أقبال اليمن الوثنيين وأحتّج على سياسة ذي نواس الخارجية، فكان الرد أن اليهود يلاقون في بلاد الروم شتى ألوان التعذيب. مما حدا بأيدوج جمع أقيال الوثنيين وقتل ذي نواس ثم أعتنق بعد فعلته هذه الدين النصراني.

وهنا تختلف المراجع، فالعربية منها تقول بغزو الحبشة لليمن ولم لا وقد حدث بعد ذلك حوادث كثيرة في بلاد اليمن والحجاز، فيما المصادر اليونانية وبرأي ولفنسون[1] نفسه يؤيد الرواية السابقة بقوله أن هذه الثورة من الممكن أن تكون ثورة لخنيعة ينوف الوثني التي عملها بعد مقتل حسان بن تبان أسعد أبي كرب.

هذا التأييد من ولفنسون يحملنا على الرد عليه مرة ثانية حيث أن ثورة لخنيعة صارت ضد عمرو بن تبان وليس ضد ذي نواس.

وفي قضية مذبحة نجران يقول الدكتور جواد علي[2] أنه ليس من الضروري أن يكون تبع اليمن أو القيل الذي عذّب النصارى يهودياً ولا يستبعد أن يكون وثنياً كان يعذبهم ويضطهدهم لأسباب سياسية. فقد كان الروم يحرضون الأحباش على فتح اليمن، لأن في هذا إنتصاراً للروم على الفرس وإنتصاراً لتجار الروم. ولا يستبعد أن يكون الأغنياء من اليهود هم الذين حرضوا على إضطهاد النصرانية ومقاومتها بحجة أنها ديانة الروم أو الحبش، وأن النصارى إخوانهم في هذا الدين، وأنهم يراسلون بعضهم سراً، وإنهم يرغبون في دخول النصرانية إلى اليمن وفي إستيلاء الحبش عليها. فهم من هذه الناحية عنصر خطر وقوم هدّامون يريدون هدم المملكة وتغييرتراثها مما أثار تبع وحمله على تعذيب النصاري في مملكته وغيّر لهم دينهم بالقوة، فالقرآن الكريم أشار إلى ذلك في قوله تعالى **﴿وما نقموا منهم إلّا يؤمنون بالله العزيز الحميد﴾**[3]. والمراد ذكره أن التنكيل والتعذيب حصل في

(١) تاريخ اليهود ص ٤٧ ـ ٤٨ إسرائيل ولفنسون

(٢) اقتبسه د. جواد علي / تاريخ العرب قبل الإسلام جـ د ص ٢٩ Islamic cluture 3; S; p. 198

(٣) سورة البروج.

قوم مؤمنين وهم نصارى نجران، والفاعلين القادميين على هذا الإجرام هم غير مؤمنين بالله، ولذلك لا بد وأن يكونوا وثنيين وليسوا يهود، ومن هذايستدل أن ذي نواس وثني.

ولليهود دور في التحريض على مذبحة نصارى نجران فالرسالة التي أرسلها شمعون الإرشامي إلى رئيس **دير جابولا** في ضواحي حلب أعلمه فيها بما سمعه عن حادثة القتل. وهي رسالة نشرت وطبعت في روما عام ١٨٨١ ميلادية، ثم أعيد طبعها عام ١٨٩٠ ميلادية ضمن **أخبار الشهداء القديسين**، وترجمت من السريانية إلى العربية وطبعت في مجلة المشرق، فحوت الرسالة فيها مطلب من ملك حمير إلى المنذر ملك الحيرة يحمل إليه رجاءاً أن يفعل في نصارى مملكته كما فعل هو في نصارى حمير، وقد، علم شمعون بهذا الخبر من الرسول نفسه حامل الرسالة.

ولإثبات علم شمعون الإرشامي أنه خرج من الحيرة برفقة القسيس **ماراً بإبراهيم بن أوفروس** الذي أرسله القيصر بو سطينان إلى المنذر ملك الحيرة للتوسط عنده بعقد صلح بينه وبين الروم عام ٥٢٤ م. حتى إذا بلغا موضع **الرملة** وجدا المنذر هناك، وقد جاء من **اليمن** إلى المنذر حاملاً رسالة **ملك حمير** فيما فعله في نصارى نجران وتنكيله لهم وكيف استولى على نجران وذبح عدداً كبيراً منهم[1]. وهي رسالة هامة جداً في وصف هذه الحادثة.

وهدف شمعون من رسالته هذه وتوجيهها إلى الأسقف: هو تعريف الأساقفة عليها لإبلاغها إلى رئيس أساقفة الإسكندرية، لإتخاذ موقفاً موحداً في مساعدة أخوانهم المضطهدين على الحميريين وبتحريض من اليهود لإرسال الجيوش إلى اليمن أو مكاتبة النجاشي بنجدة نصارى اليمن.

وندد شمعون الإرشامي في بني قومه من النصارى الذي يؤجرون الأديرة والكنائس لليهود حباً بالمال مع علمهم بأن يهود طبرية يرسلون سنوياً الكهنة

(١) مجلة المشرق ـ السنة ٣١ ـ أيار ١٩٣٣ ـ ص ١٣١ وما بعدها أقتبسها الدكتور جواد علي من كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ٣١.

يحرضون الحميريين على النصارى في اليمن. وطلب إلقاء القبض على رؤساء كهنة طبرية وغيرها من المدن وزجهم في السجن، حتى يكفّوا عن إرسال التحريض إلى ملك حمير وحتى يتوقّف ملك حمير بالتالي عن التنكيل بالنصارى فيشفق على رفاقه اليهود عند سماعه ما سيحل بهم[1].

وفي هذا دلالة كافية على إرتباط يهود فلسطين بيهود اليمن، وعلى الأخص يهود طبرية، وأن تأثير اليهود على ملك حمير كان كبيراً للغاية، لهذا جاء دورهم في التحريض على نصارى نجران.

ويروي الطبري[2] على نتائج مذبحة نجران قوله أن **دوس ثعلبان** قد نجا من تلك المذبحة فسلك الرمال على فرس حتى وصل قيصر الروم وأخبره بما حدث، فكتب قيصر الروم إلى ملك الحبشة يشرح له ما أصاب قوم دينه ويأمره بطلب الثأر، على أثرها جهّز ملك الحبشة سبعين ألف جندي وأرسلهم مع دوس ثعلبان بأمرة **أرياط** ومعهم أيضاً أبرهة الأشرم، ركبوا البحر حتى وصلوا ساحل اليمن. علم بهم ذو نواس فجمع حميّر وقبائل اليمن. دارت المعارك وانتهى بدخول **أرياط** اليمن. فكانت النتائج أن دخل ذو نواس بفرسه البحر وانتهى به العهد.

ونرى المستشرق المؤرخ غرايتز[3] يشرح كيفية مساندة جوستينيان من مصر للحبشة، فيسرد أن الأسلحة والمؤن التي قدمتها الدولة الرومانية الشرقية لملك الحبشة كانت تعزيزاً كافية لإدحار ذو نواس ودولة حمير. وترتب القضاء عليها وخُمدت أنفاس الأقيال الحميرية المتهوّرة أيضاً.

والجدير ذكره أن علماء الآثار والمنقبين والدارسين حاولوا الوقوف على أي شيء يذكر للأقيال الحميرية اليهودية فلم يوفقوا وذلك لإقدام جيش الحبشة على محو كل أثر حميري يهودي أو وثني؛ بحيث أنهم أخفوا كل شيء يناهض الديانة

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣٣ د. جواد علي/ عن مجلة المشرق/ نفس المراجع السنة ٣١.
(٢) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ الطبري.
(٣) The history og the jews 3. p. 66.

المسيحية. وبنوا كنيسة **القليس في صنعاء**، وحاولوا تحويل الجزيرة العربية كلها إلى الديانة النصرانية، فلما باؤا بالفشل، قاموا بحملتهم المشهورة على مكة ليهدموا الكعبة الشريفة فيلفتوا أنظار العرب إلى صنعاء مركزهم، لكنّ حملتهم أصابها الويل والفشل، حيث ذكر ذلك القرآن الكريم[1].

ج ـ أصل اليهود في اليمن:

على كل حال وخلاصة القول كان هم الأحباش طمس معالم اليهودية في اليمن، والتنصر بالنصرانية العامة لأهل هذه البلاد فالدكتور جواد علي[2] يقول أن اليهودية قد بقيت محافظة على وجودها، وبقيت قائمة في هذه البلاد في الإسلام، ورغم أننا لم نجد لهم شأناً ومعارضة له، كما كان أمر يهود يثرب وشمال الحجاز مع الرسول محمد ﷺ ولم يجل اليهود في اليمن كما أُجلي يهود يثرب وخيبر. هذا ولا تزال بقايا من اليهود في اليمن، كما مرّ معنا وعرفناه وعرضاه خلاصة أن يهود اليمن يرجح أن أكثرهم هم من أصل عربي متهود شمل بعض أقيال حمير، تأثروا ببعض الجاليات المهاجرة من فلسطين أو زمن سليمان وملكة سبأ، وعن طريق بعض التجار اليهود الذين وصلوا بتجارتهم إلى الجنوب، أو طريق اليهود في شمال الحجاز أو عن هذه الطرق مجتمعة.

---

(١) سورة الفيل.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ٣٤. د. جواد علي.

* اليهود أجهل قبائل الجزيرة:

إن تاريخ اليهود في الجزيرةالعربية قد استسقي من المصادر العربية الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم، وذلك لأن اليهود في الجزيرة لم يدونوا أشياءهم، بعكس يهود فلسطين الذين كتبوا كل شيء عنهم ويهود اليمن الذين تركوا بعض مخطوطات ونقوش تدل على وجودهم وأماكنهم.

فعدم ورود نصوص عبرانية مكتوبة، وعدم تعرض المؤلفين والكتبة اليهود للأثر اليهودي في الجزيرة العربية، كان محطة تساؤلات كثيرة عن وجود صهيون في الجزيرة وهي ألم يكن لديهم تراث؟ أو لم يكن أحداً منهم يعرف العربية ليكتب فيها حياتهم؟ كذلك أو لم يحسنوا العبرية قراءة وكتابه لوضع وتدوين حياتهم؟

وهنالك سؤالاً آخر رداً على من أثار إلى أن المسلمين قد أزالوا أثار اليهود في الحجاز: لماذا لم تمح الآثارفي بلاد الحجاز مع العلم أنها أخطر وأشد وضد الدعوة الإسلامية في مطلع صدر الإسلام؟ وحيث إجلاء اليهود في الحجاز إلى بلاد الشام أم لم، يحملوا معهم أثارهم ليكتبوها ويعلنوها ويحتفظون بما لديهم من تراث في الجزيرة العربية؟ ولما لم يشر الكتبة اليهود إلى ماضيهم وتراثهم الأدبي، فأحد منهم لم يذكر تاريخ أجدادهم وتراثهم الثقافي والأدبي.

فالدكتور جواد علي يذكّر بأن الوثنية هي آثار بغيضة عند المسلمين[1]، والدكتور ولفنسون[2] يقّر بأنه لم يظهر شيء في النبوغ والعبقرية بين يهود بلاد

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ٨.

(٢) تاريخ اليهودية في بلاد العرب/ ص ١٠ إسرائيل ولفنسون.

العرب مطلقاً، ولم تشتهر بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقي الفكري، ويرى أن البيئة الجديدة شلّت قوى اليهود الروحانية فتغلبت عليهم العقلية البدوية حتى طغت على أفكارهم ونفسياتهم. نزلوا من أوج الحضارة إلى قمة الهمجية.

فهذا المؤرخ اليهودي يرى أن اليهود في بلاد العرب كانوا يعيشون بإنعزالية تامة ومنقطعين عن بقية أبنائهم في العالم. وهذا الرأي اعتمده ولفنسون عن المستشرق غرايتز[1] من أن وجود شهادات من يهود دمشق وحلب في القرن الثالث ق.م. ينكرون فيها وجود يهود في الجزيرة العربية ويعتبرون أن من يعدّون نفسهم يهوداً في جهات خيبر ليسوا يهوداً حقاً. بحيث لم يحافظوا على الديانة اليهودية التوحيدية ولم يمتثلوا لقوانين التلمود كما يجب.

تهوّد بعض العرب:

فالناحية المراد توضيحها هي أن هؤلاء المؤرخون هم على شيء من الضعف في سروداتهم غير القائمة على المسند العلمي: إذ لا يمكن إنكار وجود يهود الجزيرة العربية وذلك لأن أحداث ما بعد القرن الثالث ق.م دلّت على وجودهم في اليمن ويوم بعاث وعلاقة الرسول ﷺ بهم في يثرب وخيبر وتيماء وفدك.

وشهادات يهود حلب ودمشق لا يعتمد عليها في إنكار وجود اليهود في الجزيرة بحجة أنهم لم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعاً تاماً، وذلك لأنه توجد فرقاً يهودية تؤمن بالتلمود، وفرق يهودية أخرى على عكس الأولى.

ويكفي أن نستعيد ذكرى رسالة شمعون الإرشافي لنعرف أنه توجد روابط ما بين يهود طبرية ويهود اليمن، وعلى هذا فإنه هنالك صلات ما بين يهود فلسطين ويهود الحجاز، كون الحجاز الربط وهمزة الوصل بين فلسطين وبلاد اليمن.

فلا نعتقد أن عدم نبوغ أحد في اليهودية يعود إلى عدم ربط اليهود ببعضهم،

---

(١) The history of the jews 3. p.75.

بل لأنه هنالك عدة عوامل حالت دون هذا النبوغ، فاليهود الـذين هاجـروا إلى الحجاز لم يكونوا على مستوى في الثقافة والرقي كجيرانهم العرب، كما لم يكونوا أعلى من مستوى الفلاحين وسكان القرى في فلسطين والعراق زمن هجـرتهم، فالمهاجرين كانوا لا يشكلون سوى العـدد القليل مما لا يوجد مساعد على التعمق والنبوغ[1].

وفي دارسة الإختلاط بين اليهود والعرب، أي في تداخلات اليهودية بالعرب المجاورة، فلقد أشارت الروايات العربية إلى تهوّد بعض القبائل العربية.

فأبوا الفرج الأصفهاني[2] ذكر أن قبائل بني إسرائيل التي سكنت في المدينة إبان نزوح الأوس والخزرج إليها هي بنـو عكرمـة، بنو ثعلبـة، بنو محمـر، بنو زاعوراء، بنو زيد، بنو النضير، بنو قريظة، بهدل، بنو عوف، وبنو القصيص. كما كان يسكن منها بطون من غير بني إسرائيل من العرب. كما ذكر أن بنـي حبشـة قد قتلـوا نفـراً من بني الربعة، ثم لجاؤا إلى تيماء فرفض اليهود أن يؤوهم لأنهم على غير دينهم، فتهودوا، وسكنوا هناك فترة حتى بعد أن انتصر الإسلام.

واليعقوبي[3] أشار إلى أن أغلب الطوائف اليهودية في الحجاز من العنصر العربي المتّهود، والأقلية منهم يهوداً أصلاً، وهذا يؤكده المستشرق مارجليوث[4] أن البطون الإحدى عشر الموجودة في شمال الجزيرة العربي زمن ظهور الإسلام ليست فيها اسم يدل على أنه عبراني سوى قبيلة زاعوراء.

رأينا في نظر اليعقوبي بأنه ليس من الضروري أن تكون أغلب البطون العربية قد تهوّدت وذلك غير ممكن أصلاً في وطن العرب الأصل، فالفرس والروم والهنود وغيرهم من دخلوا الإسلام تسمّوا بأسماء عربية، وعلى هذا فأنه كثيراً من اليهود

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جـ ٦ ص ١١٨ ـ د. جواد علي.

(٢) الأغاني جـ ١٩ ص ٩٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٠.

(٤) Margoliouth; relation p. 60.

في بلاد العرب وأميركا والبلاد العربية الإسلامية سُمّوا بأسماء غير عبرانية، وكانوا ما يزالون على دين يهود، ولذلك لا يمكننا اعتماد الإسم دلالة على هوية الدين والجنس. لهذا ولمّ تقدم يمكننا إعتبار أن تكون البطون اليهودية قد أخذت الأماكن التي نزلوا فيها أسماء لها، وذلك لعدم معرفتهم في نسبهم وأنسابهم. وهذا ما ذكره التلمود في أن الأنساب قد ضاعت بسبب حرق كتب الأنساب من قبل الملك هيردوس اليهودي[1].

ونعلّل سبب تسمية أغلبية القبائل اليهودية بأسماء عربية يعود إلى عدم إرتباط يهود الجزيرة بيهودتهم الخاصة، إذ أن طابع الحضارة العربية أثر على يهود الجزيرة تأثيراً كبيراً، خاصة وأن بعض العرب تزوج يهوديات فتحطمت قيود الزواج بين العرب واليهود إن أسباب عدم إنتشار اليهودية في الحجاز وما بين الأقطار العربية يعود لقراراتها فهي شعب الله المختار وهي صاحبة النظرة المستقلة ولا يمكن أن يختار نبي غير إسرائيلي[2].

ولا ننسى الفرقة نفسها بين اليهود، فجماعة التوراة هم غير جماعة التلمود، وهذه الجماعة الأخيرة لا تعتبر أصحاب التوراة يهوداً يعتدي عليهم فهم منفيون من التلمود الذي برأيهم أصل جوهري. وغيرهم عبدة أصنام.

ومن أهم الأسباب على إعاقة انتشار اليهودية بين البطون العربية هي أن العرب لم يكن يأخذوا بتقاليد وتعاليم التلمود والتوراة لإختلاف بينهما وفروقات. والنفس العربية حرة لدرجة الإستقلال والحرية[3].

وعلى وجه الأهمية نذكّر بحقد اليهود والمحاولات العديدة التي أرادوا الإيقاع بالعرب بعضهم مع بعض ممّا حذّر وأثار الشكوك عند العرب فأبقوهم عند حدّهم، كذلك فإن اليهود سيطروا على لمنافذ المالية للمنطقة العربة مما

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ١٥/ إسرائيل ولفنسون.
(٢) التثنية: الإصحاح ٢١٥.
(٣) التثنية: الإصاح ص ٧٣.

حـدا بالعـرب عـدم التقـارب معهم خـاصـة وأنهم سيـطروا على عصب يثـرب الإقتصادي .

وعلى صعيد العلم، فعامة اليهود من الجاهلية لم تكن على مستـوى من المعرفة بالقراءة والكتـابة، وأحـوال دينهم المكتوبـة، بل كـانوا يقلدون كهنتهم وأحبارهم تقليداً .

واللغة العبرية التي كانت لغة الدين عند العبرانيين في فلسطين، لا بد وأن تكون لغة يهود أهل الجزيرة فهي على معرفة بدرجة الفقه وإتقان علماء طبريا والعراق . وفي هذا لا يستبعد الدكتور جواد علي[1] أن يكون لعلماء اليهود في جزيرة العرب علم بلغة بني أرم لأن عدة كتب من التلمـودين كتبت بها ثم صـارت لغتـهم يتكلمون بها .

وأمّا سواد يهود الجزيرة العربية فيستبعد أنهم كانوا يتكلمون اللغة العبرية وإنما تكلموا لهجة البطون العربية التي عاشوا بينها . وهناك الكثير من الأقاصـيص وعلوم السحر والأساطير عرفت عن اليهود باللغة العربية .

ولهـذا الضعف اليهـودي مستـوى في لغـة اليهـود في الجـزيـرة التي كانت لغة عربية صرفة : فإن المستشرق دوزي حاول التحريف حين أشار إلى أن الإسلام هو دين أقتبس من اليهودية والنصرانية حتى زعم أن بطون شمعون اليهودية هي التي عمرت الحرم وأن شعائر الحج هي من أصل إسرائيلي[2] .

وإذا أردنا التسليم بشيء من أثرٍ لليهود على العرب في الجاهلية فـإنه لا يتجاوز الذين كانوا يختلطون بهم من غير أبناء جنسهم، وذلك لأنه ليس من طبع اليهودي الإهتمام بتعليم غير اليهود. وقصد به أن يـدللو أنهم من صلب جماعـة أخرجت أبطالاً وأنبياءً وأن مجدهم آت لا محالة[3] .

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٢ ص ١١٩ ، د. جواد علي

(٢) اقتبسه ولفنسون في كتابه تاريخ اليهود ص ٨٧ Dozy; Israelites to Mekka

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ٩٣ ، د. جواد علي .

وعلى كونية تداخل بعض الكلمات العبرية في اللغة العربية، نقول بأن أصل اللغتين سامية، فكما يمكن لتسرب بعض المفردات العبرية للعربيـة، يمكن أن تكون مأخوذة مشتركة من الأرومة السامية أصلاً.

ب ـ أثر الديانة اليهودية:

أوصت التوراة بحرمة يوم السبت، وهذا ما حافظ عليه اليهود، إذ لا يجوز العمل فيه، فالعمل أعظم منه فقط عبادة الأوثان[1] وهذا ما نريد لفت النظر إليه بـأن يهـود الجزيرة لم يرتبطوا بهذه الحرمة، مما جعل القرآن الكريم[2] يشير إلى تبديد اليهود لمخالفتهم وصايا التـوراة وتعهاليمها واعتدوا في يوم السبت.

وكانت صلاة اليهودية ثلاث مرات في اليوم باتجاه بيت المقدس، وهذا ما أفرح اليهود في مطلع صدر الإسلام حين صلى الرسول ﷺ (مطلع الهجرة) في المسلمين بتوجههم نحو بيت المقدس[3]. كذلك كانت اليهود في يثرب تنفـخ بالبوق لدعوة الناس إلى الصلاة[4]. في مسائل الخلاف كان الرأي الأخير للأحبار منهم. وهذا ما جعل عبدالله بن سلام مرجعهم مع أنهم لم يكونوا يعلمون بإسلامه وبالتالي فهو من سادتهم وأحبارهم[5].

على المآكل:

من البديهي أن تمنع البطون اليهودية في الجزيرة العربية أنواع اللحوم التي حرمتها التوراة **كالخنزير والغراب والنطيحة والمتردية والمختنقة**. وهنا نشير إلى أن الإسلام حرمّ هذه اللحوم أيضاً، سوى أكل لحوم الإبل التي أخذت شكـلاً

(١) قاموس الكتاب المقدس ١/٥٣٧.
(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١٦٢/ النساء الآية ١٥٣/ سورة البقرة الآية ٦٥.
(٣) البخاري جـ ١ ص ١٨.
(٤) السيرة جـ ٢ ص ١٠١. ابن هشام.
(٥) نفس المصور جـ ٢ ص ١٠٩.

ومنحى وجدال بين الرسول ﷺ واليهود، فاليهودية لا تسمح بأكله، بينما أحلّه الإسلام.

وعاشوراء كانت يوم صوم عند اليهود، فلماهاجرالنبي محمد ﷺ إلى يثرب سألهم عن هذا اليوم، فقالوا فيه أنه يوم صالح، هذا يوم نجيّ بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. فقال الرسول أنا أحق بموسى منكم فصامه، وكانت اليهود تعده عيداً[1].

ومارست أمور السحر والإتقاء منه والتعاويذ، وقد عرفت هذه الطرق عند يهود يثرب، إستعملوا فيها العقد المطمورة بلغة عبرانية كونها لغة دينهم **ولهجة** أروم وهي التي تغلبت على العبرانية، وقد ورد أن رجلاً يهودي أسمه لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ، وقد تأثر به الرسول ﷺ إلى أن استخرج السحر بعد إرشاده إلى مكانه[2].

ونحن نعلم بقصص السحر الموجود عند اليهود منذ زمن النبي موسى عليه السلام وقصته مع السحرة في مصر وقد أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من موضع.

٢ ـ الختان أصل أم نسخ:

ومن بعض الأصول الدينية عند اليهود **الختان**، فقد حمله اليهود إلى الجزيرة العربية، مع العلم أن أكثر القبائل العربية، كانت تقوم به أي قبل لجوء اليهود إلى بلادهم. ومما يؤكد صحة ذلك ذكر التوراة إلى أن عادة الختان قد جلبها الإسرائيليون من موطنهم الأصلي. وهذا أقره ولفنسون[3] بأن الختان لم يتسرب من اليهود إلى العرب، لكنه عاد وحاول التلاعب بهكذا عادة فقال أن هذه العادة

---

(١) البخاري جـ ١ ص ٤٩٨.

(٢) البخاري جـ ١/ باب السحر.

(٣) تاريخ اليهودية ص ٧٩ ـ إسرائيل ولفنسون.

تسربت إلى الجزيرة العربية عن طريق تفسيره بأن اصطلاح **ملةّ إبراهيم حنيفاً**، فذكر بأن العضو التناسلي بعد ختانه يعرف في اللغة العبرية بإسم **ملةّ** كما أن له إسماً خاصاً قبل ختانه وهو **غرله** ومن هنا أطلق اليهـود على كل من أختتن **ملة إبراهيم**، وبما أن الختان لا يؤدي وحده إلى الإيمان، فقد أطلق اليهود على كل من يختتن دون أن يعتنق اليهـودية إسم **حنيف**،وهي تعني **الختـان غيـر الـوافي بالشروط اليهودية**. وهذا ما أراد برهنته ولفنسون بأن العرب أخذوا عادة الختان عن اليهود، ونحن بدورنا نرد عليه كمتبجّح في تفسير الكلمات وجمع الجمل مزاجياً فنقول أن كلمة **حنيف** تعني **الاستقامة** وهذا ماذكره القرآن الكريم.

والنسيء وهي تحليل شهر من الأشهر الحرم، وتحرم شهر مكانه من أشهر الحل وتأخير ذلك الشهر، فقد أورد ابن هشام[١] بأن العرب كانوا يمارسون هذه العادة، لكن إسرائيل ولفنسون[٢] يقول بأن الإفرنج ينكرون بكلمة **نسأة بالعربية** ويميلون ألى القول بأن كلمة نسيء كلمة عبرية تعني الرئيس الديني عند اليهود الذي كان يقدم ويؤخر الشهود ويحدّد مواعيد الأعياد والصوم. وهو اسم قديم عند العبرانيين. وبالتالي فإن ولفنسون يرى أن عادة النسيء موجودة عن العرب القليل قبل الإسلام بفترة وجيزة لكنهم أخذوها عن طريق اليهود.

وكانت اليهود قبل الإسلام تعيب العرب على عبادة الأصنام والأوثان، فقد روى ابن هشام[٣] وعلى لسان سلمة من أصحاب بدر بأنه كان لهم جار يهودي وكان يتحدث دائماً عن الجنة والنار ويوم القيامة والحساب، وعندما كان يسـأل عن ذُلك كان يقول سيبعث نبي من هذه البـلاد، وإذا صحّت هذه الـرواية عن إقتراب ظهور نبي فإنها تكون قد ساهمت في تهيئة قلوب الناس في شمال الجزيرة العربية لقبول دعوة الإسلام.

---

(١) السيرة جـ ١ ص ٤٥ ـ ابن هشام.
(٢) تاريخ اليهود ص ٨١/ سفر الخروج فصل ٣٤/ سفر العدد فصل ٧.
(٣) السيرة جـ ١ ص ٢١٣.

* المجال الاقتصادي

بسبب الخلافات التي كانت قائمة بين أحلاف اليهـود أنفسهم. واحترازاً لشن أي هجوم عربي عليهم في أي فترة من الزمن وذلك بسبب حقدهم ومكرهم واحتقارهم لأمور كثيرة من مالية وغيرها، بنى اليهود القلاع والحصون على رؤوس الجبال.

وقد جلب اليهود معهم إلى الجزيرة أنواعاً من المزروعات واستحدثوا طرقاً زراعية للحراثة، فهم في حياتهم العادية محبـون للزراعة وقـد عاشـوا في دوائر زراعية في مناطق يثرب وخيبر وفدك ووادي القرى عدى عن مناطق الأرياف.

واعتمدوا طريقة المحالفات فكان لكل زعيم يهودي حليف من الأعراب[1] يأمنون شر الغزوات، ويدفعون أتاوات إلى رؤوس القبائـل لتأمين تلك الحمـاية والدفاع عنهم وقت الملمات.

اهتم اليهود بصيد السمك وتربية الماشية وعملت نساؤهم بصناعة النسيج، شأنهم شأن المجمعات البدويـة، لهذا جـاءت معيشتهم طبيعية ومـوافقة لحيـاة البداوة في الجزيرة العربية.

كذلك عرف اليهود بالتجارة المميزة فهم حملوا بعض أنواع الحبوب من بلاد الشام أي مناطق الجزيرة وكانت الأعراب تستدين منهم مقابل رهن لمتاع عندهم

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جـ ٦ ص ١٢٣ ـ د. جواد علي.

يستردونــه بعد إبقاء الدين حتى أن النبي ﷺ رهن له درعاً عند يهودي[1].

عملية الربا كانت معروفة جداً عند يهود الجزيرة العربية مع بعض الأعراب أيضاً الذين كانوا أقل عملاً بهذه من اليهود، فلقد جنى اليهود من هذه العمليات أرباحاً طائلة وغير مشروعة، وقد لمحّ القرآن الكريم[2] بذلك فارغاً إياهم على فعلتهم هذه، كذلك حـرّم الإسلام عملية الربا، فكانت قاصمة لظهر اليهود في إقتصادهم الدنيء.

ومن قبائلهم التي اشتغلت بالصياغة قبيلة قينقاع التي كان لها سوق خاص. وبالحدادة اشتهرت بطون اليهود بأدوات الحفر، منها استعار الرسول ﷺ من بني قريظة أدواتٍ في غزوة الخندق.

استعملوا الأساليب الأقتصادية السياسية لا يدخلون حرباً لكنهم لا يوفرّون فتنة يبقون خارجها كيوم بعاث الذي مرّ ذكره وقد نجحوا في هذا إلى وقت.

(١) البخاري جـ ٢ ص١٦.

(٢) القرآن الكريم سورة النساء الآية ٨٥.

المجال الأدبي وتأثر اليهود بالعادات العربية وبالشعر العربي:

إن الفترة الزمنية الطويلة التي جمعت يهود الجزيرة العربية بأبنائها العرب قد أثرت وطبعّت الكثير من اليهود بالطابع والعادات العربية كالكرم والشجاعة وعزة النفس، فنرى أن الكثير من اليهود وفي مقدمتهم الشعراء قد نظموا أشعارهم بكيفية عربية وعلى رأسهم السموأل بني عاديا صاحب حصن الأبلق في تيماء وغيره مثل سعية بن العريض بن عاديا، وأوس بن دنث، وسارة القريظية، وكعب بن أسد القرظي، والربيع بن الحقيق، وأبو الذّيال، وشريح بن عمران، وكعب بن الأشرف، وأبو اليهودي[1].

وحسب شعرهم هذا لا نرى تلميح أو وضوح لليهودية أو النصرانية، وذلك لأن ألفاظه عربية خالصة، كذلك فإنه لا يختلف في نظمه وتراكيبه عن شعر الشعراء الوثنيين في الجاهلية[2].

وهذا مما جعلنا نبحث في صحة نسب الشعر، فهل هو للشعراء اليهود فعلاً؟ أم أنه نسب إليهم وزال أكثره في بدء الدعوة الإسلامية؟.

وهناك سؤالاً آخر هل أن الشعر اليهودي لم يهج العرب والمسلمين؟ فبديهي أن يُخفى هكذا شعر الذي لا يتناسب مع رسالة الإسلام في كتب السيرة.

فالمؤرخ مارجليوث[3] يذكر أن الوزير إسماعيل بن بلبل طلب من العالم

(١) الجمحي ـ طبقات الشعراء ص ٧٠.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٢ ص ٣٥، د. جواد علي.

(٣) Margulіouth; relation. p. 75.

الدويب ـ المبّرد ـ أن يقدم له ديواناً في الشعر اليهودي، فكأن جوابه أنه لا يعرف شعراء لليهود، ولكن الوزير طلب من العالم ثعلب أن يقدم ما عنده من شعر لليهود فقدم له ديواناً لهم.

فلا ندري إن كان المبرد وثعلب أوصلانالهكذانتيجة، فمن غير المعقول أن لا يكون لليهود شعراً مع أن أبو تمام ذكرهم في حماسته، والجمحي في كتابه طبقات الشعراء. نعتقد أن المبرد على علم بالشعر اليهودي ولكن لا نعرف إذا كان يعتبره مزيف ومصنوع ولهذا لم يعن بجمع ما ورد عنهم[١].

وجب علينا تعريف رأس شعراء اليهود في الحجاز وهو السموأل بن عاديا، فلقد ذكر أنه السموأل بن عريض بن عاديا في راوية، وأنه السموأل بن عاديا دون أن يذكر عريضاً، وفي رواية ثالثة أنه من ولد الكاهن بن هارون بن عمران[٢]، وقد ورد في تاج العروس[٣] أنه السموأل بن عريض بن عادياء وأن سعية بن عريض بن عاديا هو أخوه وهناك عريض آخر هو حفيدالسموأل[٤].

ويروى أن السموأل عبراني وهو أشمويل فأعربته العرب[٥] والظاهر أن هذا الإسم هو المعروف بـ صموئيل.

وللسموأل شهرةٌ أتته عبر قصة معروفة رواها الأصفهاني[٦] مفادها أن امرىء القيس عندما أراد نـزول الشام مـرّ بالسموأل ومعـه خمسة أدراع لأبيـه، أحسن السموأل استقباله ومن معه بنته هند ومرافقين، ثم في نهاية المطاف أودع أمرىء القيس بنتـه ودرعـه لـدى السموأل: وعـزم على السفـر إلى قيصـر عن طـريق

---

(١) نفس مصدر مارجيليوث.

(٢) الأغاني جـ ١٩ ص ٩٨ ـ الأصفهاني.

(٣) الأصمعيات: ص ٨٢/ الإصمعي / تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٤) نفس المصدر ص ٨٣.

(٥) نفس المصدر ص ٨٣.

(٦) الأغاني: جـ ١٩ ص ٩٩ أبو الفرج الاصفهاني.

الحارث بن شمر الغسّاني، أثنائها جاءت جيوش المنذر بن ماء السماء في طلب امرىء القيس، وألقت القبض على ابنٍ للسموؤال وخيرتّه بين قتل ابنه أو تسليم ما لأمرىء القيس عنده (ابنته ودرعه)، لكن السموؤال رفض طلب جيوش المنذر حفاظا على وعده وذمته مما سبّب في مقتل ولده. وقد قال السموؤال في ذلك:

وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصي عادياً يوماً بأن لا ... تهدم يا سموؤال ما بنيت
بنى لي عادياً حصناً حصيناً ... وماء كلما شئت استقيت

وللسموؤال حدث آخر وهو أن الأعشى امتدح السموؤال عندما استجار بابنه شريح من رجل كلبي كان قد هجاه[1]. هذان الحدثان يؤكدان صحة وفاء السموؤال وصحة أشعاره.

ففي القرن الرابع هجري، جمع نفطويه وهو من مشاهير العلماء - أبراهيم بن عرفة - شعر السموؤال في ديوان خاص، ولكتابّنا الحديثين حظاً في طبعه ونشره، فعيسى سابا نشره بعنوان «شعر السموؤال»، وطبعه الأب لويس شيخو بحسب رؤية نفطويه، لكنه زعم أن السموؤال كان نصرانياً ويرجعه نسبه إلى غسان النصراني.

فنحن بدورنا نرد على الأب لويس شيخو بأنه إذا كان مردّ السموؤال لبطون غسان، فلا إثبات له أن تنصّر إذ ليست كل غسان قد تنصرت وخاصة أنه هنالك بطوناً غسانية لم تذهب إلى حدود الشام فقد بقيت على وثنيتها، وليس ما يدعو للشك ما أجمع عليه المؤرخون من أن السموؤال كان يهودياً.

ونستعرض هنا شعراً للسموؤال يُظهر يهوديته ويدل على أنه عاش فترة إسلامية أولى:

نطفة ما منيت يوم منيت ... أمرت أمرها وفيها بريت
كنها الله في مكان خفي ... وخفي مكانها لو خفيت

(١) نفس المصدر جـ ١٩ ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠ ـ أبو الفرج الأصفهاني.

أتتني الأنباء عن ملكداوود فقرت عيني به ورضيت
وسليمان والحواري يحيى ومنى ويوسف كأني وليت
وبقايا الأسباط أسباط يعقوب دارس التوراة والتابوت
وانفلاج الأمواج طورين عن موسى وبعد الملك طالوت

يكفي أن نشير إلى خطوط تحت أسماء لنعرف دين السموأل وعلاقته بالإسلام منذ ظهوره، نراه قد ذكر (داوود وسليمان والحواري ويحيى ويوسف) (والاسباط ويعقوب والتوراة والتابوت) و(موسى) وطالوت الذي ذكره القرآن ولم تذكره التوراة، وللتذكير طالوت هو اسم الملك شاؤل[1].

وهاك البحتري ينسب بعض الأشعار ليهودي آخر وهو عريض بن شعبة[2].

وفي ديوان السموأل قصيدة نسبت له وهي :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداءٍ يرتديه جميل

وفي جملة المستعرض من شعراء اليهود فإننا نذكر سعية بن عريض بن عادياء أخو السموأل وهو لم يدرك الإسلام. كذلك ابن أخي السموأل المشبّه به وكان مسلماً عمّر طويلاً[3]. ومن أشعار أخي السموأل قولاً :

ألا أني بليت وقد بقيت وأني لن أعود كما غنيت[4]

في مراجعة أبياته لدى الأصمعي، لم يدّل أي منها على أنه يهودي.

وللأصفهاني مقولة عن شاعرة يهودية هي سارة القريظية ترثي فيها من قُتل من قومها على يد أبي جبيلة، فهي تقول:

كهول من قريظة أتلفتها سيوف الخزرجية والرماح

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جـ ٦ص ٤٢ د. جواد علي.
(٢) شعر السموأل ـ ص ٥٣ تحقيق وشرح عيسى سابا.
(٣) الأصمعيات ـ ص ٨٢ الأصمعي/ تحقيق أحجمد شاكر.
(٤) نفس المصدر ص ٨٤.

رزئنـا والـرزيـة ذات ثقـل يمـر لأهلهـا المـاء القـراح[1]

كذلك نرى عدداً من الشعراء اليهود وفي مقدمتهم كعب بن الأشرف وهو عربي الأصل أباً وأمه يهودية من بني النضير، عرف مـن شعـراء المعـارضة في شمال الحجاز، وهذا الكعب نشأ بين أخواله اليهود بعد موت والده. عرف بهجو الرسول ﷺ وأصحابه، وشبّب بنساء المسلمين، مما جعل الرسـول ﷺ يغضب عليه ويرسل في قتله[2]. وهنالك مفارقات ونقائض مع شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت. وكعب هذا صعق عندما سمع بانتصارات المسلمين في موقعة بدر، فسار من يثرب إلى مكة يرثي قتلى قريش ويحرّض على المسلمين، فقد قال:

طـحنـت رحى بـدر الـمهـلك أهله ولـمثـل بـدر تـستـهـل وتـدفـع

إلى قوله:

ليـزور يثـرب بـالجمـوع وإنـمـا يحمي على الخشب الكريم الأروع[3]

وقد ردّ عليه حسانّ بن ثابت بقصيدة، كذلك ميمونة بنت عبدالله وهي امرأة من المسلمين، ودارت المناوشات الشعرية فردّ كعب على ميمونة.

وهنا يكمن السؤال هل يبقي المسلمون على الآثار الشعرية لشعراء اليهود وخاصة شعر كعب بن الأشرف في هجائه للرسول ﷺ وللمسلمين ولنسائهم؟

بالطبع لا، وهذا ما دعا لطمس الشعر اليهودي إلاّ ما فرز منه غير الذي مسّ بالدين وبالرسالة الإسلامية السماوية، وكان خالياً من الهجاء المقذع[4].

كذلك نرى شاعراً يهودياً آخر يبرز معادياً للإسلام وهو سماك اليهودي الذي هدّد المسلمين وتوعدهم فمن شعره:

---

(١) الأغاني ـ جـ ١٩ ص ٩٦ ـ أبو الفرج الأصفهاني.

(٢) نفس المصدر جـ ١٩ ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) السيرة ـ جـ ٢ ص٥٢/ ابن هشام.

(٤) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ص ٩٩ب/ يحيى الجبوري.

إن تفخروا فهو فخر لكم بمقتل كعب بن الأشرف
فعل الليالي وصرف الدهور بديل من العادل المنصف
بمقتل النضير وأحلافها وعقر النخيل ولم تقطف
فإن لا أمت نأتكم بالقنا وكل حسام معا مرهف

وأضاف في قصيدة ثانية:

قتلتم سيد الأحبار كعباً وقد ما كان يأمن من يجير
فإن نسلم لكم نترك رجالاً بكعب حولهم طير تدور
كما لاقيتم من بأس صخر بأحد حيث ليس لكم نكير[1]

وغيرهم من الشعراء اليهود أمثال جبل بن جوال الثعلبي الذي دار في مناظرة مع شاعر المسلمين حسان بن ثابت.

وهنا لا بد لنا أن نذكر قول مرحب اليهودي الذي خرج من حصن خيبر بعد حصار الرسول ص لهم، فحمل سلاحه وقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أفي حماي للحمى لا يقرب[2].

على أثنائها خرج له محمد بن سلمة فقتله وعلى الأصحّ قتله الإمام علي.

ومن الشعراء اليهود الذين أقرّوا بدعوتهم لإعتناق الدين الإسلامي قول أوس القريظي حين دعته زوجته وهي امرأة من بني قريظة التي أسلمت:

دعتني إلى الإسلام يوم لقيتها فقلت لها لا بل تعالي تهوّدي
فنحن على توراة موسى ودينه ونعم لعمري الدين دين محمد
كلانا يرى أن الرسالة دينه ومن يهتد أبواب المراشد يرشد[3]

---

(١) المرجع بن ص ١٩٧.
(٢) الكامل جـ ٢ ص ٨٣ - ابن الأثير. السيرة جـ ٢ ص ٣٣٣/ ابن هشام.
(٣) الأغاني - جـ ١٩ ص ٩٧ - أبو الفرج الأصفهاني.

ونستدل في ذلك على أن اليهود في شعرهم كانوا يكيدون للإسلام وللمسلمين، فهم الداعون لإستئصال المسلمين دون ذكرهم للدين الإسلامي ولحقية وجوده وعمله على الناس باطناً وظاهراً، لذا كان من المتوقع أن ينهج الشعراء نهج أخوانهم الأخبار، ليحاجوّا الرسول ﷺ بمسائل دينية شعراً كأمثال أحبارهم.

المهم أن أغلبية شعراء اليهود كانوا من مواطني شمال الحجاز، أما يهود اليمن وغالبية أنحاء الجزيرة العربية لم يشر أحد من الأخباريين إليهم. فجمهرة شعراء الجاهلية هم ساكني الحجاز ونجد والأقسام الشمالية من الجزيرة العربية[1].

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جـ ٦ص ٤٩/ د. جواد علي.

تأسيس الدولة الاسلامية

الطريق صعبة وشاقة في بدء دعوة النبي الكريم محمد ﷺ؛ فالمجتمع المكي القائم على عبادة الأوثان عارض الدعوة الإسلامية وحاول دحرها وإغراء الرسول ﷺ بالتخلي عن دعوته لقاء أخذ ما يحلو له، فالمهم عند المكيين أن مكانتهم تبقى على حالها من النواحي الإقتصادية خاصة وأن أنظار العرب التفتت نحو الكعبة.

فمجيء الإسلام على مناطق الجزيرة العربية كان ضربة قاصمة للمكيين، بحيث أصبح الوضع من التضارب في الآراء والمصالح، فالرسول ﷺ في دعوته السامية مناوىء لواقع التجارة الخاصة والسادة والعبيد فضلاً عن التساوي العام بين جميع أبناء البشر.

قرّر أهل مكة إضطهاد النبي محمد ﷺ، فلجأ المشركون إلى الأذى المباشر وغير المباشر، مما حدى بسادة قريش أن ابتكروا أشد الأساليب في وحشيتهم لتعذيب الفئة المسلمة واضطهادها، وترتب على تلك الأفعال المشينة أن بدأ الرسول يفكر في إيجاد المخرج الملائم لحماية أصحابه من فتنة قريش.

وعليه فلقد أرتأى الرسول ﷺ هو وأصحابه الهجرة إلى بلاد الحبشة[1]، وبالفعل هاجر إليها ثلاثة وثمانون رجلاً من المسلمين هذا عدا النساء والأطفال[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، المجلد الأول ص ٢٠٤ ابن سعد.

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٧.

استقبلهم النجاشي وأحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم[1]، عزّت هذه الظاهرة على سادتهم قريش مما دفعهم في ترتيب وإعداد فتنة النجاشي عليهم والإيقاع بين المضيف والمستضاف وذلك بالتفرقة الدينية إلاّ أن عملهم هذا باء بالفشل الذريع[2] .

وبعدها عاد بعض المهاجرون إلى مكة، بينما هاجر البعض الآخر إلى يثرب بعد هجرة المسلمين إليها .

ولهجرة النبي المصطفى ﷺ إلى بلاد الحبشة دون غيرها من جهات الجزيرة العربية أهداف بث ونشر الدعوة الإسلامية، عكس ما أشار إليه المستشرق مونتغمري وات[3] من إحتمال طلب المساعدة كي يتمكن النبي محمد ﷺ من العودة إلى مكة بشكل نافذ خاصة وأنها أصبحت بيد الفرس عوضاً على ما رآه النبي ﷺ من جعل الحبشة قاعدة لمهاجمة تجار مكة .

بينما يرى ابن هشام[4] أن سبب الهجرة إلى الحبشة كانت لحماية أصحاب الرسول من بلاء أهل قريش، وما هو فيه من مأمن، حتىّ قال عمه أبو طالب للقوم المهاجرين لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. على أثرها خرج المسلمون مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .

فلرأي المستشرق مونتغمري توزيع حاز فيه عن الدعوة الإسلامية البحتة التي هدف إليها النبي ﷺ واعتبره موقف سياسي فيه منفعة لصاحب الدعوة وهدف إعادة السلطة عن طريق النجاشي . وللنجاشي نفسه على مناطق نفوذ الجزيرة العربية بعدما أصبحت بيد الفرس خاصة وأنهم كانوا يسعون لإستملاكها منذ زمن قديم .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٠٧ .

(٢) السيرة ـ جـ ٣٦٢١ ـ ابن هشام .

(٣) Montgomery watt: Muhammad prophet and Statesman. p 68

(٤) السير جـ ١ ص ٣٤٣، ابن هشام .

ومن المعروف أن الرسالة السماوية الإسلامية قد بدأت في موسم الحج، وهذا ما جعل القبائل العربية تتمسك بدينها الوثني، هذا بالإضافة إلى ربط الود والوفاق على الصعيد التجاري بين قريش وأهل الحيرة وبلاد الشام، ويضيف الدكتور حسن إبراهيم حسن[1] أما الذي منع النبي ﷺ من الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من المسيحيين واليهود في جنوب الجزيرة العربية أو شمالها فهو الخصام والتنازع بين المسيحيين واليهود فكيف يرغبون في منافس ثالث خاصة أذا كان عربي.

كذلك نعلّل عدم هجرة الرسول (ﷺ) إلى يثرب هو إدراك النبي (ﷺ) أن الظرف السياسي في يثرب وما كان عليه الأوس والخزرج واليهود من خلافات من جهة، والعلاقات الوطيدة بين سكان يثرب وقريش من جهة لا يساعد على الهجرة إلى يثرب في الفترة التي تمّت فيها الهجرة إلى الحبشة.

وقد ذاع صيت المسلمون بدعوتهم، فبدأوا يجهرون الدعوة، مما حدا بالقريشيين مقاطعة المسلمين مقاطعة تامّة إن على الصعيد الإقتصادي أو على الصعيد الإجتماعي، في تلك الإثناء توفي أبو طالب عم الرسول (ﷺ) ثم تلته زوجته خديجة السندين الأولين لدعوة النبي (ﷺ)، فأخذت قريش تتهدد وتشتد في تعذيب المسلمين والرسول (ﷺ)[2].

فهذا الهوان من قريش جعل الرسول (ﷺ) يستنجد بثقيف وعرض عليها دعوته، وكانت الطائف أشد في إيذائه؛ فاضطر للعودة إلى مكة بمساندة المطعم بن عدي أحد أشراف مكة[3].

في معرفة ما إذا كان وجوداً لليهود في مكة قبل مبعث الرسول (ﷺ) وفي خلال دعوته؟ يذكر الواقدي أن افراداً مَن اليهود كانوا يأتون إلى مكة لأشغال

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني جـ ١ ص ٨٧.

(٢) المختصر في تاريخ البشر جـ ١ ص ١٢٠ / أبو الفدا ـ السيرة جـ٢ ص ٢٥ / ابن هشام.

(٣) الطبقات الكبرى ـ جـ١ ص ٢١٢ ابن سعد

تجارية، وأن أهل مكة كانوا يقصدون خيبر ليجلبوا منها حلي أبـي حقيق. ويضيف أنه كان في مكة عبد من اليهود يدعى عبد الدار بن جبر دخل في ذمة رسول الله (ﷺ) بعد أن سمع منه سورة يوسف، فكان لها وقع حسن في نفسه، فألحق به مشركو مكة الأذى بسبب ذلك، فأعطاه الرسول بعد فتح مكة مالاً، فتزوج بأمرأة شريفة من بنات مكة[١].

كذلك يروي ابن الأثير[٢]، أنه كان لعبد المطلب جار يهودي يقال له أذينه موفقاً في تجارته فغاظ ذلك حرب بن أمية، فـأوعز إلى فتيـان من قريش فقتلوه وأخذوا ماله، علم عبد المطلب بالأمر، فأخفى حرب بن أمية قتلة اليهودي، فأجبر عبد المطلب بن أمية على دفع مائة ناقة لابن عم اليهودي كدية قتل.

والبلاذري[٣] يقول أنـه كان في الـطائف قوم من اليهـود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا فيها للتجارة، ومن بعضهم إبتاع معاوية أمواله في الطائف.

المصادر العربية الإسلامية كلها أشارت إلى تواجد اليهود في مكة والطائف بسبب المصالح التجارية فقط وليس للإقامة أو الموطن. وهـذا مما يستـدل من المستشرق ولفنسون[٤] بأنه لو كان لليهود إقامة في مكة لكان لهم حي خاص أو معبد خاص يقيمون فيه صلواتهم. كذلك لم تشر المصادر التاريخية إلى أقل شأن في إقامة اليهود في مناطق مكة.

أ ـ حديث اليهود في رسالة محمد ﷺ

قبل بحث الروايات القائلة بمبعث النبي ﷺ، يجدر بنا الإشارة إلى أن بعض علماء اليهود في يثرب واليمن حدثوا عن مبعث النبي ﷺ؛ وما ورد في العهـد

(١) كتاب المغازي ص ٢٧٧، ٣٤٩/ الواقدي.
(٢) الكامل في التاريخ المجلد الثاني ص ١٥. ابن الأثير.
(٣) فتوح البلدان ـ ص ٦٧ البلاذري.
(٤) تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ ص ٩٤ إسرائيل ولفنسون.

القديم من الكتاب المقدس إلى ذلك. وهذا مما جعل أهل يثرب تقبل الدعوة الإسلامية قبل غيرهم من العرب.

وقد أورد ابن هشام[1] أن ما دعا سكان يثرب إلى الإسلام هو ما سمعوه من رجال اليهود يعيرونهم بأنه زمن قدوم مبعث نبي وأنهم سيتبعونه ويقتلون العرب قتل عاد وأرم. فلما بعث النبي ﷺ لبّى العرب النداء. وفي هذا نزلت الآية القرآنية **﴿ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جآءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**[2].

وفي رواية أخرى لإبن هشام على لسان سلمة بن وقش في يثرب أنه كان لهم جار يهودي، فذكر الجنة والنار، فاستهجن الناس ذلك فحلف لهم مؤكداً ذلك، فقالوا وما آية ذلك فقال: نبي مبعوث من هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن، فسألوه ومتى نراه، فنظر إلى أحدثهم سناً وقال أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، فقال سلمة فوالله ما أن بعث الله محمد ﷺ والغلام حي بين أظهرنا.

كذلك يورد الحلبي[3] أن العباس بن عبد المطلب عندما كان في تجارة في اليمن سأله حبرٌ من اليهود نشدتك بالله هل كان لإبن أخيك صبوة، قلت لا، والله ولا كذب، ولا خان، وما كان إسمه في قريش إلاّ الأمين، قال، هل كتب بيده فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود.

فكتب السيرة في ذلك لم تشر إلى اسم النبي صراحة، لكنها دلّت عليه وعلى صفاته. والسؤال يكمن هنا لإجابة صريحة عليه وهو: ما هي النصوص التي اعتمدها الأحبار من كتاب التوراة عن نبوّة محمد ﷺ؟

فالكتاب العزيز يشير في آياته صراحة إلى أن التوراة حرّفت وابتعدت عن

---

(١) السيرة ـ جـ ١ ص ٢٣١ ـ ابن هشام.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٨٩.

(٣) السيرة الحلبية جـ ص ٢١٨/ علي برهان الدين الحلبي.

أصلها(١). وهذا ما يدل على التحريف في التوراة لجهة نبؤة محمد ﷺ التبشريـة.

وهنالك بعض الدلالة على النبؤة ففي سفر التثنية «أقيم لها نبياً من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»(٢)، فمن بديهي الأمور أن النبي المماثل لموسى في الرسالة والشريعة هو النبي محمد ﷺ وأخوة بني إسرائيل هم العرب لأنهم يجتمعون في إبراهيم؛ فقوله ﴿**واجعل كلامي في فمه**﴾ يوافق حال النبي محمد ﷺ **من عدم الكتابة والأميّة**. لذا فيستبعد أن يكون المسيح مقصوداً بهذا النص لأنه من بني إسرائيل وليس من أخوتهم.

وفي سفر أشعيا يذكر «وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبتـين يا قوافل الددانيين، هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من يمام السيوف قد هربوا. . . ومن أمام شدة الحرب»(٣). ففي هذا النص دلالّة لما سيواجه هؤلاء القوم في بلاد العرب ودور سكان تيماء في أعاشتهم وهروبهم.

وعلى العـلاقة بين مشـركي قريش ويهـود يثرب وعـربها في زمن الـدعوة الإسلامية في مكة، فقد أورد ابن هشام(٤) أن قريشاً أرسلت النظر بن الحـارث وعقبة بن أبي مغيط إلى أحبار المدينة، وسألوهم عن محمد ﷺ وأخباره، فـردّ الأحبار بأن يسألاه عن ثلاث فإن أخبر بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، وفعلاً عادا إلى مكة وسألاه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وعن الرجل الطواف وعن الروح، فأخبرهم الرسول ﷺ عمّا سألوا عنه.

وللدكتور ولفنسون حصة في رواية قريش فهو يقول أن الرسـول ومشركي قريش قد احتكموا إلى يهود يثرب ـ ونحن بدورنا لا نراه إحتكاماً أبداً ـ وإنما قريش

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٥ ـ ٧٨.

(٢) الإصحاح الثامن من عشر ـ فقرة ١٨.

(٣) الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ١٣.

(٤) السيرة جـ ١ ص ٣٢٠ ـ ابن هشام.

استوضحت من طرفها عن أخبار محمد ﷺ وعن رسالته من أحبار اليهود ليتأكدوا منه ومن نبؤته. ويكفي لأن نرد على المستشرقين وغيرهم بسورة الكهف في القرآن الكريم لأنها كانت سبباً في الرد على كل سؤال.

وعن شؤون الدعوة الإسلامية واتصال الرسول ﷺ بيهود يثرب، فلا شيء يشير إلى أي بحث في شؤون هذه الدعوة بين الرسول وأي نفر من اليهود قبل الهجرة[1].

ب ـ ظروف بنية الإسلام:

رباه (إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي)[2]، هذا ما قاله النبي المصطفى ﷺ حين تسلط عليه سفهاء الطائف، لكنه لم يـأبه لهم وبقي مستمـراً في نشر رسالته. وما أن عاد إلى مكة حتى تلقته قريش بأصناف الأذى.

نهج النبي محمد ﷺ منهجاً جديداً في دعوته فأخذ يدعو الحجاج القادمين من كل صوب ونحو في الجزيرة العربية إلى الإسلام، ومما ساعده في ذلك إفتراء قريش عليه إذ أخذ يبثون بين الحجيج أن محمداً ساحراً أحياناً ومجنوناً حيناً آخر. فصارت مجموعات كثيرة من الحجّاج تتشوق لرؤية النبي ﷺ كي يتحققوا من صحة هذه الأنباء ومقارنتها بدعوتـه السماويـة. وهكذا بـدلاً من أن يسعى محمد ﷺ لملاقاتهم فقد أصبح الناس يسعون لملاقته سراً وعلانية. فوجدوا أن أهل مكة قد إفترت على الرسول ﷺ وكذّبو به فهو أشد الناس عقلاً وعلى الأخص أهل يثرب الذين سمعوا النبي الكريم ﷺ فأحبوه[3]. وعلى أثرها إعتمد على يثرب بأن تكون المركز الذي يشق الإسلام منه طريقه.

ولهذا الرجاء في نشر الدعوة الإسلامية من يثرب أسباباً. منها:

---

(١) Montgonary; watt. Muhammad at Medina p. 195.

(٢) زاد المعاد جـ ٢ ٤٦ ـ ابن القيم.

(٣) التاريخ الإسلامي العام والحضارة الإسلامية جـ ١ ص ١٢٧ / أحمد شلبي.

ـ مجاورة العرب في يثرب لليهود. وما كان لها من أثر روحي عليهم لما سموه من اليهود عن الله والوحي. خاصة بالإنذار الدائم من أنه سيبعث نبي يقضي عليهم ويتابع يهود.

وهذا الإتصال هيأ الأوس والخزرج في يثرب أن يكونوا مستمعين للحديث في الشؤون الروحية وشؤون الدين أكثر من غيرهم. لذلك لم تستجب العرب لدعوة محمد ﷺ مثلما أستجاب أهل يثرب[1].

ـ العداء المتصل بين العرب واليهود ومنها الإيقاع بين بطون الأوس والخزرج.

ـ حروب الأوس والخزرج جعلت كلاً منهما تسعى لأيجاد من يساندها وخير مثال على ذلك **يوم بعاث**. يجدر بنا الملاحظة إلى أن للنبي ﷺ **أخوال** بين سكان يثرب كان له أثر في الفتهم وقبول الدعوة الإسلامية.

لم تقدم ولهذه الأسباب اعتنق الأوس والخزرج الإسلام مسابقةً قبل اليهود. كذلك سارعوا فيما بينهم الخزرج قبل الأوس. كذلك حاولت الأوس.

ومن مظاهر الخلاف بين الأوس والخزرج، الوفد الذي أرسلته الأوس لتحريض قريش على الخروج ومحاولة الرسول ﷺ دعوة أعضاء هذا الوفد إلى الإسلام.

فإبن هشام[2] أورد فيما مفاده بأن الرسول ﷺ جلس إلى بعض أعضاء الوفد المرسل لتحريض قريش فدعاهم إلى الإسلام وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، كما تلا عليهم القرآن. وكاد أياس بن معاذ أن يستجيب لولا أن أبا الحسير أنس بن رافع نهاه عن ذلك. وعاد الوفد إلى يثرب. واثنائها حدثت معركة بعاث بإنتصار الأوس على الخزرج.

ولليهود دور هام في هذا اليوم، فهم استعادوا مكانتهم، لكنهم سرعان ما

---

(١) حياة محمد ص ٢٠٠ محمد حسين هيكل.

(٢) السيرة جـ ٢ ص ٣٧/ ابن هشام.

عادوا وخسروا هذه المكانة إذ أن نفر من الخزرج في موسم الحج بعد هذه الحرب خرجوا إلى مكة، فإستقبلهم الرسول ﷺ وأحسن إستقبالهم، وجلس معهم عند العقبة، ودعاهم إلى الله خاصة بعدما بتقربهم إليه فقالوا له: (إن تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك لعل الله يجمعهم عليه)(١).

هذا الجمع كان ستة أنفار عادوا إلى بلادهم ونشطوا في بث الدعوة والدين الجديد، ولم تبق دار عربية إلّا ودخلها ذكر رسول الله ﷺ.

وفي السنة الثانية عشرة للبعثة وفي موسم الحج خرج إلى مكة اثنا عشر رجلاً من يثرب فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام **بيعة العقبة الأولى**، عرفت أيضاً **ببيعة النساء** لاشتراك امرأة فيها، بايعوا النبي ﷺ على أن لا يشركوا بالله ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم أو يأتوا ببهتان(٢).

وقد أرسل النبي ﷺ مع هؤلاء القوم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، وكان لمصعب دوراً بارزاً في تجميع قلوب الناس من أوس وخزرج على دين محمد ﷺ وإزالة الخصومة بينهما. وعلى يديه دخل الكثير من أشراف مكة الأسلام. كذلك عمل على التهيئة لبيعة العقبة الكبرى التي تمّت في السنة الثالثة عشرة للبعثة في موسم الحج، عندما قَدِم ثلاثة وسبعون شخصاً من يثرب إلى مكة، وعزموا على مبايعة الرسول في دعوته.

واجتمعوا بالرسول ﷺ ليلاً لإخفاء الأمر، والجدير ذكره أن من بين المجتمعين العباس عم النبي ﷺ، بايع المجتمعون الرسول ﷺ على هلاك وأموال وقتل أشراف مكة. وقال لهم أبو الهيثم أحد زعماء الخزرج «إن بينناوبين الرجال جبالاً وإنا قاطعوها، فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى

(١) نفس المصدر جـ ٢ ص ٣٨.
(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٥٠.

قومك وتدعنا؟ فتبسم الرسول ﷺ وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، واسالم من سالمتم»[1]. بعدها خرج اثني عشر نقيباً على قومهم، بتسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

فبعض المستشرقين يرى أن الرسول ﷺ وعد نفر الخزرج في البقية الأولى أن يقاتل أعداءهم الأوس. فهذه مقولة غير مسنودة إلى دليل. لأنها في المبدأ ضد رسالة محمد ﷺ التي تدعوا الى عدم إثارة الفتن القبلية.

وفي بيعة العقبة الثانية إجتمع الخزرج والأوس على أعداء اليهود في يثرب. إلّا أن الرسول ﷺ كان بعيد النظر ولم ينظر لليهود نظرة توحي بالعدوان.

فبيعة العقبة الأولى والثانية اعتبرت نجاحاً عسكرياً بارعاً للرسول ﷺ خارج مكة فهي الباب لهجرة المسلمين إلى يثرب.

وتكملة لبحثنا في موضوع الهجرة وجب علينا الإشارة إلى ما يعتبر سنداً ودعماً للتتمة وهي:

- موقف اليهود في يثرب بعد سماعهم عن أخبار الإسلام في بيعتي العقبة؟

إن أغلبية المصادر الإسلامية قد سكتت عن كشف هكذا موضوع، إلّا أن اليهود كانوا على علم بما يدور حولهم وبالفعل فقد سكتوا عن إثارة أية حركة، إذ أن مصعب بن عمير وهو في المدينة لم يحصر دعوته بالعرب فهو قد تجاوزها إلى اليهود، لكنه لم يلق تجاوباً منهم. فسكوت اليهود جاء على أمرين:

أولاً: إن بطون اليهود في يثرب لم تكن على وئام فيما بينها، ففي يوم بعاث أعملت قريظة والنضير السيف في رقاب بني قينقاع.

ثانياً: لم يأخذ اليهود مأخذاً أن الخزرج والأوس سيلبون دعوة النبي محمد ﷺ وأن الأمور ستسير ضدهم، كذلك اعتقدوا أن بإمكانهم التوقيع بين تجمع المسلمين.

---

(١) السيرة: جـ ٢ ص ٥٢ - ابن هشام.

هل كانت قريش على علم مسبق بما كان يجري من اتصالات بين الرسول وأهل يثرب؟ وهل كان ليهود يثرب دور بما جرى بين مشركي قريش والنبي ﷺ قبل الهجرة؟

فمن أولويات الأمور المسلم بها أن قريش كانت على علم بما كان يجري بين الرسول ﷺ وأهل يثرب، فرحلة مصعب بن عمير إلى يثرب وإنتشار الإسلام بمعونته لم يعد سراً، بل أصبح علانية خاصة أيام الحج، كما أنه من الطبيعي أن يحذّر يهود يثرب قريشاً من أمر الدين الجديد، لأن علاقتهما ببعضهما كانت رمز الود والمصلحة الواحدة. على الرغم من مغابن اليهود في أمور المسلمين.

والملفت للنظر في هذا الموضوع هو أن خبر بيعة العقبة الثانية قد علم في اليوم التالي على رغم التكتم الشديد الذي أحيط بالإجتماع بحيث تمت المبايعة ليلاً كما ذكرنا.

ولنقل خبر المبايعة هنالك إحتمالين:

الأول منهما: تنبّه قريش للأمر، فراقبت النبي ﷺ دون علمه، أو علمت بعلم عينٍ من عيونها.

الثاني: أن أفراد اليهود من تجار موسم الحج الوافدين إلى مكة للتجارة قد رأوا أهل يثرب على حال غير عادية فعلموا بالأمر ونقلوا الخبر إلى قريش[1].

وعليه استوضحت قريش هذا الخبر بعد المبايعة مباشرة أي في صباح اليوم الثاني، فأنكر عرب يثرب الأمر[2].

كذلك أدركت قريش الأمر خاصة وأن المسلمين هاجروا إلى يثرب على شكل أفرادٍ وجماعات عملت قريش على تعقب المسلمين، لكنها فشلت فقرر أهل

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٠٨/ إسرائيل ولفنسون.

(٢) السيرة جـ ٢ ص ٥١ ابن هشام.

قريش قتل الرسول ﷺ بحيث تشترك كل القبائل في عملية القتل.

وهنا أنجى الله تعالى الرسول ﷺ من مخطوط قريش، إذ يوحى إليه بالهجرة مع صاحبه أبو بكر وترك ابن عمه علي بن أبي طالب نائماً في فراشه، هذا العمل الذي دلّ على فداء علي للرسول من تهديدات قريش حفاظاً على تنفيذ النبي ﷺ في إتمام رسالته. وقد سلك نبي الله طريقاً في هجرته تدل على علمه بأمور الأرض والمناطق. ولهذه المسيرة شرحاً كافياً عند ابن هشام[1].

طال إنتظار المسلمين للرسول ﷺ في يثرب والجدير ذكره أن أول من رأى الوفد قادماً إلى يثرب وعلى رأسهم الرسول ﷺ رجل يهودي فصرخ بأعلى صوته (يا بني قيلة: هذا جدكم قد جاء). فاستقبل الرسول استقبالاً مميزاً، واعتبرت السنة التي هاجر فيها الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة سنة العدّ الزمني لهذا الحدث العظيم.

ج ـ قانون النبي ﷺ في المدينة

أول وصول الرسول ﷺ الى المدينة قام ببناء المسجد النبوي الشريف، فأصبح مكاناً للعبادة، كذلك أصبح مقراً يجتمع فيه المسلمون لتعليم الدين الإسلامي والتباحث في كل أمورهم.

فالمدينة بعد هجرة الرسول اصبحت قائمة على ثلاثة أنواع من السكان:

- المسلمين من مهاجرين وانصار.
- اليهود بقبائلهم المختلفة.
- القليل من العرب الذين لم يعلنوا إسلامهم وبقوا على شركهم.

هذه الفئات الثلاثة جمعت المتناقضات، خاصة وأن أسباب العداوة بين الأوس والخزرج لم تنحى جانباً بعد، رغم إسلامها، والمهاجرون فرّوا بدينهم وتركوا كل ما يملكون في مكة. كذلك القبائل اليهودية التي كان لها وزنها

(١) نفس المصدر جـ ٢ ص ٩٧/ ١٠١.

الإقتصادي والعسكري، فكان مما لا بدّمنه تجنب شرّها والسعي لكسب صداقتها تحسباً لم قد يواجهه الرسول ﷺ من عدوان قريش على المسلمين.

عمل النبي ﷺ حرصاً لدرء الأخطار الخارجية على أمرين هامين:

ـ أولهما: المؤخاة: فلقد آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار بصرف النظر عن القرابة وتوريث الممتلكات. وقد ضرب المثل في تآخيهم.

ثانيهما: معاهدات التعاون بين المسلمين وغير المسلمين. فالرسول من نظّم العلاقات بين المسلمين؛ نفسهم؛ وبينهم وبين اليهود في المدينة من جهة أخرى، فإبن هشام[1] أثبت ذلك في سيرته نقلاً عن ابن إسحق وتوالت بعده عن السنة المؤرخين وكتابهم. فلقد أورد ابن هشام بالنص الحرفي ما يلي:

١ ـ هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

٢ ـ أنهم أمة واحدة من دون الناس.

٣ ـ المهاجرون من قريش على ربعتهم[2] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[3] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤ ـ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٥ ـ وبنو الحارث ـ من الخزرج ـ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٦ ـ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأول، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(١) السيرة جـ ٢ ص ١١٩ج/ ابن هشام/ البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٢٤/ ابن كثير.
(٢) ربعتهم: أمرهم.
(٣) عانيهم: أسيرهم.

٧ ـ وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٨ ـ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٩ ـ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٠ ـ بنو البنيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١١ ـ وبنو الأوس على ربعتهم الأولى يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٢ ـ وإن المؤمنين لا يتركون مفرجاً بينهم[١] أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

١٣ ـ وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى (دسيعة)[٢] ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.

١٤ ـ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن.

١٥ ـ وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض دون الناس.

١٦ ـ وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

---

(١) المفرج: من أثقلة الدين.

(٢) دسيعة: الدسع: الدفع/ على سبيل الظلم.

١٧ ـ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلّا على سواء وعدل بينهم.

١٨ ـ وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

١٩ ـ وإن المؤمنين يبيء[1] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

٢٠ ـ إن للمؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك ما لا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن.

٢١ ـ وإنه من اعتبط[2] مؤمناً قتلاً عن بنيه فإنه قود به، إلّا أن يرض ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم القيام عليه.

٢٢ ـ وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه لصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً، أو يؤديه، وأنه من نصر أو آواه فإن عليه لعنه الله وغضبه يوم القيامة والا يؤخذ منه حرف ولا عدل.

٢٣ ـ وإنكم مهما إختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ.

٢٤ ـ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٢٥ ـ وإن اليهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم ومواليهم وأنفسهم إلّا من ظلم أو أتم، فإنه لا يوتغ[3] إلّا نفسه وأهل بيته.

٢٦ ـ وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٢٧ ـ وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٢٨ ـ وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٢٩ ـ وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

---

(١) يبيء: يمنع.

(٢) اعتبط: قتل بلا سبب للقتل.

(٣) يوتغ: يهلك ـ يفسد.

٣٠ ـ وإن ليهود بني الأدلس مثل ما ليهود بني عوف.

٣١ ـ وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف.

٣٢ ـ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

٣٣ ـ وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الآثم.

٣٤ ـ وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٥ ـ وأن بطانة يهود كأنفسهم.

٣٦ ـ وإنه لا يخرج منهم أحد إلاّ بإذن محمد ﷺ لا ينحجز على جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلاّ من ظُلم، وأن الله علي أبر هذا.

٣٧وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الأثم، وأنه لا يأثم أمرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

٣٨ ـ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٣٩ ـ وإن يثرب حرام جوفها لأصل هذه الصحيفة.

٤٠ ـ وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

٤١ ـ وإنه لا تجار حرمة إلاّ بإذن أهلها.

٤٢ ـ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله عليٌّ اتقي ما في هذه الصحيفة وأبره.

٤٣ ـ وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها. وإن بينهم النصر على من دهم أهل يثرب.

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحون ويلبسون. وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلاّ من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قدّموه.

٤٥ ـ وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة من البر والحسن وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلاّ على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره.

٤٦ ـ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمناً ومن قعد آمناً في المدينة إلاّ من ظلم وأثم، وأن الله غافر لمن أبّر وأتقى ومحمد رسول الله ﷺ.

هذه الوثيقة جاءت بمثابة معاهدة تعايش ودفاع مشترك سلمي بين سكان المدينة. فهي تعدُّ فتحاً جديداً في الحياة السياسية والحياة المدنية[١]. فهدف الرسول ﷺ هو إلغاء النظام القديم في المدينة وإحلال نظام جديد محله يجعل المدينة بأسرها قوة موحدة ضدالخطر الخارجي لتكوين الدولة الإسلامية.

فالملاحظ في بنود الوثيقة أن معظمها يتعلق بأمور اليهودلحثهم على إعتناق الدين الإسلامي، فالبند السادس عشر يفتح باب الإسلام لِمن يرغب من اليهود. والبند الخامس والعشرون حفظ الحرية الدينية لليهود. كذلك فعدّة بنود أخرى نصت على أن القبائل اليهودية تعدّ بمجملها من الأمة المؤمنة. والبند الرابع والعشرون نص على وجوب إشتراك اليهود في دفع ما عليهم من نفقات حربية. كذلك حرم نصٌ آخر المسلمين واليهود على مناصرة وايواء قريش، وأي خلاف في الرأي وغيرها يُردّ أمره إلى الرسول ﷺ للبت فيه؛ وإن من إشترك في هذه الصحيفة لا بد إن ارتكب إثماً فعقوبته واجبة.

لهذا جاءت الإتفاقية محقّقة لجميع الإطراف؛ ليس فيها غبن على أحد. ووحدة المدينة تمت بهذه الوثيقة بقيادة الرسول لها. كما ضمن المسلمون وقفتهم الواحدة ضد قريش في حين أنهم أمنوا جانب اليهود.

فالمستشرق غوستاف لوبون[٢] رأى بأن هذه المعاهدة تنم عن مهارة سياسية كبيرة من قبل محمد ﷺ.

---

(١) حياة محمد ص ٢٢٧/ محمد حسن هيكل.

(٢) قصة الحضارة: المجلد الرابع/ عصر الإيمان ص ٣٢ ترجمة محمد بدران.

اضافة إلى تنظيم الحياة في المدينة نوضح إلى أن عدم ورود البطون اليهودية الكبيرة بأسماء واضحة وصريحة في نصوص المعاهـدة يعود إلى كـونهم يعدون خلفاء ومناصرين للأوس والخزرج وعلى رأسهم بني قينقاع والنضير.

كذلك نورد إلى أن الرسول ﷺ قد عقد إتفاقات جانبية مع كـل بطن من البطون الكبيرة لليهود.

فمن الواضح أن الرسول ﷺ قد جزّأ البطون اليهودية إفرادياً لأن أي خطر يمس بواحدة منها كأنه مسّها جميعاً. لذلك عمد النبي ﷺ إلى محاربة كل بطن على حدة دون باقي البطون اليهودية.

ولتأكيد وجود المعاهدات الجانبية بين الرسـول ﷺ وبين البطون اليهـودية الكبيرة ما نصّه ابن هشام[1] من أن يهود بني قينقاع كانوا أول من نقض العهد مع النبي ﷺ، وقد أيّدت هذا النص أغلبه كتب الإخباريين.

كـذلـك نـددّ القـرآن بمـواقف اليهـود في نقض العهـود في كثيـر من المناسبات[2]. هذا بالإضافة إلى أن إتفاقية الرسول ﷺ بين المسلمين ويهود خيبر ووادي القرى وتيماء وبعض الأسر اليهودية على أطراف الجزيرة العربية كيهود أيله وأذرح ومقنا[3]؛ جاء تأكيداً واضحاً إلى أن النبي ﷺ قد عقد إتفاقياته هذه زمن هجرته إلى يثرب.

---

(1) السيرة ـ ج ٣ ـ ص ٤٧ ـ ابن هشام/ الطبقات الكبرى ـ ج ٣ ـ ص ٦٨ابن سعد/ امتاع الأسماع. جـ ١ ـ ص ١٠٤ ـ المقريزي/ تفسير الطبري ج ٣ ص ١٥٨ ـ الطبري.

(2) سورة الحشر.

(3) فتوح البلدان ـ ص ٧٧ ـ البلاذري.

* حرب المسلمين وموقف اليهود:

حرص الرسول ﷺ في بداية هجرته إلى المدينة على أمرين هما:
- إجتذاب اليهود المقيمين في المدينة إلى الإسلام.
- إكتساب صداقتهم وأخلاصهم مع بقائهم على دينهم[1].

ففي بداية الهجرة إستقبل اليهود الرسول محمد ﷺ إستقبالاً حسناً وهذا مما جعله وفق معاهدة أن جعل لهم نصيباً من المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين[2]، ومما تسامح الرسول ﷺ معهم أن أباح طعامهم وأجاز التزوج من بناتهم، كما أنه إتخذ بيت المقدس قبلة له في الصلاة أول الأمر.

وكما ذكرنا آنفاً، كان اليهود يصومون يوم عاشوراء وحكاية النبي ﷺ معهم بهذا اليوم بأنه ﷺ (أنا أحق وبموسى منك[3]) فصامه وأمر بصيامه وكانت اليهود تعدّه عيداً.

قفزة غير عادية في العلاقة الإسلامية ـ اليهودية من إتفاقات ومعاهدات إلى عداء مكين بدأ به اليهود يناصبونه ضد الرسول ﷺ بدورهم، والمسلمين يقابلون اليهود تلونهم.

فمعاودتنا واسترجاعنا للتاريخ يذكرنا بأن اليهود لم يستقبلوا الرسول ﷺ حين

(١) قيام الدولة العربية الإسلامية ـ ص ١٤٤ ـ د. محمد جمال الدين سرور.
(٢) السيرة ـ ص ٧٤ ـ ابن هشام.
(٣) البخاري جـ ١ ص ٤٩٨.

قدموهم للمدينة حباً به بل كانوا يعقدون الآمال أن يؤلفوا قوة في الجزيرة العربية يقاومون بها النصارى الذين أبعدوهم عن فلسطين. ظناً منهم أن الإسلام لن يرضى عن الديانة المسيحية، كذلك إعتقدوا أنهم سيبقون خارج الدعوة الإسلامية لإعتبارهم أنهم أعلى وأسمى من دعوتهم إلى دين آخر. فاليهود رأت الرسول ﷺ يصلي ووجه إلى قبلتهم، فظنوا أن النبي محمد ﷺ ومن معه سينضوون تحت رايتهم.

ويقول الدكتور شلبي[1] بأن اليهود لم يكونوا مخلصين في عهدهم مع الرسول ﷺ ولم يدخلوا فيه إلاّ ريثما يجدون لأنفسهم طريقاً آخر، بحيث رأوا أن يؤجلوا مجاهرتهم بالعداء للدعوة الإسلامية لوقت آخر.

روى ابن هشام[2] أن صفيه بنت حيي بن أخطب زوج الرسول ﷺ، **وكانت أحب أولاد أبيها** وعمها ياسر إليهما ذكرت أن أباها وعمها لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهبا إليه منذ الصباح الباكر ولم يرجعا إلاّ مع غروب الشمس، وكانا كالّين يمشيان الهوينا ولم يلتفتا إليها لما بهما من الهم والغمّ. وقد روت ما دار بينهما من حديث حول تثبّتهم من نبوّته وأنهما رغم ذلك سيكنان له العداوة.

إن العلاقة بين الرسول ﷺ واليهود أصبحت علاقة مجاملة في الظاهر وعداوة في الباطن، فأمل النبي محمد ﷺ أن يجتذبهم إلى الإسلام أو على الأقل أن يبقى على صداقتهم أو حيادهم، بينما أخفى اليهود مكرهم ودهائهم ومكائدهم للنبي ﷺ؛ ينتظرون الفرصة المناسبة لقتاله.

أخيراً وجد اليهود طريقة لقتال الرسول ﷺ ألا وهي التشكيك في مبعث النبي وإثارة الجدل الديني الذي برأيهم يؤذي رسالة محمد ﷺ ويجعلونه في ورطة تبعد عنه مناصريه. كل هذا لا لشيء بل لأنه عربي المولد والأصل وأن النبوّة لا

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ ١ ص ١٨٣/ د. أحمد شلبي.
(٢) السيرة جـ٢ ص ١٤٠/ ابن هشام.

يمكن إلاّ أن تنحصر في مواطن الشام موطن الأنبياء[١]، بينما نبوّة محمد جاءت في بلاد الحجاز.

بين المدّ الصحيح والجذر المفتري فيه، بين الدعوة الإسلامية ومحاولة الرسول ﷺ إجتذاب يهود المدينة للسلم والسلام والإسلام وبين إعداد الكمائن اليهودية لإستئصال نبوّة محمد ﷺ، خاصةً وأنهم على عظمة مادية وسياسية مبنية على تفرق العرب وتمزقهم؛ وأن السيطرة الإقتصادية في المدينة منوطة لهم وحدهم. كون الإسلام سيحارب الربا الفاحش الذي إنحصر في المعاملات اليهودية؛ بدأت الحرب الباردة بين الرسول ﷺ وبين اليهود.

فالمستشرق اليهودي ولفنسون[٢] ذهب في تحليله في أسباب النزاع بين محمد ﷺ واليهود بقوله (لو وقفت تعاليم الرسول عند محاربته للديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود أن يعترفوا برسالته لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين، ولكن اليهود قد نظروا بعين ملؤها التبجيل والإحترام لتعاليم الرسول، ولأيدوه وساعدوه بأموالهم وأنفسهم، حتى يحطم الأصنام ويقضي على العقائد الوثنية، لكن العقلية اليهودية لا تلين أمام شيء يزحزحها عن دينها، وتأبى أن تعترف بأنه يوجد من غير بني إسرائيل).

لقد رمى هذا المؤرخ اليهودي إلى أن الرسول ﷺ هو الذي بدأ مخاض الحرب مع اليهود، مع العلم أن الدعوة الإسلامية كانت دعوة عامة ليس فيها حرج لأحد، وأن النبي ﷺ أبقى اليهود على حريتهم في الدين شرط أمنهم. ولم تدعى البطون اليهودية أكانت كبيرة أم صغيرة عن التخلي عن دينها أو يعمل في رقابها السيف. كذلك كان الرسول ﷺ يعمد على نشر الدين الإسلامي بالحجة والإقناع وهذه الحجج كانت تأتي على العرب واليهود على حد سواء. ولم يعهد عن الرسول ﷺ ولا عن المسلمين أنهم أجبروا كتابياً على الدخول في الإسلام عنوة

(١) قيام الدولة العربية الإسلامية ص ١٤٤ ـ د. محمد جمال الدين سرور.
(٢) اليهود في بلاد العرب ص ١٢٢/ إسرئيل ولفنسون.

على مرور الفترات إن في تواجد اليهود في المدينة في حياة الرسول ﷺ أو في الفترات اللاحقة.

ولا بد لنا من الرد أيضاً على ولفنسون بأنه لو كان اليهود على صدق مما يثيره هو نفسه عنهم لما أقدم اليهود على محالفة قريش الوثنية ضد محمد ﷺ.

وتأليب الأحزاب عليه، وشهادتهم أمام قريش في مكة بأن دين قريش الوثني خير من دين محمد ﷺ وأولى بالإتباع منه[1].

فاللذكر والتأكيد أن بعض اليهود دخلت في الدين الإسلامي خلاف غيرهم؛ **فعبدالله بن سلام** أكبر أحبار اليهود إستجاب لدعوة محمد ﷺ عن رضى وقناعة؛ وقد ورد **خبر إسلامه في جميع كتب السيرة وفي البخاري**؛ بعد أن وجّه الأسئلة للرسول ﷺ وتأكد في صحة نبوّته.

والنبي محمد ﷺ حدّث فيما حدث بأن اليهود لو علموا بأمر إسلامه صحيحاً سيطعنون ويشككون في نبوّته ورسالته، فالرسول ﷺ وصف اليهود بأنهم **قوم بهت**. فهم قالوا في النبي ﷺ أنه سيدهم وحبرهم ولكنهم علموا بإسلامه قالوا هو شرنا وابن شرنا[2]. والجدير ذكره أن الرسول ﷺ سمّى الحصين؛ عبدالله بعد إسلامه وإسلام أهل بيته.

وابن هشام أورد أن حبراً آخر وهو **مخيريق** قاتل مع المسلمين يوم **أحد** بعد أن عاب على قومه تخلفهم في المعركة. وقد أورد أيضاً ابن هشام[3] أسماءً من قبائل اليهود في المدينة نهجوا نهجاً معادياً للإسلام وللمسلمين ولعبوا دوراً كبيراً في تغيير العلاقة بين اليهود والمسلمين وعلى رأسهم بني قينقاع ممثلة بزيد بن الصليت وشاس بن عدي وشاس بن قيس ورافع بن أبي رافع ورافع بن حريملة.

---

(١) السيرة ـ جـ٣ ص ٢١٥ / ابن هشام.

(٢) صحيح البخاري ـ قوله تعالى **﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾** من كتاب التفسير ـ السيرة جـ٢ ص ١٣٩ ابن هشام.

(٣) السيرة جـ٢ ص ١٤٠ ـ ابن هشام.

ومن بني النضير حيي بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف، ومن يهود بني قريظة كعب بن أسد، والزبير بن باطا بن وهب.

هكذا كانت بدء الحرب بين اليهود والرسول ﷺ حرباً كلامية تعتمد على إشارة الأسئلة والشكوك والشبهات حول الرسول ﷺ من جهة وردّ النبي محمد ﷺ عليهم. بحججه وبراهينه وتأنيب القرآن الكريم لهم والتنديد بهم وتهديدهم بسوء القافية في حال إستمروا في نهجهم المشين الكافر.

فمن مظاهر الحرب الفكرية نورد ما أخذ أهمية في الجدال ومخاض النقاش الذي كتب فيه الغلبة يقيناً للرسول ﷺ.

أ ـ حرب المجادلات بين النبي واليهود:

حسن النية كانت تاج فكر رسول الله ﷺ، بينما كانت النية السيئة محور جدال ونقاش اليهود الذين أرادو أن يظهر الرسول ﷺ بمظهر العاجز الضعيف أمام ما رتبوه من أسئلة اعتبروهـا ستعجز محمد ﷺ في إجابتهم ومنطقة لهم وللمسلمين جميعاً؛ فاليهود هم الذين طلبوا وطالبوا بالمعجزات إن كان حقاً نبياً، وصرّح القرآن الكريم بذلك فقد قال تعالى ﴿**الذين قالوا أن الله عهد إلينا ألاّ نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالذي قلتم فلمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين**[1]﴾.

وطلب اليهود أن يأتيهم الرسول ﷺ بكتاب من السماء، وقد أشار القرآن أيضاً إلى هذا ﴿**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم**[2]﴾.

وعلى هذا فقد لامهم القرآن الكريم على خصومتهم وجدالهم المقصود فيه

---

(١) آل عمران: الآية ١٨٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٣.

أذيه النبي المصطفى ﷺ ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون[1]﴾ .

كما ذكرهم القرآن بقوله ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين**[2]﴾ . ذلك ما أتى على ذكره القرآن الكريم، أمّا ما واجهه الرسول ﷺ من أسئلة اليهود ما قصدوا أحراجه به عن **الروح وعن طعام أهل الجنة وعن ذي القرنين**، فكان القرآن الكريم هو الرد عليهم في آياته.

بعد الحجج والبراهين التي كان ينزل بها القرآن تارة وردّ النبي محمد ﷺ عليهم، كانت تصل الخصومة في المناقشات إلى حد الإعتداء بالأيدي. فقد كتب ابن هشام[3] أن أبا بكر ضرب وجه منحاص اليهودي بسبب تهجمه على الله والإسلام عندما دعاه أبو بكر إلى الإسلام، إلّا أن الرسول ﷺ أنكر على أبي بكر فعلته عندما شكاه اليهودي. وهنا يمكن القول أي حجة ليهودي على عدل النبي محمد ﷺ وكيف يحاجونه في صدقه وأمانته السماوية؟

ومن المسائل التي إشتد فيها الخلاف بين الرسول ﷺ واليهود، في أواخر السبعة عشر شهراً من إقامة الرسول ﷺ بالمدينة واعتماد النبي محمد ﷺ والمسلمين معه بيت المقدس قبلة الصلاة محاولةً لتقريب اليهود إلى الدعوة الإسلامية. فالرسول ﷺ من ناحية أصرّ على المحاولة تلو المحاولة ببثّ الدين الإسلامي ركناً للدنيا والآخرة؛ واليهود من جهتهم ظنوا أن الرسول ﷺ إتخذ قبلتهم مصلًى فهو الذي سيتبع دينهم. وصارت تحويل قبلة الصلاة إلى الكعبة الشريفة فأكثر في التفرغ والإبتهال لله عز وجل أن يوجهه إلى قبلة أبيه إبراهيم، فأجاب الله سبحانه وتعالى نداءه فولاه القبلة التي يرضاها[4]. وهنا أشار القرآن

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٣) السيرة جـ ٢ ص ١٤٣ /ابن هشام.

(٤) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٤١٦/ الطبري.

الكريم: ﴿**قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره**﴾. فبتغيير وجهة الصلاة للرسول ﷺ وللمسلمين، إعتبر اليهود أن هذا التحول يضرّ منهم. فلقد نفر بعض اليهودوعلى رأسهم كعب بن الأشرف، ورفاعة بن تيس إلى الرسول ﷺ وقالوا له (يامحمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه. إرجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك[1]). وقد ردّ القرآن عليهم ﴿**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[2]**﴾.

إستغل اليهود هذه الحادثة وذلك بأن حيي بن أخطب وجماعة من اليهود سألوا المسلمين عن صلاتهم إلى بيت المقدس، ومن مات عليها أمات على صلاة أم على هدى؛ شبهة أو جدوها اليهود لرمي الفتنة بين المسلمين؛ فرد عليهم القرآن منعاً لأي شك أو ريب.

كذلك سعى اليهود إلى إستغلال فكرة النسخ في القرآن على إعتبار أن أول نسخ في القرآن خص القبلة[3]. فاتخذوه مادة للطعن في نبوة محمد ﷺ ولإضعاف عقيدة المسلمين في كتابهم. وقد أثاروا الشبهات حول ما قصدوه في أن محمد ﷺ يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه. وعلى هذه الشبهات ردا القرآن الكريم: ﴿**ما ننسخ في آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سأل موسى من قبل، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل[4]**﴾.

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ١٧٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٢.
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٢/ ابن كثير.
(٤) سورة البقرة: الآيات ١٠٦ ـ ١٠٨.

ومما زاد اليهود حقداً على نبي الله ﷺ وعلى المسلمين هو نسخ القرآن الكريم لبعض أحكام شريعتهم، فلقد أهمل المسلمون صيام يوم عاشوراء الذي صاموه أول عهدهم في المدينة بفضل شهر رمضان المبارك، كذلك تحليلهم لأكل لحوم الإبل، فحاولوا إستنكار هذا فرد القرآن عليهم **﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فاتلوها إن كنتم صادقين[1]﴾**. مما أثبت عجز اليهود عن إحضار دليل يؤازرهم.

فقبل الإسلام، بذل اليهود أقصى جهودهم في إثارة الحقد الكافية في نفوس أهل يثرب، وأعادوها حين ظهور الإسلام وعملوا على تأجيج نار الكراهية والبغض للمسلمين. فقد أورد ابـن هشام[2] أن شاس بن قيس اليهودي كان شديد الحقد على المسلمين، وحدث أن مـرّ على جماعة من الأوس والخزرج، فغاظه ما رأى من ألفتهم بعدما كان بينهم من عداوة، فأوعز إلى أحد فتية اليهود أن يجلس معهم وينشدهم الأشعار مذكراً إياهم بيوم بعاث، ففعل، فتنازع وتفاخر الأوس والخزرج حتى غضب الفريقان، وكادت الفتنة تؤدي إلى إقتتالهم لولا أن الرسول ﷺ جاءهم ومعه بعض المهاجرين والأنصار وذكرهمّ بدعوى الجاهلية وكيف أن الله هداهم بالإسلام واستنقذهم من الكفر، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً.

مما ذكر دلالة وافية وكافية على إثارة الفتن المقصودة من قواد اليهود؛ فهم أهل الدسيسة والخداع، وزادوا هذا المقذع خاصة بعدما شعروا بأن دعوة محمد ﷺ ستشكل عليهم خطراً جسيماً. فقد نزلت الآيات القرآنية تلو الآيات تهددهم بالعقاب الشديد **﴿قل يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله، والله شهيد على ما تعملون، قل يا أهل الكتاب لما تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء، وما الله بغافل عما تعملون. يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا**

(1) سورة آل عمران/ الآية ١٩٣.

(2) السيرة ـ جـ ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٥ / ابن هشام + تفسير الطبري جـ ٤ ص ٢٣ ـ ٢٤ الطبري.

فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾[1].

في هذه الآيات تشهيد بكفر اليهود وتحذير للمسلمين من دسيستهم الرامية إلى هدم ودحض العقيدة الإسلامية الرزينة.

أخيراً أرتأى اليهود أن ينقسموا مؤقتاً إلى فريقين، فريق منهم يؤمن بنبوة محمد ﷺ وفريق آخر يناهض، وهذا أسلوب مدروس في الخداع؛ ثم لا يلبث الفريق المؤمن أن يبدل حين تأتي الفرصة بذلك فيرتدون عنه[2] وقد كشف القرآن الكريم نواياهم **﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون[3]﴾**.

فالآيات الواردة تذكر بأن من اتبع الحق لا يرجع عنه؛ فاليهود أرادوا الغش فنصبوا جماعة منهم تؤمن ثم تعود عن إيمانهم حتى تقول الناس لولا أن وجد هؤلاء أن هذا الدين باطل لما رجعوا عنه بعدما دخلوا فيه.

ب ـ الفتنة والتهجّم على النبي ﷺ:

لقد أراد اليهود ضمن مآربهم السوداوية أن يساوموا الرسول ﷺ في بعض الأحكام آملين في فتنته.

فإبن هشام[4] روى أن جماعة من أحبار اليهود وأشرافهم ذهبوا إلى الرسول ﷺ بحجة أن بينهم وبين بعض قومهم خصومة، وطلبوا منه أن يقضي لهم عليهم مقابل إيمانهم به ﷺ. لكن الرسول رفض ذلك.

وفي هذه المحاولات اليهودية نزلت الآيات **﴿وإن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فإن تولوا**

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٨.
(٢) السيرة جـ ٢ ص ١٨٠ ـ ابن هشام.
(٣) سورة آل عمران الآية ٧٢.
(٤) السيرة جـ ٢ ص ١٩٦/ ابن هشام.

فـاعلم إنمـا يـريـد الله أن يصيبهم ببعض ذنـوبهم، وإن كثيـراً من النـاس لفاسقون[1]﴾. كما أورد البخاري[2] أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا أن رجلاً منهم وامرأة قـد زنيا، فسـألهم الرسـول ﷺ عمّا في التـوراة من الرجم، فأجابوا: «نفضحهم ويجلدون»، إلّا أن عبدالله بن سلام كذّبهم وأبان بأنه الرجم، وأحضرت التوراة فحاول أحدهم أن يضع يده على آية الرجـم إلّا أن عبدالله بن سلام رفع يده عنها.

كذلك عمد اليهود إلى مخاطبة الرسول ﷺ في الكلمات التي فيها تورية؛ فلقد نهى القرآن المؤمنين من مخاطبة الرسول ﷺ بألفاظ معينة حتى لا يتخذها اليهود ذريعة للإساءة إلى الرسول ﷺ[3]. كما ورد لدى البخاري أن بعض أفراد اليهود كانـوا يقصدون الإسـاءة عيناً إلى شخص الـرسول الكـريم ﷺ في إلقاء التحية، فكانوا يقولون (السام عليكم[4]) بدل السلام عليكم.

كانت فئة المنافقين في المدينة بزعامة عبدالله بن أبي سلول، وكانت هذه الفئة تظهر الإسلام وتبطن له الحقد والكراهية وتكمن له العداء في تحين الفرص. وقد إلتقت مصالح اليهود مع مصالح هذه الفئة في عدائها للدعوة الإسلامية. ويؤكد هـذا ما رواه الطبري[5] من براءة عبادة بن الصامت أمام الـرسول ﷺ من ولايـة مـواليه في اليهـود، واعتـرض عبد الله بن أبي على هـذه البـراءة وإصـراره أمـام الرسول ﷺ على ولاية مواليه في اليهود.

وهنا ندل على أن إشتراك المنافقين واليهود في الرأي المقصود منه الأذية الخالصة للمسلمين موقف عبدالله بن أبي الودي مع بني قينقاع والنضير بعد حصار

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٩.

(٢) صحيح البخاري: (باب: قل فأتوا بالتوراة) من كتاب التفسير جـ٦ ص ٤٦/ البخاري.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٢ ـ ٥٠.

(٤) البخاري (باب إذا عرض الذمي وغيره يسبّ النبي) جـ ٩ ص ٢٠.

(٥) تفسير الطبري جـ ٦ ص ٢٧٥/ الطبري.

الرسول ﷺ لهما يحمل دلالة كافية على تعاطفهما. وبكاء اليهود على عبدالله بن أبي عندما حضرته الوفاة، وعندما أراد أحد أبناء عبدالله طردهم غضب عليه أبوه وذكر أن قربهم منه يشفي صدره؛ ولمّا مات أرادوا أن يقوموا بدفنه فمنعوا، ولشدة حزنهم عليه أخذوا ينثرون التراب على رؤوسهم.

وقد أكد القرآن الكريم تعاطفهم مع بعضهم البعض ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين...﴾ إلى قوله تعالى ﴿فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين[1]﴾.

وابن هشام[2] يذكر في سيرته عدداً من اليهود الذين أسلموا نفاقاً، غايتهم الإطلاع على أمور وأحوال المسلمين ناقلين أخبار الرسول ﷺ. كذلك حذّر القرآن الكريم في بعض آياته المسلمين من هذا الصنف من اليهود[3].

وجهة نظر لا بد من الإشارة إليها وهي أن العرب في حربهم المقصودة كانوا واضحين في إعلانهم ساعة يشاؤون، لكنهم بدّلوا هذا بالسر والخديعة لأخذهم عملية النفاق عن اليهود الذين فسدوا في المجتمع المكي وعلموا أهله الكذب والنفاق.

أمّا عن تحالف اليهود في المدينة مع المشركين، فلقد سعى اليهود وعقدوا الآمال بتجيش جيوش مكة المشركين للقاء المسلمين في معركة بدر، لإعتقادهم بأن الغلبة ستكون لجيوش المشركين. وقد لعب اليهود دوراً هاماً على الصعيد النفسي لإحباط عزيمة المسلمين فمنهم من قال بأن الرسول ﷺ قد قتل، وأنّ جيشه قد هزم في بدر، وأن جيوش مكة زاحفة لإحتلال المدينة، كذبت هذه الأقاويل الخادعة بوصول بشرى من جيوش المسلمين بتحقيق الإنتصار. مما هزّ

(١) سورة المائدة، الآيات ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) السيرة ص ١٤٩ ـ ١٥٠/ ابن هشام.
(٣) سورة آل عمران الآي ١١٨.

المسلمون فرحة لهذا الفوز العظيم. ورأى اليهـود قادة قـريش يساقـون أسرى، فانكبّت رؤوس اليهود لهول الصاعقة الإسلامية.

بعد فشل قريش ودحضها، حاول اليهود تأليب جيوش الـوثنين وتحريضهم على مقاتلة حاملي لواء الدعوة الإسلامية، وهذا مما حدا بالقيادة الإسلامية عدم التسامح معهم.

وأورد ابن هشام[1] في رواية أن كعب بن الأشرف من بني النضير حين بلغه هزيمة قريش في بدر قال بأن بطن الأرض خير من ظهرها، ثم خرج إلى مكة وأخذ يحرّض قريشاً على الرسول ﷺ ونشد الأشعار ورثـى قتلي بدر. ولم يكتف بذلك فعندما رجع إلى المدينة شبّب بنساء المسلمين، مما جعل الرسول ﷺ أن يتخـذ قراراً بقتله. هكذا تعاطف المنافقين مع المشركين، فكانت وقعه بدر ضربة قاضية بددت آمالهم.

الجدير ذكره أن القرآن الكريم والكتاب المقـدسْ نددا في آيـات وأسفارٍ مواقف اليهود العدائية وعملهم الإجرامي.

فالقرآن[2] ندد فيمن عاصر الرسول ﷺ؛ والعهد القديم في الكتاب المقدس ندد بالذين كانوا قبل النبي محمد ﷺ خارج الجزيرة العربية من يهود عاصروا أنبياء بنـي إسرائيل[3].

(١) السيرة: جـ٣ ص ٥١ ـ ٥٣ ابن هشام.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٨ ـ ٨٠ نفس السورة الآية ١٢ ـ ١٣.

(٣) سفر أرميا ـ الفصل ١١، سفر مزقيال ـ الفصل ٢ ـ ٦، سفر أشعيا، الفصل الأول.

*معارك الرسول مع اليهود:

كما ذكرنا سابقاً أن اليهود إعتمدوا الحرب الباردة في جدالهم وتأويلهم معتمدين على سيوف مشركي قريش، وقد علقوا آمالاً كبيرة على قريش في موقعة بدر.

كذلك لم يشهرا النبي ﷺ السيف في وجه اليهود أملاً منه أن تدخل اليهود الديانة الإسلامية أو على الأقل يؤمن جانبهم فلا يمدون يد المعاونة للمشركين الذين يعدّون العدة لقتال الرسول ﷺ. هذا مع العلم أن اليهود كادوا للنبي ﷺ في عدة مواقف جدلية بقصد الإحراج والتنديد وتشوية النبوة التي من أجلها يعاني الرسول ﷺ مشاكل الهجرة مع أصحابه من المهاجرين والأنصار.

وكان أول من خطط للإصطدام مع رسول الله ﷺ هم بنو قينقاع من بين القبائل اليهودية ثم تلتهم النضير وقريظة فيما بعد.

أ ـ الإصطدام بين الرسول ﷺ وبني قينقاع:

يذكر المؤرخون في المصادر العربية الإسلامية أن بني قينقاع هم أول اليهود الذين نقضوا المعاهدة مع رسول الله ﷺ، بعدها كشف الرسول نواياهم التي أصبحت ظاهرة ضد المسلمين وأتباع الرسول ﷺ. فاجتمع بهم النبي محمد ﷺ وحذّرهم بقوله (يا معشر يهود إحذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم[1]). فردّ

(1) السيرة: جـ ٢ ص ٤٧/ ابن هشام ـ البداية والنهاية جـ ٤ ص ٥. ابن كثير/ الطبقات الكبرى جـ ٢. ص ٢٩ ابن سعد.

عليه يهود بني قينقاع (يا محمد أنك ترى أن قومك، لا يغرّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنّا والله لئن حاربناك لتعلّمن إنّا نحن الناس[1]).

الواضح الجليّ أن الرسول ﷺ لا يزال ملتزماً بالعهد والمواثيق التي أخذها على نفسه والمسلمين معه من جهتهم؛ بينما اليهود امتلأت صدورهم حقداً وكراهية لأمة المسلمين. فتذكير الرسول ﷺ لهم بموقعه بدر وهزيمة قريش أتت من باب الإنذار بعدم إفتعال الحرب أكثر من أي شيء آخر. فالنبي ﷺ رجل دين متسامح فضلاً عن نبوته الصافية الخالصة لله عز وجلّ. إلاّ أن اليهود أبوا ذلك وأعلنوا حربهم على النبي ﷺ بقولهم ﴿إنا نحن الناس) وغيرهم يعني لا يمثل شيء وكأنهم بهذا عادوا للتلمود عندهم القائل (بأن باقي المخلوقات مطية لهم). ـ كما مرّ في كتابات التلمود قبلاً ـ.

كذلك لا بد وأن نلفت النظر إلى أن قبيلة صغيرة كبني قينقاع لا تجرؤ على تحدي من تغلب على مشركي قريش، فالظاهر أنهم كانوا يعمدون على مؤازرة الخزرج لهم في حال نشوب الحرب ضد أغلب قبائل يثرب[2]. وأمر التحذير من الرسول ﷺ لبني قينقاع قد ورد في القرآن الكريم **﴿قل للذين كفروا ستغلون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، وقد كانت لكم آية في فئتين إلتفتا، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة يرونهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار[3]﴾**.

فأصحاب السير يرون أن السبب المباشر الذي أدّى إلى التصادم بين المسلمين وبين يهود بني قينقاع يرجع إلى حادثة المرأة المسلمة التي جلبت حليها لبيعها في سوق بني قينقاع، فجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف

(١) السيرة جـ ٣ ص ٤٧ : ابن هشام.

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة جـ ١ ص ٢٤١. د. محمد سيد طنطاوي.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٣ ـ ١٤.

وجهها، ثم عمد الصائغ فعقد طرف ثوبها على ظهرها، فلمّا قامت إنكشفت سوأتها فضحكوا، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، فقتل اليهود المسلم، فغضب المسلمون ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[1].

أمّا المستشرق مونتغمري وات[2] رأى أن الأسباب التي أدت إلى طرد يهود بني قينقاع هي أكثر عمقاً من حادثة المرأة التي إعتدي عليها في سوق بني قينقاع، فاليهود لم يظهروا إستعدادهم التام للإندماج في المجتمع الإسلامي، ولذا فقد رأى محمد ﷺ أن يقاطعهم رغم إحتفاظهم ببعض الصلات معه، إلّا أنه كان دائماً يترقبهم بحذر لينتهز أية فرصة يهيؤونها له بسبب مخالفتهم لروح المعاهدة المبرمة بينه وبينهم، ثم يرى هذا المستشرق أن محمداً (ص) قديكون على علم بالعلاقات الودية بين اليهود ومناوئيه من أهل قريش في مكة.

أما فيما يتعلق بالأسباب المباشرة على بدء الرسول ﷺ بإجلاء بني قينقاع من بين سائر اليهود؛ مع العلم أن جميع البطون اليهودية كانت تنصب العداء للنبي ﷺ وتعمل على الإيقاع بين المسلمين، فهي أن يهود بني قينقاع كانوا يسكنون داخل المدينة وفي حي من أحيائها، لهذا رأى رسول الله ﷺ أن يتخلص من صراع داخلي قد يؤذي مباشرة من داخل يثرب. بالإضافة لكونهم أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول ﷺ من عهود[3].

أورد الواقدي[4] أن بنو قينقاع كانوا أشجع يهود، فهم صاغة وأصحاب سلاح ولهم مكانة في المدينة، ظل الرسول ﷺ يراقبهم حتى نزلت الآية الكريمة

---

(١) السيرة، جـ ٣ ص ٤٨ / ابن هشام+ البداية والنهاية جـ ٤. س ٣/ ابن كثير.

(٢) Muhammad prophet and statesment p. 130. Montgomery watt—

(٣) السيرة جـ ٣ ص ٤٨ / ابن هشام.

(٤) مغازي رسول الله ص ١٣٩، الواقدي.

تتضمن أمرٌ بمقاتلة بني قينقاع **﴿وأمّا تخافن من قوم خيانة، فانبذ عليهم على سواء أن الله لا يحبّ الخائنين[1]﴾**.

ويضيف الواقدي[2] أن حصار بني قينقاع حدث في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة. كما رواه ابن هشام[3] ان النبي ﷺ حاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبدالله بن أبي فقال (يا محمد أحسن في موالي) فأعرض عنه الرسول ﷺ فأدخل يده في جيب الرسول ﷺ فغضب وقال ويحك أرسلني فقال ابن أبي (لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مئة حاسر وثلاثماية دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني إمرؤ والله أخشى الدوائر) فقال الرسول ﷺ هم لك.

فبعد أن نزل يهود بني قينقاع على حكم الرسول ﷺ عفى عنهم بأن له أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، وأمرهم رسول الله ﷺ بالإجلاء عن المدينة، فغادروا إلى بلاد الشام وكانوا حينها حوالي الألف رجل. تركوا بذهابهم أدواتهم الخاصة كذلك تركوا ما كانوا يستعملونه من سلاح، وهم كما هو معروف كانوا تجاراً وصاغة، ولم يكن لهم زرع ولا نخيل[4].

قسّم الرسول ﷺ ما أصاب المسلمين من أموال خمسة أخماس، أخذ خمساً لنفسه ووزّع الباقي على من حضر القتال من المسلمين[5].

فبإجلاء بني قينقاع عن المدينة دبّ الأمن السلام، وأصبحت المدينة قاعدة إسلامية صرف، لأن صوت المنافقين خفت وانمحت كل أساليب الدجل والخديعة، والجدير ذكره أن باقي البطون اليهودية لم تستطع تقديم العون

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

(٢) مغازي رسول الله ص ١٣٩/ الواقدي.

(٣) السيرة جـ٣ ص ٤٨/ ابن هشام.

(٤) كتاب العبر جـ٢ ص ٢٣/ ابن خلدون.

(٥) الطبقات الكبري: جـ٢ ص ٣٠ ابن سعد.

والمساعدة في حصار يهود قينقاع وذلك للخطة المحكمة التي رسمها المسلمون في قتالهم، كذلك ضعفت معنويات يهود بني قينقاع لعدم إستحصالهم على تموين خارجي خاصة وإنهم ليسوا على علم بالزراعة.

وفي بعض المصادر الإسلامية رويّ أن اليهود أكثرت من التشهير والقدح والذم في حق رسول الله ﷺ وفي حق المسلمين مما حدا بسالم بن عمير من بني النجار على قتل أبي عفك اليهودي[1] الذي ما فتأ ينشد أشعاراً ظاهرة فيها العداوة للمسلمين.

كذلك قام محمد بن مسلمة بعد أن كلّفه الرسول ﷺ بقتل كعب بن الأشرف لشهرة عدائه للمسلمين. وقد روت معظم كتب السيرة قصة مقتله؛ بإستدراجه خارج حصنه ليلاً بحجة شراء بعض الأطعمة منه وتسليمه رهينة لذلك. ثم طعنه محمد بن مسلمة ورفاقه بأسيافهم. فخاف اليهود أن يصيبهم ما أصاب كعب؛ وأبدوا إستياءهم من قتل كعب بن الأشرف، إلاّ أن الرسول ﷺ ذكّرهم بما كان منه ومن تحريضه على المسلمين[2].

وعلى زمن مقتل كعب بن الأشرف، إختلف المؤرخون المسلمون، فإبن هشام[3] يذكر أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة بعد إجلاء بني قينقاع من المدينة، بينما ذكر البخاري قصة قتله بعد إجلاء بني النضير، كما ذكر أن إجلاء بني النضير تمّ قبل معركة أُحُد.

فإبن كثير[4] في تأريخه أكثر صحة فهو يقول أن مقتل كعب بن الأشرف وغزوة أُحُدَ كانا قبل إجلاء بني النضير، ويستدل على ذلك من أن الخمر حرمت

(١) مغازي رسول الله ص ٤٦. الواقدي/ طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٢٨. ابن سعد.

(٢) السيرة جـ ٣ ص ٥٥. ابن كثير/ البداية والنهاية جـ ٤ ص ٥ ابن كثير/ مغازي رسول الله ص ١٤٦ الواقدي/ ابطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٤. ابن سعد.

(٣) السيرة جـ ٣ ص ٥٤ ابن هشام.

(٤) البداية والنهاية جـ ٢ ص ٩ ابن كثير.

ليالي بني النضير، وقد ثبت في الصحيح أنه شِرب جماعة ممن قتل يوم أحد ضمراً، مما يدلّ على أن الخمر إذ ذاك كانت حلالاً وإنما حرّمت بعد ذلك.

وبعد مقتل كعب الأشرف، ذكر الواقدي[1] أن رسول الله ﷺ قال: (من ظفرتم بــه مــن يهود فاقتلوه). وعليه وثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة وهو من تجار اليهود فقتله.

وهكذا نهج رسـول الله ﷺ نهج قتـل كل يهـودي جاهـر بعداوة الإسـلام والمسلمين في المدينة وممن أيد قريش في دينها وذلك لتفرغ المسلمين لإعدائهم في الخارج.

ب ـ موقفه مع بني النضير:

برزت مواقف عدائية لبني النضير بعد تصفية الحسابات بين المسلمين ويهود بني قينقاع، فبني النضير كانت تقيم وتتحصن في مزارعها على بعد عدة أميال شمال المدينة.

لغزوة المسلمين في بني النضير أسباباً مباشرة وأسبـاباً غيـر مباشـرة؛ فمن الأسباب غير المبــاشـرة؛ روى مؤرخو السيرة أن يهود بني النضير بدت منهم بوادر نقض العهد مع رسول الله ﷺ بعد هزيمة قريش في بدر، حينما أقسم أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزوا محمداً ﷺ فخـرج في مئتي راكب من قريش حتى نزل قرب المدينة، ثم أتى بني النضير ليلاً، وضرب على باب حيي بن أخطب فأبى أن يفتح له، فانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيـد بني النضير، فاستقبله وسقاه خمراً، وعرّفه أخبار المسلمين، وتدارس معه السبل لإيذائهم، ثم هجم أبو سفيان ورجاله على بعض البيوت والنخيل وقتلوا رجلين من الأنصار، ثم عادوا إلى مكة، ولم يستطع المسلمون اللحاق بهم[2].

---

(١) مغازي رسول الله ص ١٤٩/ الواقدي.

(٢) الكامل في التاريخ جـ٢ ص ١٣٩. ابن الأثير/ السيرة جـ٣ ص ٤٤ ابن هشام. Montgomery watt. propet and Statesman p. 133.

هـذه القصة تدل على تآمر من بني النضير ضد رسول الله ﷺ، إذ لا يجوز لليهود إيواء أعداء المسلمين حسب العهود والمواثيق المأخـوذ فيها؛ والتي إعتبرها رسول الله ﷺ نافذة بالأساس.

واعتبر يوم أحد منعطفاً تاريخياً في نوعيـة العلاقـات بين المسلمين وبين النضير، إذ رفض اليهود الإشتراك بالقتال مع النبي محمد ﷺ محتجّين بيوم السبت. ما عدا مخيريق اليهودي (الـذي أتينا على ذكـره آنفاً) قـال: إن أُصبت فمالي لمحمد ﷺ يصنع فيه ما يشاء، وقد أنحى باللائمة على قومه اليهود لعدم إشتراكهم مع المسلمين في معركة أحد، وقد قاتل مخيريق مع رسول الله ﷺ حتى قتل؛ فقال عنه الرسول ﷺ (مخيريق خير يهود[1]). وهذه دالّة على أن النبي محمد ﷺ لم يكن يرضى عن بقية اليهود لتخلفهم في القتال معه.

كذلك أعتبر اليهود أنهم غير ملامين للقتال مع النبي ﷺ لأن معركة أحد تدور خارج المدينة والمعاهدة تنصّ على أنهم يشاركون في الدفـاع في حال حـدثت معارك داخل المدينة فقط؛ بينما الرسول ﷺ أعتبر يوم أحد هو غزوة موجّهة إلى المدينة. وكان اليهود ممثلين أنذاك ببني النضير.

والجدير ذكره أن بني قريظة لم تكن مرتبطة بمطالبة الرسول ﷺ بالإشتراك في وقعه أحد كغيرها من بني النضير. فأورد الدكتـور ولفنسون[2] أنه ليس من المعقول أن يغضب رسول الله ﷺ من بني النضير لعدم خروجهم للقتال في أُحُد دون أن تكون هناكَ معاهدة تلزم الفريقين بتنفيذها.

وبالنتيجة فمهما يكن من أمر فإن عدم إشتراك بني النضير مع المسلمين في وقعة أُحُد أدت إلى فرض الشك من قبل الرسول ﷺ باليهود. مما حدا بتقارب المعارك الضارية.

---

(١) السيرة، جـ٢ ص ٨٩/ ابن هشام.

(٢) تاريخ اليهود، ص ١٣٥. إسرائيل ولفنسون.

حزّ أسىً في نفس رسول الله ﷺ تلك المجزرة التي حصلت في الرجيع وبئر معونة عندما قتل أربعون مسلماً من خيرة الصحابة على يد الأعراب غدراً[١]. خاصة وإن هذه الحادثة أضعفت هيبة المسلمين في نفوس بني النضير الذين إعتبروا أن المسلمين هزموا في وقعة أُحُد؛ بعدما حققوا إنتصاراً باهراً في بدر وإخراج بني قينقاع من المدينة.

ولكن وسرعان ما تبددت مطامع اليهود في إعتبارهم أن الدعوة الإسلامية بدأت في الإضمحلال، وأن رسول الله ﷺ عرف كيف يواجه هذه الظروف الطارئة، فالخطر يكمن في أن يشعر المسلمون بضعف نفسوهم أمام غيرهم في المدينة، وليس شيء يطمع قبائل العرب فيهم مثل أن يشعروا بهذا الإنقسام الداخلي يوشك أن يثير حرباً أهلية إذا غزا المدينة غازٍ من جيرانها[٢].

لذلك فإن رسول الله ﷺ إستعمل مبدأ الوقاية ضد القبائل المشتركة بعد أُحُد. فعمل على نهج الدفاع الهجومي ـ أن يهاجم الأعداء في عقر دارهم قبل أن يهاجموه ـ ورأى نبي الله ﷺ أن يطبق هذه الطريقة على بني النضير بعد أن شهروا بالمسلمين وعملوا على إيذائهم بالأقوال والأفعال؛ خوفاً من تعريض قيادة المدينة للضعف والإضطراب والتململ.

أما فيما يتعلق بالأسباب المباشرة لغزوة بني النضير والذي أدى إلى إنفجار الموقف بين المسلمين واليهود، فيرجعه مؤرخي السيرة إلى إرسال الرسول ﷺ أربعين رجلاً يعرفون **بالقرّاء** ليدعو أهل **نجد** إلى الإسلام، فلما نزلوا ببئر معونة غدر بهم **عامر بن الطفيل** وقاتلهم، ولم ينج منهم إلّا عمرو بن أمية الضميري، وفي عودته قتل رجلين من بني عامر، مع أن الرسول قد ضمن لهما أمنهما، مما حداه ﷺ أن يلوم عمرو على فعلته هذه.

وقد أرسل عامر بن الطفيل (قاتل الأربعين مسلماً) يطلب دية هذين الرجلين

---

(١) السيرة جـ ٣ ص ١٨٤/ ابن هشام.

(٢) حياة محمد ص ٣٠٨/ محمد حسين هيكل.

من رسول الله ﷺ؛ فخرج النبي محمد ﷺ ومعه أبو بكر وعلي يؤمن الدية لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر.

وفي تلك الأثناء تآمر المشركون على قتل الرسول ﷺ بإلقاء صخرة عليه من على ظهر الجدار وهو جالس؛ وانتدب لذلك عمر بن جماش، فصعد ليلقي الصخرة، رغم أن سلام بن مشكم نهاهم عن ذلك فلم يقبلوا منه[١].

بعد هذه الفعلة الشائنة أدرك الرسول ﷺ ما يحاك ضده عن طريق الوحي فغادر المكان مظهراً أنه يريد قضاء حاجته، وعاد إلى المدينة، ثم تبعه أصحابه فأخبرهم بالأمر[٢]. بعدها أرسل النبي ﷺ محمد بن مسلمة إليهم وأمرهم أن يخرجوا من بلاده بمدة عشرة أيام ومن رؤي بعد ذلك تضرب عنقه.

وقد أورد الطبري[٣] أن سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم، وأتقوا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنين)؛ فالمقصود بباسطي الكف هم اليهود من بني النضير، ومحاولتهم قتل الرسول ﷺ.

رغم تأكيد رواية محاولة بني النضير إغتيال الرسول ﷺ إلّا أن بعض المستشرقين ينكرون صحة هذه الرواية لأنه لم يذكرها القرآن الكريم في سورة الحشر التي نزلت بعد جلاء بني النضير؛ فالدكتور ولفنسون[٤] يرى أنه لو كان يهود بني النضير ينوون إغتيال الرسول ﷺ لما كانت هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه، بل كان باستطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم.

فالواضح الجلي في هذا الموقف للدكتور إسرائيل ولفنسون هو أنه يهودي

(١) أمتاع الأسماع، جـ ١ ص ١٧٣/ المقريزي.
(٢) السيرة، جـ ٣ ص ١٨٥/ ابن هشام.
(٣) كتاب التفسير، جـ ٦ ص ١٤٦/ الطبري.
(٤) تاريخ اليهود، ص ١٣٧/ إسرائيل ولفنسون.

ويحاول إثبات إنه لولا عدم تدخل الرسول ﷺ في شؤون اليهود الدينية في المدينة، لما تعرض اليهود للرسول ﷺ ولتركوه وشأنه بل كذلك لأعانوه على محاربة الشرك في الجزيرة العربية. لا نريد إطالة الحديث في هذا لأنه فرضية سلبية، فاليهود معرفون بغدرهم ودهائهم.

وفي محاولة قتل الرسول ﷺ نردّ على ولفنسون بأنه ليس في إمكان يهود بني النضير قتل النبي محمد ﷺ وجهاً لوجه، فطريقة إلقاء الصخرة عليه قد يجدون لها تبريراً من مجنون منهم أو لعب صبية. عدا عن أن مجيء الرسول ﷺ إلى بني النضير كان مفاجئاً دون علم أولئك اليهود؛ مما جعلهم لا يستطيعون ترتيب مهمة الإغتيال الذي سيهدّ بيوتهم على رؤوسهم من قبل سكان المدينة.

ومما يؤكد محاولة بني النضير قتل الرسول ﷺ مقتل كعب بن الأشرف المتصل نسبه بنسبهم.

كذلك فالمستشرق مونتغمري وات[١] يرى أنه يمكن أن يكون عدة إحتمالات سبّبت الإنفجار بين بني النضير والرسول ﷺ هي أن تكون لرفع معنويات المسلمين بعد بعض هزيمة أُحُد عدا عن محاولة قتل الرسول ﷺ.

نعود للإنذار الذي وجهه الرسول ﷺ لبني النضير، فلقد أعدَّ اليهود العدة للرحيل لولا أن عبدالله بن أبي سلول أرسل إليهم يقول (أثبتوا وتمنعوا فإنّا لن نسلمكم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم، وتمدكم قريظة فإنهم لن يخذلوكم، وتمدكم حلفاؤكم من غطفان(٢)). وعليه فقد رفض بنو النضير الخروج من البلاد وأرسلوا يخبرون النبي محمد ﷺ بذلك؛ ثم تحصنوا

---

(١) Muhammad prophet and Statesman. p. 151.

(٢) مغازي رسول الله ص ٢٨٧ / الواقدي.

وأغلقوا الممرات إلى بيوتهم، وحملوا الحجارة إلى حصونهم؛ وخزنوا من الطعام ما يكفيهم مدة طويلة من الزمن، إختلف القادة في ذلك فسلام بن مشكم رأى أن ينصاعوا لأمر محمد ﷺ، لكن حـي بن أخطب أبى ورفض واستكبر.

سار الرسـول ﷺ إلى حصون بني النضير وحاصـرها. فإن بن أبي خفّ إلى نجدتهم كما وعدهم، وكذلك حلفاؤهم من غطفان[1] أما أخوتهم من بني قريظة فقد رفضوا أن ينقضوا العهد مع النبي محمد ﷺ.

في هذا الحصار لم يستسلم بني النضير؛ فعمد رسـول الله ﷺ إلى قطع نخليهم وحرقه،علم اليهود من بني النضير أن محمد ﷺ قد أراد مهاجمتهم؛ فدب اليـأس في قلوبهم، وأدركوا أنـه لا مفرّ من جـلائهم فأرسلوا إلى الـرسـول ﷺ يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم، فصالحهم الرسول ﷺ على أن يخرجوا من المدينة ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاؤوا من مال أو طعام ليس لهم غيره[2].

فخرجوا من المدينة بعد حصار دام خمس عشرة ليلة، ونفذّوا بما أُذن لهم من حمله، وكان ذلك على ستماية بعير، فذهبت طائفة منهم إلى لشام، بينما توجه أكثرهم إلى خيبر وعلى رأسهم حيي ين أخطب وعائلته، وسلام بن أبي الحقيق، وعندما خرجوا كانوا يحملون الدفوف والمزامير ويرقصون، وقد تزينت نسـاؤهم بأحسن زينة، وكان يبدو عليهن السرور والإبتهاج مما أثار إعجاب المسلمين[3].

وفي القرآن الكريم وردت بعض الآيات في سورة الحشر: **﴿سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون**

---

(٢) الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ٥٨ / ابن سعد.

(١) نفس المصدر، جـ ٢ ص ٥٨.

(٣) السيرة - جـ ٣ ص ١٩٣ - ابن هشام.

بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فأعتبروا يا أولي الأبصار. ولـولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب، ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين[1]).

وفي قصة تخريب بيوتهم بأيديهم، فقد أورد ولفنسون[2] أن بني النضير هـدموا بيوتهم ربطاً بالعقيدة اليهودية المعروفة عنـدهم وهي أن كل يهـودي يعلق على نجاف داره صحيفة تشمل على وصية موسى لبني إسرائيل وأن اليهود كانوا يضعون الصحيفة داخل نجاف خوفاً من إتلاف الهواء أو مسّ الأيدي. بينما يرى بعض المستشرقين أن ما كـانوا يحملونه هو أخشـاب بيوتهم بعـد تخريبهـا، وذلك لأن الأخشاب غالية من مناطق الأقاليم الصحراوية.

فلرحيل بني النضير، أثرٌ توزع على عدة أقسام أولها يتعلق بالمسلمين والثاني يختص بالمنافقين في المدينة، والثالث يخصّ بطون بني النضير الذين أجلوا إلى خيبر.

فـرحل بنـو النضير وحمّلوا أبلهم، أمـا أرضهم ونخلهم وسائـر سـلاحهم فأصبحت للرسول ﷺ، «وكانت هذه الأموال خالصة لرسول الله ﷺ»[3] وكان بينها خمسون درعاً وثلاثمائة وأربعون سيفاً. وقد قسّم الرسول ﷺ هـذه الأموال بين المهاجرين بقبول ورضا الأنصار.

ومما روى أن رجلين في بني النضير لم تمس متاعهما وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها[4].

---

(١) سورة الحشر: الآيات ٢ ـ ٥.

(٢) تاريخ اليهود، ص ١٣٨ ـ إسرائيل ولفنسون.

(٣) فتوح البلدان ـ ص ٣١، البلاذري.

(٤) السيرة، جـ ٣ ص ١٩٢. ابن هشام.

وبعد نزوح بني النضير، تفرّغ المسلمون في المدينة لقمع الاعراب الذين تسببوا في مذبحتي الرجيع وبئر معونة.

وكان كاتب سر الرسول ﷺ إلى حين إجلاء بني النضير من اليهود يكتب الرسائل بالعبرية والسريانية، له ما يريد، فعدل الرسول ﷺ عن كتّاب اليهود، واتخذها بعدها زيد بن ثابت كاتباً له موعزاً إليه أن يتعلم الآرامية[1].

فأجلاء بني النضير كانت ضربة قاصمة لليهود، ومصاب المنافقين في المدينة لم يقل فداحه عن ذلك، إذ خفت صوتهم وفترت عزيمتهم حتى أن عبدالله بن أبي قال أنه أصبح يشعر بأنه رجل أجنبي في وطنه غريب عن بلاده بعد جلاء بني النضير[2].

واختلف الشعراء في هجائهم ومدحهم لبني النضير بعد إجلائهم فكعب بن مالك ذمّهم؛ بينما ردّ عليه السماك اليهودي معدداً مناقبهم ومآثرهم، ثم تصدّى شاعر آخر من المنافقين يدعى عباس بن مرداس بالثناء عليهم، فردّ عليه شاعر مسلم سائلاً إياه عن سبب رثائه لليهود وقد كان لهم من عداوة الله ما كان، فقال عباس (أنهم كانوا أخلائي في الجاهلية، وكانوا قوماً أنزل بهم فيكرمونني، ومثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل[3]. وقد أورد ابن هشام بعضٌ من هذه القصائد.

ظنّ يهود بني النضير أن جلاءهم هو نصرٌ لهم، ولكن سرعان ما وجدوا العكس حين نزلوا على يهود خيبر فبعض زعمائهم أمثال حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وغيرهم شعروا بصعوبة العيش في ديار إخوانهم من يهود خيبر وذلك لأنهم شعروا بمرارة الهجرة وخيبة الأمل الناتجة عن نزوحهم.

تبدّلت أحوال بني النضير في خيبر التي أصبحت تعد المركز الرئيسي لليهود

---

(١) حياة محمد، ص ٢٤٦ إميل درمنغم. ترجمة عادل زعيتر.

(٢) مغازي رسول الله، ص ٢٩٠. الواقدي.

(٣) السيرة، جـ٣ ص ١٩٨ ـ ٢٠٣/ ابن هشام.

في الجزيرة العربية، وأصبح حيي بن أخطب من سادة خيبر الفعليين؛ فهم بني النضير على مستوى عالٍ من المكر والدهاء يعرفون كيف يصلون إلى قمة قومهم بعدما ضاعت آمانيهم في الأمر وذاقوا مرّ العيش وصعوبته وعلى هذه الزعامة فقد قرر بنوا النضير أن يألبوا قريش من المشركين وبقية اليهود مجتمعين في حرب ضد الرسول ﷺ والمسلمين معه من مهاجرين وأنصار يحسمون فيها الوضع. فقالت لهم قريش (يا معشر يهود أنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ومحمد أفديننا خير ام دينه، قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه[1])، سرّ هذا قول مشركي قريش وعملوا على محاربة الرسول ﷺ. أشار القرآن الكريم منددآ بفعلة قريش هذه.

نرى المستشرق ولفنسون[2] يحلّل ويعلّل عملية الحرب اليهودية الإسلامية أنها حق مكتسب لليهود، فلقد طردوا من أرضهم وهم أحق بالعودة إليها، خاصة وإنهم عملوا على السجية البشرية التي يقوم بها كل أمرئ في ماحصل معه ما حصل لطرد اليهود وإخراجهم كلياً من البلاد. ويعود ولفنسون يضع اللائمة على اليهود في محادثاتهم مع قريش حيث فضل اليهود دين وثني على رسالة سماوية.

ونحن بدورنا نقول بأن اليهود إشتروا الضرر لأنفسهم حيث عزموا على القول بأن الديانة الوثنية هي أفضل من الديانة الإسلامية؛ ففي توارتهم توصيهم التعاليم بالنفور من أصحاب الأصنام وإعتبراهم خصم خالص. فهنا إندمجت ديانتين يهودية - وثنية (متخاصمة ضمناً كالنار تأكل بعضها) متحدة ظاهراً لمصلحة مشتركة فحسب.

كانت زعامة الوفد اليهودي بزعامة حيي بن أخطب الذي زيّن لقريش بأن يهود بني قريظة سيكونوا معهم[3] وأنهم سيعقدون حلفاً مع غطفان. على أثره

(١) السيرة، جـ٣ ص ٢١٤. ابن هشام.

(٢) تاريخ اليهود - ص ١٤٢. إسرائيل ولفنسون.

(٣) مغازي رسول الله ص ١٩١. الواقدي.

ذهب الوفد إلى غطفان وعقد معها حلفاً مع محمد ﷺ مقابل تقديم اليهود لغطفان ثمار مزارع خيبر لمدة سنة كاملة إذا تمّ لهم النصر على محمد ﷺ[1]، كذلك عملوا على تحريض عدة قبائل عربية ضد رسول الله ﷺ.

زاد التحالف فشكل مثلثاً قوامه اليهود ـ مشركي قريش ـ غطفان ضد النبي محمد ﷺ بمساعي العقل اليهودي والمال اليهودي للوصول إلى الأهداف السياسية لقريش واليهود؛ بينما كانت أهداف غطفان إقتصادية فقط.

علم رسول الله ﷺ بواسطة عيون المسلمين زحف التكتل المشترك؛ فعمد إلى حفر خندق حول المدينة للجهة الشمالية بإيعاز وإشارة من سلمان الفارسي لزيادة تحصينها.

في السنة الخامسة للهجرة وفي شهر شوال، خرجت قريش لقتال الرسول ﷺ ونزلت بمجمع الأسيال من عشرة آلاف مشرك، وأقبلت غطفان من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحُدُ؛ وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم لسلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب عسكره هناك وأصبح الخندق بينه وبين القوم[2].

حال الخندق دون تقدم الأحزاب المقاتلة للمسلمين، واقتصرت الطرق على تبادل الترامي بالنبال؛ على رغم كثرة الجيوش المجتمعة شكلاً والمتفرقة ضمناً كلٌ لأهدافه لم يستطع أحد منهم التقدم نحو المدينة، وهنا نوضح أيضاً بأن جيوش الأعراب بدأت تتململ لأنها ما تعودت أن تطيل الإقامة في مكان واحد.

ج ـ حربه ﷺ مع قريظة:

طالت المحادثات بين الأحزاب والتكتلات والمؤامرات، وبني قريظة لم تدخل على خطوطهم، لأنهم لا يريدون من نقض العهد للرسول ﷺ، لكنّ

---

(١) نفس المصدر ص ٢٩٣.

(٢) السيرة جـ٣ ص ٢٢٠ ابن هشام.

حيي بن أخطب أذكى وأدهى يهود بني النضير الذي أصبح سيداً أيضاً في قلب يهود خيبر تكفّل بجلب يهود بني قريظة لصفهم في القتال ضد رسول الله ﷺ. وفي هذا يروي ابن هشام[1] أن كعب بن أسد سيد بني قريظة لمّا سمع بقدوم حيي بن أخطب أغلق باب حصنه دونه، ورفض أن يفتح له الباب رغم إلحاحه عليه، لأنه لا يريد أن ينقض العهد مع الرسول ﷺ. وعيّره حيي بأنه لم يفتح له خوفاً من أن يأكل معه، ففتح له، وما زال يلحّ عليه ويراوغه حتى قطع عهده مع محمد ﷺ وأعطاه عهداً لئن رجعت قريش وغطفان ولم ينتصروا على محمد ﷺ أن يدخل مع كعب في حصنه حتى يصيبه ما يصيب كعباً.

إرتفعت روح الأحزاب معنوياً بإنضمام بني قريظة إليهم، واشتدّ الحصار على المسلمين إذ أصبحوا محاصرين من الشمال والجنوب، ثم قطعت بني قريظة المؤن والإمدادات عن الرسول ﷺ والمسلمين معه. وبدأت إشاعات المنافقين في تلفيق الإشعاعات عن ضعف معنويات المسلمين؛ كالذي قاله المشركين المنافقين بأن المسلمين وعدهم محمد ﷺ بكنوز قيصر وكسرى وهم اليوم لا يأمن من أحدهم الذهاب إلى الغائط.

لله العزّة، فقد صور القرآن الكريم حال المسلمين حين حاولت الأحزاب مجتمعة محاصرة النبي محمد ﷺ والمسلمين تصويراً واضحاً ومميزاً (أذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا. هنالك إبتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً[2]).

حاول رسول الله ﷺ أن يقنع بني قريظة بالرجوع عن نقض العهد وعدم الإلتحاق بصفوف الأحزاب؛ فأرسل إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج لينهيا بني قريظة عن نقض العهد إلاّ أن كعب سخر منهما ولم

(١) نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٢١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٩ ـ ١٢.

يسمع لرجاء أو تحذير[1]. أمام هذه المستجدات الجديدة، لجأ رسول الله ﷺ إلى إعتماد الأساليب التي من شأنها أن تخفّف الضغط على المسلمين تشديد الحراسة على المدينة؛ وعلى الأخص لجهة بني قريظة. كذلك إستعمل رسول الله ﷺ عملية التحالفات الجانبية، فقد توصّل إلى غطفان وتفاوض معها على إعطائها ثلث ثمار المدينة، وقبل توقع المعاهدة إستشار الرسول ﷺ سيد الأوس والخزرج فأبديا إعتراضهما قائلين: (يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا إلّا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه نعطهم أموالنا، ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلّا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم[2]). فعدل الرسول عن توقيع الإتفاقية.

للمستشرق ولفنسون[3] رأي بإتفاقية الرسول ﷺ وغطفان فهو يرى أن هذه الإتفاقية قد وقّعت لأن غطفان فضلت ثلث ثمار المدينة على الأكثر من الأحزاب لأنها ستفوز بهذا دون سفك دمائها. لكن ولفنسون تجاهل دور نعيم بن مسعود في الإيقاع بين اليهود والأحزاب تجاهلاً تاماً مع العلم أن جلّ كتب ذكرت عمل نعيم بن مسعود في التفرقة بين جموع المشركين ضد المسلمين.

فإبن هشام[4] أورد أن نعيم بن مسعود جاء الرسول ﷺ وأعلن إسلامه دون علم قومه، وطلب من الرسول ﷺ أن يكلّفه بما يشاء. فطلب الرسول ﷺ منه أن يخذل عن المسلمين وذكر له أن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود إلى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية فذكّرهم بوده نحوهم فقالوا لست عندنا بمتهم. ثم ذكر لهم أن قريشاً وغطفان جاؤا لحرب محمد ﷺ في بلد ليس بلدهم وليس فيه أبناؤهم وأموالهم ونساؤهم فإن هزموا لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، ونصحهم أن لا يقاتلوا مع الأحزاب حتى يأخذوا رهناً

---

(1) السيرة جـ ٣ ص ٢٢٢. ابن هشام.

(2) السيرة جـ ٣ ص ٢٢٣. ابن هشام.

(3) اليهود في بلاد العرب ص ١٤٦. إسرائيل ولفنسون.

(4) السيرة جـ ٣ ص ٢٣١ ابن هشام.

من اشرافهم ضماناً لليهود. فسرّوا برأيه. ثم خرج نعيم إلى أبي سفيان وذكرهم بوده نحوهم وفراقه لمحمد ﷺ، ثم نصحهم أنه بلغه أن معشر اليهود ندموا على ما فعلوا مع محمد ﷺ ثم عرضوا عليه أنهم سيأخذون له من قريش وغطفان بعض أشرافهم فيضرب محمد ﷺ أعناقهم، ثم ينضمون إليه فيستأصلون من بقي من الأحزاب. وقد نصحهم نعيم أن لا يعطوا اليهود رهناً إن طلبوا منهم ذلك.

ثم خرج نعيم إلى غطفان وحذرهم ما حذّر قريشاً من اليهود[1]. وأراد أبو سفيان أن يتأكد من صدق ما نقله نعيم بن مسعود عن بني قريظة، ففي ليلة السبت من شوال في السنة الخامسة للهجرة؛ أرسل إلى بني قريظة، وطلب منهم أن يخرجوا لحرب محمد ﷺ في الصباح، فامتنعوا عن ذلك وقالوا أن غداً السبت ولا نعمل فيه شيئاً ومع ذلك رفضوا أن يقاتلوا معهم محمداً ﷺ وأبدوا خوفهم إن إشتدّ القتال أن يرحلوا أو يتركوا اليهود لمحمد ﷺ، وطلبوا منهم رهائن حتى يطمئنوا. فلمن سمع أبو سفيان بذلك تأكد بأن الذي ذكره نعيم بن مسعود حق[2].

وبهذه الطريقة توفّق نعيم في إحراج الفرق والأحزاب في خلاف مع بعضها البعض في أحلك الظروف والأوقات التي آشتد فيها الأمر على المسلمين. وتفرقت قوى المشركين وتمّ رحيلهم عن المدينة.

بقيت يهود بني قريظة وحدها في الميدان عدوة مباشرة لرسول الله ﷺ والمسلمين؛ فهي لم تقاتل من قبل الرسول ﷺ سوى أنها إهتمت بقطع المؤن والإمدادات عن المسلمين وقامت ببعض الحوادث الفردية التي قصد منها بنو قريظة التجسس على المسلمين لنقل أوضاعهم إلى حلفائهم من الأحزاب. لكن عملياتهم باتت معروفة، فعندما كان المسلمون أمام الخندق ترك رسول الله ﷺ النساء والأطفال في بعض الحصون داخل المدينة، وكانت صفيّة عمة رسول الله ﷺ فيه، كذلك حسان بن ثابت، فمرّ رجلٌ من اليهود يطيف بالحصن لإستطلاع

(١) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١٨٣. ابن الأثير.
(٢) السيرة جـ ٢٣١. ابن هشام.

أحوال المسلمين، فطلبت صفية من حسان أن ينزل ويقتله، ثم نزلت وأخذت عموداً وقتله[1].

في غزوة الأحزاب:

على نصّ العهد والميثاق، كان وجوباً لبني قريظة أن تنضمّ مع رسول الله ﷺ لقتال الأحزاب المشركة، فالمعاهدة نصت على مؤازرة بني قريظة للرسول ﷺ في حال هجوم على المدينة، وعلى هذا يترتب أن يكون الدفاع مشترك.

فالنقلّة ما بين الرفض في قتال المسلمين أول الأمر؛ ومساعدة اليهود عامة والأحزاب بطلب من حيي بن أخطب على إستصال الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين من المدينة؛ عرّض أحوال بني قريظة لخطر جسيم هم أرادوه خاصة وأنهم دخلوا في تحالف وثني يهودي شكل بالفعل خطراً جسيماً على أحوال المسلمين في المدينة.

لهذا رأى رسول الله ﷺ أن لا تعطى أية فرصة ليهود بني قريظة؛ فقد أمر الرسول ﷺ بعد رجوعه من غزوة الخندق مؤذّناً، فأذن في الناس (من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلاّ ببني قريظة[2]). فتحرك المسلمون وحاصروا حصون بني قريظة وفيها حيي بن أخطب الذي نفّذ عهده مع سيدها كعب بن أسد.

وفي هذه المسيرة الإسلامية يعلق در منغم[3] على ذلك بأنه كان من الصعب على المسلمين أن لا يصفوا حسابهم مع بني قريظة اليهود الذين إنحازوا إلى العدو أيام غزوة الأحزاب.

حاصر المسلمون بني قريظة على بئر من آبارهم لمدة خمس وعشرين ليلة، لم يجرؤ بني قريظة على الخروج من حصونهم طيلة مدة الحصار، إذ لم يتجاوز

---

(١) السيرة جـ ٣ ص ٢٢٨. بان هشام/ الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١٨٢. ابن الأثير.
(٢) السيرة جـ ٣ ص ٢٣٤. ابن هشام.
(٣) حياة محمد، ص ٢٧٢. إميل درمنغم ترجمة عادل زعيتر.

عددهم السبعماية بينما كان عدد المسلمين يزيد على الألفين. هذا بالإضافة أن بني قريظة أقل علم ودراية بأمور الحرب كغيرهم من البطون اليهودية.

لم تحصل مناوشات تذكر بين المسلمين واليهود في هذا الحصار سوى ما ذكر أن خلاد بن سويد قد إستشهد وهو من المسلمين إذ طرحت عليه رحى من على ظهر أحد حصون اليهود[1].

على جناح السرعة بالفعل آثر يهود بني قريظة الإستسلام على الحصار بالرغم من أنهم إحتفظوا بالمؤن والمواد الغذائية التي تكفيهم في القتال، لكن خوفهم من غضب الرسول ﷺ والمسلمين دعاهم إلى إتخاذ هذا القرار.

فلمّا بات الأمر واضحاً بالحصار والخسارة عند اليهود أقدم كعب بن أسد سيد بني قريظة وجمع قومه قائلاً (يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثة فخذوا أيها شئتم، قالوا وما هي، قال، نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دماؤكم وأموالكم ونساؤكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم عليَّ فهلم لنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد ﷺ وأصحابه مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ﷺ ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدنّ النساء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم، قال، فإن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت، وأنه عسى أن يكون محمد ﷺ وأصحابه يأمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيره. قالوا: نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلاّ من قد علمت، فأصابهم لما لم يخف عليك من المسخ، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً[2]).

بعد إجتماع يهود بني قريظة بسيدهم أرسلوا إلى الرسول ﷺ أن يبعث إليهم

(١) مغازي رسول الله ص ٢٩٧. الواقدي.
(٢) السيرة، جـ٣ ص ٢٥٤. ابن هشام.

أبا لبابة ليستشيروه في أمرهم، وكان أبو لبابة من الأوس حلفائهم زمن الجاهلية؛ فلما جاءهم أجهشن النساء بالبكاء أمامه وتعالت أصوات الأطفال حتى رقّ قلبه لهم. ثم طلبوا منه أن يعطيهم رأيه في النزول على حكم محمد ﷺ؛ فأشار بيده إلى حلقه يعني أنه الذبح فعرف أنه خان رسول الله ﷺ، ثم خرج وربط نفسه إلى عمود في مسجد وأقسم أن لا يفك حتى يتوب الله عليه، وعاهد الله أن لا يطأ أرضاً لبني قريظة أبداً، وظل كذلك حتى تاب الله عليه وأطلقه الرسول ﷺ[1].

حاول بني قريظة بطلبهم من رسول الله ﷺ الصلح والضمان وحقن دمائهم كبني قينقاع لكن الرسول ﷺ رفض ذلك، كذلك حاولوا طلب الهجرة مع متاعهم متنازعين عن الأموال، لكنهم فشلوا، فالنبي محمد ﷺ لم يقبل منهم إلّا النزول على حكمه بدون شرط[2].

وقد لجأ بنو قريظة لوسيلة أخرى يستدرجون فيها حلفائهم من الأوس فجعلوهم واسطة بينهم وبين الرسول ﷺ أن يفعل معهم مثلما فعل مع بني قينقاع حلفاء الخزرج بالقبول بجلائهم، لكن الرسول ﷺ عرض على الأوس أن يختاروا رجلاً منهم يحكم بين بني قريظة وبينه ﷺ. فأختار بنو قريظة سعد بن معاذ، فأخذ سعد المواثيق من الطرفين بأن يقبلوا بقضائه فأعطوه المواثيق فطلب من بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم ويضعوا السلاح ففعلوا. وقد ألحّ الأوس على سعد أن يحسن في مواليهم فلما أكثروا عليه قال (لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم[3]).

وحكم سعد بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبي الذراري والنساء، فقال له الرسول ﷺ (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[4]).

---

(١) الكامل في التاريخ جـ٢ ص ١٨٥. ابن الأثير.
(٢) مغازي رسول الله ص ٢٩٩. الواقدي.
(٣) مغازي رسول الله، ص ٢٩٩. الواقدي.
(٤) السيرة، جـ٣ ص ٢٤٠، ابن هشام.

وصف مؤرخو السيرة تنفيذ الحكم في بني قريظة أنه بعد أن حبسهم الرسول ﷺ حفر المسلمون الخنادق في المدينة، ثم سيق الرجال إلى هذه الخنادق أرسالاً وكانوا بين سبعماية وثمانماية، وضربت أعناقهم وقد قالوا لكعب بن أسد سيدهم وهم يذهب بهم إلى الرسول ﷺ (يا كعب ما تراه يصنع بنا فقال: أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع وأنه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل[1]).

ولمّا جيء بحيي بن أخطب نظر إلى الرسول ﷺ وقال: (أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل) ثم أقبل على الناس، فقال أيها الناس: (لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل[2]) ثم جلس فضربت عنقه.

ولم يقتل من نساء بني قريظة إلّا إمرأة واحدة بسبب قتلها خلاد بن سويد عندما ألقت عليه رحى من أحد الحصون. والعجيب في أمرها أنها كانت مسرورة كأنها مقبلة على عريس قبيل ضرب عنقها. وقتل منهم البالغ في الذكور؛ وقد إستشفعت سلمى بنت قريش إحدى خالات الرسول ﷺ برفاعة بن سموأل القرظي وكان بالغاً فوهبه الرسول ﷺ لها لأنه كان صديقاً لأهلها[3].

وقد حدا الخوف من فعلة بني قريظة أنهم صاروا يطلبون الموت على الحياة وفي ذلك ذكر ابن هشام[4] قصة للزبير بن باطا مع أحد المسلمين من الأنصار خلاصتها أن الزبير كان قد مَنَّ على ثابت بن قيس في يوم بعاث وخلّى سبيله. فجاءه ثابت بعد معركة بني قريظة ليجزيه بإحسانه. وذهب ثابت بعدها إلى الرسول ﷺ ورجاه في أمر الزبير، فعفا عنه وعن إمرأته وولده، ووهب له ماله.

---

(١) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١٨٦. ابن الأثير.

(٢) البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٢٣. ابن كثير.

(٣) السيرة جـ ٣ ص ٢٤٤. ابن هشام.

(٤) نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٤٢ ابن هشام.

ولكن الزبير عندما علم بمقتل كعب بن أسد وحيي بن أخطب زعيمي اليهود، رجا ثابت أن يلحق بسادة قومه لأنه لا يستطع أن يصبر على العيش بعدهم.

وهنا نرى القرآن الكريم يشير إلى ما حلّ ببني قريظة من اليهود بقول الله سبحانه وتعالى **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم، وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون، وتأسرون فريقاً. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها، وكان الله على كل شيء قديراً﴾**[1].

٥ ـ نتائج الغزوات:

لغزوة بني قريظة نتائج هامة للمسلمين، فهي في أولها خفّ ثقل اليهود عن المدينة، وانتهى دورهم في المكائد والخداع والسلطة؛ فأصبحت المدينة آمنة للدخول إليها والخروج منها.

فبعد جلاء الأحزاب قال رسول الله ﷺ (الآن نغزوهم ولا يغزوننا[2]). وقد ترتّب على إجلاء بني قريظة نتائج مادية أيضاً وهي ما قسّمها رسول الله ﷺ من الذهب والفضة والمنازل والمزارع على المسلمين؛ ذكر منها ألف وخمسماية سيف وألفا رمح وثلاثماية درع وخمسماية ترس[3].

وخمّس الرسول هذه الأموال بين المسلمين الذين إشتركوا في حصار بني قريظة، كما خص النساء اللواتي حضرت عمليات الحصار من هذه الغنائم أيضاً[4].

أمّا النساء والذراري فقد قسّمت بين المسلمين، ومنع الرسول أن يفرّق بين الأم وولدها في السبايا، وبين الأخوة حتى يبلغوا، وقد بعث الرسول ﷺ بقسم من

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) صحيح البخاري (باب عزوة الخندث) جـ ٥ ص ١٤١، البخاري.

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٧٥. ابن سعد.

(٤) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣٦٣. برهان الحلبي.

هذا السبي إلى نجد فابتاع به خيلاً وسلاحاً. كما إصطفى الرسول ﷺ لنفسه من نساء بني قريظة ريحانة بنت عمرو، وقد تزوجها بعد أن أعتقها وأسلمت[٤].

وعلى الصعيد الديني فإن البعض من يهود بني قريظة قد دخلوا الإسلام فأسلموا وسلمت نفسهم؛ وعرف منهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد.

كذلك في كتب السيرة التي روت إعلان إسلام بعض اليهود، فقد روى ابن هشام[١] قصة إسلام عمرو بن سعدي من بني قريظة إذ رفض أن يدخل مع قومه في غدر الرسول ﷺ وأهاب بقومه أن يؤمنوا بمحمد ﷺ بعد غزوة بني النضير، ولكنه ما لبث أن إختفى وقد أثنى عليه الرسول ﷺ.

و ـ الحكم في بني قريظة:

رأينا من الواجب التوضيح فيما جرى في إعدام بني قريظة، لأن هذه العملية في ظاهرها ضرب وحشي وقاسٍ لنساء اليهود وذريتهم بعدما رأوا قتل أهلهم من الرجال بأمة عينهم. لكننا هنا نريد أن لا تؤخذ هكذا أمور على سجيتها وسطحيتها. فلعملية الإعدام أسباب تجلّت ودعت إليها، فبني قريظة لم يكونوا على خصام مع المسلمين زمن تحالف الأحزاب والمشركين؛ فما الداعي لأن ينضم بني قريظة مع التحالف الوثني ـ اليهودي؟

أو ليس لإيقاع الخسارة البشرية والمادية بالمسلمين ولقتل رسول الله ﷺ وإنهاء الدعوة الإسلامية، تلك الرسالة السماوية التي نزلت على النبي محمد ﷺ ودعته على بثها ونشرها في الأرض؟.

أو ليس توجد معاهدة دفاع مشترك بين الرسول ﷺ ويهود بنو قريظة ضد الغير؟.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٧٥. ابن سعد.

(٢) السيرة، جـ ٣ ص ٢٣٨، ابن هشام.

أو ليس يعتبرهم القانون الدولي في عصرنا هذا خونة تعاملوا مع العدو، ووجب إعدامهم؟

وعلى هذا فإن حكم سعد بن معاذ بقتل المحاربين اليهود من بني قريظة، صورة مقابلة لما سيفعله تجمع المشركين لو إنتصروا برجال المسلمين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ.

فالدكتور أحمد شلبي[1] يرى أنَّ الحكم في قضية بني قريظة حقاً مشروعاً للمسلمين وهو مبدأ الدفاع عن النفس وقد أوجزه بما يلي:

١ ـ لقد سمح المسلمون لبني النضير بالخروج من المدينة، كانت نتيجتها تعريض المسلمين للخطر بسبب تأليب بني النضير الأحزاب.

٢ ـ لقد كان ذنب بني قريظة عظيماً ولولا تدارك الموقف لقضي على المسلمين.

٣ ـ رأى سعد بن معاذ مهزلة وسخرية بني قريظة منه ومن صاحبه عندما ذهبا إليهم لثنائهم عن الإنضمام إلى الأحزاب ونقض العهد.

٤ ـ العفو عن بني قريظة وإخراجهم من المدينة سيعني بلا شك إنضمامهم إلى بني النضير، حيث يتضاعف الخطر اليهودي على المسلمين.

لهذه الأسباب حكم على بني قريظة بالإعدام لخيانتهم العظمى، والدفاع المشروع عن النفس لدى المسلمين.

---

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ ١ ص ١٥٧. د. أحمد شلبي.

* أسباب غزوة خيبر:

من أهم الأسباب التي أدت إلى وقعة خيبر هي مقتل شخصيات يهودية كبيرة أمثال أبو رافع سلام بن أبي الحقيق وأسير بن رزام؛ فقد ذكر بعض الإخباريين أن سلام قتل في السنة الثالثة أو الرابعة للهجرة أي قبل غزوة الخندق[١]. بينما ذكر آخرون أنه قتل بعد غزوة الخندق وقبيل غزوة خيبر[٢]. فمن ظاهر التأريخ أن ابن الأثير والطبري توافقا في سنة القتل؛ فيما ابن هشام وابن سعد والبخاري ذكروا قصة قتله في السنة السادسة للهجرة قبيل معركة خيبر، وهذا هو الصحيح على الأغلب لأن ابن أبي الحقيق كان يسكن حصناً في خيبر البعيدة عن المدينة؛ لذلك لا يمكن للرسول ﷺ أن يهتم بإجراءات مقتل ابن أبي الحقيق خارج المدينة في السنة الثالثة، وأمور القلق تأتيه من يهود المدينة واعتداءات قريش كانت متتالية في ذلك الوقت.

فإبن هشام والبخاري[٣] ذكروا بأن الأسباب التي حدت بالرسول ﷺ أن يأمر بقتل ابن أبي الحقيق لأنه كان يحرّض على قتال المسلمين بعد غزوة بني قريظة. فلما علم رسول الله ﷺ بهذا الأمر وما سينتج عنه من تهديد للمسلمين أمر نفراً من أصحابه وعلى رأسهم عبدالله بن عتيك للقضاء عليه كونه على معرفة ببعض العبرية؛ والجدير ذكره أن الأوس والخزرج تسابقت على تنفيذ أمر الرسول ﷺ.

---

(١) الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٤٦ ابن الأثير/ تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ ص ٦ الطبري.

(٢) السيرة جـ ٣ ص ٢٧٠ ابن هشام/ الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩١ ابن سعد.

(٣) السيرة جـ ٣ ص ٢٧٥ ابن هشام/ البخاري، صحيح البخاري (باب قتل أبي رافع) جـ ٥ ص ١١٧.

وقد تتسلل عبدالله بن عتيك على رأس خمسة من أصحابه ليلاً إلى خيبر وغافلوا حراس حصن بن أبي الحقيق ودخلوا عليه، وقتلوه في فراشه. بقتل ابن أبي الحقيق؛ تخلص المسلمون من زعيم يهودي بارز؛ فقد دب الرعب في نفوسهم، فيما نصب اليهود زعيماً آخر لهم وهو أسيد بن رزام الذي أخذ أول ما أخذ بالتحريف على المسلمين.

فمن جملة حملته التأليبية أنه ذهب إلى غطفان يحثهم على قتال المسلمين، مما حدا برسول الله ﷺ أن يرسل عبدالله ابن رواحه على رأس ثلاثة أنفار للتأكيد من إذاعة أخبار بن رزام، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة - سنة مقتل ابن أبي الحقيق وتنصب أسيد بن رزام على الزعامة اليهودية - فعاد الوفد مؤكداً أن أسيد يعد العدّة لغزو المسلمين. فبعث الرسول ﷺ عبدالله بن رواحة مرة ثانية ومعه ثلاثون نفراً لمفاوضة أسيد، وجعل هذا التفاوض على أن يأتي معهم إلى يثرب ليوكله رسول الله ﷺ على خيبر ويحسن إليه.

خرج أسيد بن رزام ومعه ثلاثون رجلاً من يهود إلّا أنه في الطريق ندم على خروجه، وجعل اقتتالا بين المسلمين واليهود وقتل أسيد ولم يفلت من رجال بن رزام إلّا رجل واحد[1].

ولنستعرض معاً آراء المستشرقين في قضية مقتل أسيد بن رزام. فالمستشرق ولفنسون[2] يرى أن عبدالله بن رواحة لم يأت إلى خيبر لعقد مفاوضات بل لتنفيذ خطة سياسة خطيرة من شأنها إضعاف اليهود عن طريق قتل بعض زعمائهم.

وبالرد على ولفنسون يأتي القول بأنه كان من الواجب السياسي على رسول الله ﷺ أن يتفاوض مع يهود خيبر كي يتفرغ لقتال مشركي قريش الذين غزوه عدة مرات، وقد حان لرسول الله ﷺ أن يغزوهم في ديارهم.

---

(١) مغازي رسول الله ص ٢٢٤ - الواقدي.

(٢) تاريخ اليهود، ص ١٥٧. إسرائيل ولفنسون.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن خيبر أصبحت الأكثر عداءً للرسول ﷺ بعد غزوة قريظـة وذلك بلجوء كافة اليهود وإحتمائهم لدى يهود خيبـر. فبمقتل زعيمي اليهود الحانقين على المسلمين واللذين كانا فعلاً يعدون العدة لغزو الرسول ﷺ ضعفت نفوس اليهود وأخذوا يتصلون ببعضهم البعض لإيجاد طريقة مـا لتآلفهم ومخاصمتهم للمسلمين.

فمن المعروف أن سلام بن مشكم كان يتصل بيهود وادي القرى وبقية يهود لحملهم على تأليف حملة يهودية خالصة للزحف إلى يثرب دون أن يعتمدوا على المواطن العربية في هذه الغزوة، لكن بعض الزعماء عـارض في هذا الرأي[1].

وللتأكيد أن رسول الله ﷺ كان راغباً في مفاوضة اليهود في هذه الفترة هو معرفة رســول لله في المواجهة الإفرادية لخصومه، فمشركي قريش يهددون الكيان الإسلامي من جهة مكة، واليهود يتكاتلون بطوناً مع بعضهم البعض، فأصبح موقف الرسول ﷺ حرجاً بين خصمين كبيرين آنذاك.

ولمّا لم تنجح الخطة مع مفاوضة اليهود، أوقف الرسول ﷺ عملية التخطيط لمحاربة قريش.

ففي السنة السادسة في شهر ذي القعدة؛ توجه رسول الله ﷺ إلى العمرة ومعه وفد من المسلمين. ولكي يبرهن المسلمون على حسن نواياهم لبسوا ملابس الإحرام بعد مغادرتهم المدينة، لكن قريش لم تأخذ هذا العمل على محمل الجد واعتبرت أن دخول المسلمين عليهم هو إنتصار للداخلين وهزيمة لقريش.

وهنا دارت الوساطة وقربت وجهتي النظر بين المسلمين والمشركين وانتهى الأمر بصلح الحديبية، وعلى رغم إستياء بعض المسلمين من بعض شروط الصلح إلّا أن الرسول ﷺ أقنعهم بقبولها لإعتباره فتحاً عظيماً ونصراً للمسلمين[2]؛ وفي هذا أشار القرآن الكريم ـ سورة الفتح.

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٩٢ ابن سعد.

(٢) السيرة جـ ٣ ص ٣١٤ ابن هشام.

هذه المصالحة بالحديبية دلّت على بعد نظر سياسي حكيم لرسول الله ﷺ، فإعتراف قريش بالكيان الإسلامي فرصة كبيرة ومؤاتية لتفرغ الرسول ﷺ لقتال يهود خيبر والتخلص منهم.

لغزوة خيبر أهدافاً أكثر منها معركة بين المسلمين واليهود؛ فبعض المستشرقين قالوا بأن الهدف الأول من غزوا المسلمين لخيبر يأتي بالحصول على غنائم. فمرجليوث[1] يذكر أن محمداً ﷺ عاش في المدينة على التلصلص والسلب والنهب؛ وإذا كان هناك ما يبرر نهبه لأهل مكة أو القبائل اليهودية في المدينة إلّا أن أهل خيبر لم ترتكب في حقه ما يعدّ تعدياً منهم جميعاً. ويخلص مارجليوث إلى القول إلى أن المسلمين إنما غزوا خيبر للحصول على ما فيها من غنائم؛ كذلك أن الرسول قد غيّر من سياسته مع اليهود والمشركين فأصبح الآن مجرد القول بأن جماعة ما مشركة أو يهودية وغير مسلّحة كافية لشنّ الغارة عليها، إذ سيطرت على نفس محمد الشهوة التي سيطرت على نفس الإسكندر من قبله ونابليون من بعده، والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة على غيره.

يا لهول هذا التفسير العجيب الذي إعتمده ذلك المستشرق المتعصب الحاقد على الإسلام ورسول المسلمين ﷺ إذ ربط الدعوة الإسلامية الخالصة بالرغبات الإقتصادية شأنه شأن غيره من دعاة الإستشراق.

فالدكتور حسن إبراهيم حسن[2] يذكر أن كتابة مارجليوث تدل على أن الرسول ﷺ أتى بجاموس وأرسله إلى خيبر يعرض عليهم معونة فدك ونصرتها على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر أو قال له أن الذي قبض على هذا العين إنما هو علي بن أبي طالب الذي ذهب إلى فدك لما علم الرسول ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، شَكَّ حينها مارجليوث في صدق التاريخ وأمانته، كما لا يطمئن في الوقت نفسه إلى ما رواه الواقدي وغيره من الإخباريين

Muhammad and the Rise of islam p. 362.

(١) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني جـ ١ ص ١٣٤. حسن إبراهيم حسن.

من أن الرسول ﷺ وصل إلى علمه أن يهود خيبر يعدون العدة لشن غـارة على المدينة، وذلك لأن صدق التاريخ في هذه الحالة يدحض دعواه ويصدّ هجماته على الرسول ﷺ.

كما ذكر المؤرخون أنّ لكل غزوة أسبـابها الملحّـة التي يصح أن تحمـل الرسول ﷺ على أنواع من العقاب أقسى مما كان يفعل وذكروا إلى جـانب هذه الغزوات حرص الرسول ﷺ على الوفاء بعهوده ودفعه الدياتّ لمن قتلهم أتباعه خطأ، وعفوه عن كل معتذر، إذا أتاه مسلّماً إذا حدثه التاريخ بكل ذلك أصمّ أذنيه وأوعى أن الرسول ﷺ قد غيّر سياسته التي أعلنها في أيامه الأولى.

أمّـا إدعاء مـارجليوث في أن المسلمين لم يهـاجموا خيبـر إلاّ رغبة، في الحصول على أموالها، فلعلّ في خروج المسلمين الأولين من مكة عن أموالهم وتحملهم آلام الفتنة وآلام العزلة، ثم الإغتراب والهجرة، ولعلّ في إيواء الأنصار أخوانهم المهاجـرين وقسمتهم ثرواتهم عليهم، ولعـلّ في الآلام التي تحمّلوها والفقر والجوع والفزع الذي ذاقوا مرارته في غزوة الأحزاب وفي غيرها ما يدحض تلك الفريّة التي رمى مارجليوث المسلمين بها.

أمّا المستشرق جون باجوت غلـــوب فيرى بأن سبب غزو الرسول ﷺ لخيبر هو إزالة ما لحق بالمسلمين من خيبة أمل في صلح الحديبية. وهو الرأي مردود أيضاً إذ أننا لو تطلعنا إلى بنود الصلح لوجدناها إنتصاراً للمسلمين لا خيبة أمل.

وبعض المستشرق حلّلوا دوافع هذه الغزوة بإنصاف وموضوعية فالمستشرق مونتغمري وات[٢] يرى أن أهم أسباب هـذه الغزوة هـو موقف يهود بني النضير ومحاولتهم تأليف تكتل من اليهود في خيبر والعرب المجاورين لها ضد المسلمين.

بعد هذا العرض المسهب لحوادث ما قبل الغزوة نحمل الأسباب الداعية لغزوة خيبر فيما يلي:

أولاً: أن خيبر أصبحت المركز اليهودي الذي جمع بني النضير. منها إنطلقت الدعوة اليهودية وتحزّبت الأحزاب ضد الرسول ﷺ والمسلمين. يهود خيبـر هم

الذين ألبوا غطفان لقتال المسلمين وعملوا على هذه الدعوة. لذا رأى الرسول الله ﷺ أنه لا بد من الثأر منهم.

ثانياً: المواقف العدائية ضد المسلمين بزعامة أبي رافع سلام بن أبي الحقيق وأسيد بن رزام، وسلام بن مشكم.

ثالثاً: رأي الرسول ﷺ بتصفية الحساب مع يهود خيبر بعد الآمان من قريش بعد صلح الحديبية.

رابعاً: إيجاد قوة موحّدة في الجزيرة العربية تقوم على أسس دينية. ثم البدء بنشر الدعوة خارج الجزيرة، فخيبر إحدى العقبات الرئيسية في وجه هذه الدعوة، خاصة وتبين أنه من الصعب إندماجهم في المجتمع الإسلامي. فهنا أصبح من المفروض وضع حد لنفوذ اليهود في خيبر وجوارها.

خامساً: مخافة رسول الله ﷺ أن يعمد يهود خيبر إلى الإتصال بالخارج، وتأليب هرقل وكسرى اليهود ضد الرسول ﷺ والمسلمين ومد يد العون لهم بحجة تذكيرهم بثاراتهم القديمة. فوجب على الرسول ﷺ قطع دابر يهود خيبر قبل الشروع بالدعوة الإسلامية خارج البلاد.

* حوادث غزوة خيبر

بعد عقد صلح الحديبية في نهاية السنة السادسة للهجرة، رأى رسول الله ﷺ أن الفرصة أصبحت مؤاتية لقتال يهود خيبر، فأمر الناس بالسير إليها؛ وهنا يجمع مؤرخو السيرة على أن ذلك في شهر محرم من السنة السابعة[١].

فلقد بلغ عدد المسلمين الذين توجهوا إلى خيبر ألف وأربعماية رجل[٢] ولم يأذن الرسول ﷺ بالخروج إلاّ لمن كان راغباً في الجهاد[٣]. وقد أُحيطت مسيرة الجيش الإسلامي بالسرية التامة؛ إذ لم يعلم به أحد من اليهود في خيبر إلاّ عندما وصل ليلاً وفاجأ مزارعي خيبر وهم خارجون في الصباح الباكر إلى مزارعهم فلما رأوا الرسول ﷺ قالوا: (محمد والخميس معه[٤]). وولّوا هاربين ودخلوا حصونهم فصاح الرسول ﷺ مشجعاً المسلمين ومؤذناً بخراب خيبر، وكان ذلك بمثابة الحرب النفسية للحطّ من عزائم اليهود ورفع معنويات المسلمين وهم على أبواب خيبر التي سمعوا عن مناعتهم الشيء الكثير.

نزل الجيش الإسلامي في وادٍ يقال له الرجيع بين أهل غطفان وخيبر ليحول بين إمداد غطفان لليهود. لكن ذلك لم يثن غطفان عن الخروج ليظاهروا يهود لكنهم رجعوا على أعقابهم خوفاً من أن يخلفهم المسلمون في أموالهم

---

(١) السيرة جـ ٣ ص ٣٢٨ ابن هشام/ البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٨١ ابن كثير.

(٢) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢١٦. ابن الأثير.

(٣) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ١٠٦. ابن سعد.

(٤) السيرة جـ ٣ ص ٣٦٠ ابن هشام.

وأهلهم[1]. وبعد هذا ليس هنالك ما يدلّ على إشتراك غطفان في القتال مع اليهود سوى بعض الإتصالات بين الطرفين حينما أرسل يهود خيبر إلى غطفان يستمدونهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن تغلبوا على المسلمين، فقبلوا إلاّ أن الفزع ما لبث أن دب في قلوبهم ولم يتحركوا لنجدة حلفائهم.

فالواقدي[2] أورد رواية خالصها أن الرسول ﷺ بعث إلى فزارة وطلب منهم أن لا يعينوا يهود خيبر على أن يعطيهم من خيبر شيئاً سماه لهم، ولكنهم رفضوا.

لحجم جيش رسول الله ﷺ ولمناعة حصون خيبر، فقد تراهنت قبائل الحجاز على النصر والغلبة، فبعضهم رأى أن النصر سيكون بجانب المسلمين وبعضهم رأى أنه سيكون بجانب اليهود[3].

وكان اليهود قد حصّنوا خيبر التي تقع شمال المدينة بحوالي ثمانين ميلاً وقسموها إلى ثلاث مناطق حصينة تتألف كل منطقة من جملة حصون. أما المناطق فهي:

١ ـ نطاة ـ ومن حصونها الصعب بن معاذ، وناعم، قلعة الزبير.

٢ ـ الشق، ومن حصونه حصن أبي، والنزار.

٣ ـ الكتيبة ـ ومن حصونها، القموص، والوطيح، والسلالم وهو حصن بن أبي الحقيق[4].

الحصون المذكورة كانت قلاعاً لسادة أهل خيبر حيث تستخدم بيوتاً لهم ومكاناً لحماية نفسهم من هجمات الإعراب وغاراتهم، كذلك تستعمل مخازن للمحاصيل الزراعية والأموال. يحتمي فيها المزارعون أيام الخطر. دواخل

---

(١) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢١٦، ابن الأثير.

(٢) مغازي رسول الله ص ٢٧٩. الواقدي.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨٩. الواقدي.

(٤) الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ١٠٦ ابن سعد.

الحصون توجد آباراً يستقون منها الماء، أما المزارع في الخارج فتكون عرضة لعبث الغزاة[1].

أقيمت حصون اليهود على المرتفعات لتكون في آمان ويمكن الدفاع عنها بواسطة السهام والقذائف المكوّنة من الحجارة في الغالب وبالمياه الحارّة وهي وسائل دفاعية ترعب نفوس المهاجمين.

بعد إحاطة المسلمين بحصون خيبر، إجتمع اليهود بزعامة سلام بن مشكم، فأمرهم بإدخال أموالهم وغلالتهم في حصن الوطيح والسلالم، وإدخال ذخائرهم في حصن ناعم. أمّا المقاتلة وأهل الحرب فيدخلون في حصن النطاة، وأخذ يحرّض على القتال وكان يومها مريضاً.

أقتتل الجمعان حول حصن النطاة إقتالاً شديداً حتى قيل أن عدد الجرحى من المسلمين في هذا اليوم بلغ الخمسين، إلاّ أن اليهود نكبوا بوفاة زعيمهم سلام بن مشكم، فإنتقلت القيادة إلى الحارث أبي زينب الذي تحصن في حصن ناعم وأخذ يخطط للهجوم على المسلمين. ورغم إشتداد حصار المسلمين لهذا الحصن إلاّ أن اليهود إستماتوا في الدفاع عنه. قاتل اليهود بشراسة حتى وصلوا إلى حامل الراية قرب الرسول ﷺ. ثم بعث الرسول ﷺ أبا بكر فعمر بن الخطاب إلى الحصن فقاتلا ولكنهما لم يستطيعا فتحه، فبعث علي بن أبي طالب وأعطاه الراية، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطار ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن، فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه[3].

في محاصرة حصون خيبر، لجأ النبي ﷺ إلى قطع النخيل ليدخل الرعب في نفوس اليهود، فأمر أصحابه بقطع أربعماية من نخيل اليهود.

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ١٥٥. د. جواد علي.

(٢) السيرة، جـ ٣ ص ٣٣٤. ابن هشام.

ويذكر أن مرحب اليهودي خرج أثناء حصار حصن خيبر وهو متقلد سيفين وحبل يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاك سلاحي بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تجرب
إن حماي للحمى لا يقرب.

ذكرت كتب السيرة أن الذي قتله هو علي بن أبي طالب[1]. كذلك قتل الزبير بن العوام ياسر أخو مرحب، وبعد فتح حصن ناعم قتل قائده الحارث ابن زينب.

توجه المسلمون بعد سقوط حصن ناعم إلى حصن الصعب بن معاذ ودار حوله قتال شديد، أقتحم رجال رسول الله ﷺ السور فسوراً آخراً داخلياً فاقتحمه المسلمون أيضاً فتراجع اليهود إلى حصن الزبير في منطقة النطاة نفسها[2].

ويروي ابن هشام أن المسلمين في أثناء حصار حصن الصعب بن معاذ كانوا في حالة ضنك شديد بعد أن نفذت مؤنتهم، واكتفى رسول الله ﷺ بالدعاء لهم أن يفرج عنهم ويفتح عليهم أعظم حصون خيبر غناءً وأكثر طعاماً، إلاّ أن ضائقة المؤنة إنفرجت بعد فتح المسلمين حصن الصعب بن معاذ لغناء بالمواد التموينية ولم يبق أمام المسلمين في منطقة النطاة إلاّ حصن الزبير، واستعصى عليهم بسبب مناعته، فلجاؤا إلى قطع المياه عنه بعد أن دلهم يهودي على ذلك، فاضطر اليهود إلى الخروج ومقاتلة المسلمين ما لبثوا أن ولوا الأدبار إلى منطقة الشق[3]. وبذلك سيطر المسلمون على منطقة النطاة بأكملها والتي تعد بمجموعها من أقوى حصون خيبر وأغناها.

بعدها، إتجه المسلمون إلى منطقة الشق وبدأوا بحصن أبي، وتمكن

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ١١٢. ابن سعد/ الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢١٩ ابن كثير.

(٢) مغازي رسول الله ص ٢٧٤. الواقدي.

(٣) مغازي رسول الله ص ٢٧٦. الواقدي.

المسلمون بعد قتال شديد من دخوله، وهرب من كان فيه من اليهود إلى حصن البري، وتحصنوا به وقذفوا المسلمين بالحجارة والنبل. وكان معظم اليهود الفارين قد التجأوا إلى حصون قموص والسلالم والوطيح حصون منطقة الكتيبة، وكانت مستقراً لنساء اليهود وأطفالهم منذ بداية الحصار. لذا رأى الرسول ﷺ أن يتوجهوا لمحاصرة هذه المنطقة لعدم أهمية بقية حصون منطقة الشق العسكرية.

إستطاع المسلمون فتح حصون القموص عنوة بعد حصار دام عشرين يوماً، ووقع في قبضة المسلمين سبايا قسّمها الرسول ﷺ بين المسلمين وكانت صفية بنت حيي بن أخطب من نصيب الرسول ﷺ.

وانتهى أخيراً المسلمون إلى حصار الحصنين الآخريين من حصون خيبر وهما السلالم والوطيح واستمرّ الحصار أربعة عشر يوماً، ولما أيقن اليهود بالهلاك طلبوا الصلح ،وسألوا الرسول ﷺ أن يحقن دماءهم ويخرجوا من خيبر وأرضها وذراريها وأن لا يخفوا عليه شيئاً من أموالهم ومتاعهم[1].

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٤٨ علي برهان الدين الحلبي.

* المصالحة بين الرسول وأهل خيبر

تراجع اليهود بعد طلبهم بـالخروج من خيبـر، وسألـوا رسول الله ﷺ أن يبقيهم ويعاملهم في الأموال على النصف، فقبل الرسول ﷺ بذلك، لكنه إشترط عليهم أن يخرجهم المسلمون متى شاؤوا.

ثم إستدعى الرسول ﷺ كنانة بن الربيع وسأله عن كنز لبني النضير كان عنده، فأنكر ذلك وهدده الرسول ﷺ بالقتل إن وجده المسلمون بعد أن أنكره، وقبل كنانة بذلك. وفعلاً إستطاع الرسول ﷺ العثور على بعض الكنز بخربة دلّه عليها رجل يهودي. إلّا أن كنانة أنكر أن يؤدي الباقي. فاعترف أخيراً للزبير بن العوام، ثم دفعه الرسول ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة[1].

وفي الرد على تساؤل بعض المستشرقين لماذا عامل الرسول ﷺ يهـود خيبر بغير معاملة يهود يثرب نقول:

بالحقيقة أن يهود خيبر لم يفعلوا ما يوغر صدر الرسول ﷺ بنفس الدرجة التي نهجها يهود يثرب وما صدر منهم، والصادر عن يهود خيبر لا يعدو عن إستقبال بعض زعماء بني النضير اللاجئين إليهم للتحريض على جمع المسلمين فالمهم أن الوجود اليهودي في الحجاز قد خفت صوته كلياً، فلتواجد اليهودُ في خيبر أهمية قليلة ولا يخشى منهم لحصرهم في أراضيهم دون التمدّد. هـذا بالإضـافة إلى

(١) السيرة جـ ٣ ص ٣٣٦. ابن هشام.

المصلحة الإقتصادية للمسلمين، إذ أن خيبر كما يدلّ ولفنسون[1] واسعة الأطراف فيها حدائق ومزارع ونخيل تحتاج لليد العاملة التي مارست أشغال الزراعة والفلاحة، فبالرغم من هذه الحاجة لم يرض الرسول ﷺ للمسلمين السكن والحل في الأرض اليهودية كونه يحتاج إليهم في الأعمال الحربية. كذلك لا يمكن ترك الأرض دون أعمال الزراعة المنتجة، فالدولة الإسلامية في أولها، هي في أشد الحاجة إلى الأموال الكثيرة، فلا بد إذاً من الإبقاء على يهود خيبر في أرضهم للعمل في الأرض.

إنتهى اليهود على الإقامة بأرض خيبر على أن يقدموا نصف ثمارها للمسلمين، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبدالله بن رواحة كل عام إلى خيبر فيقسم ثمرها بالعدل ويخيّر اليهود وهم في غاية الرضا والإطمئنان[2]. وكعادتهم حاول اليهود الغمز واللمز، فرشوا عبدالله بن رواحة لشدته في القسمة إلّا أنه لم يستجب لذلك[3].

خمّس رسول الله ﷺ غنائم خيبر وقسّمها على المسلمين؛ يردّ الواقدي على الذين أتهموا النبي ﷺ بأنه لم يترك لليهود سوى ثوب واحد لكل منهم فيقول فمن أين جاؤوا يشترون غنيمة القموص وفداء النساء والذراري.

وقد بدا رسول الله ﷺ تسامحاً مميزاً في معاملة يهود خيبر، ومما يؤكد ذلك ما نقله الإخباريون أنه كان من الغنائم التي غنمها المسلمون صحائف متعددة من التوراة فلما جاء اليهود يطلبونها أمر الرسول ﷺ بتسليمها لهم.

ويعلّق إسرائيل ولفنسون على هذه الحادثة بأن ذلك يدلّ على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول ﷺ من المكانة العالية. وهذه الحادثة يمكن أن تذكّر بما فعله الرومان حين هزموا أورشليم عام ٧٠ إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها

---

(١) تاريخ اليهود ص ١٦٩. إسرائيل ولفنسون.

(٢) صحيح مسلم (باب معاملة النبي ليهود خيبر) ص ١٣٢.

(٣) فتوح البلدان ص ٣٧. البلاذري/ البداية والنهاية جـ ٤ ص ٩٩ ابن كثير.

بـأرجلهم، وما فعله المتعصبـون من النصارى في حـروب إضطهـاد اليهـود في الأندلس حيث أحرقوا صحف التوراة.

ولزواج الرسول ﷺ من صفية بنت حيي ابن أخطب، ومحاولة إمرأة يهودية سم الرسول ﷺ مسألة هامة:

صفية هي بنت حيي بن أخطب وزوج كنانة بن الربيع الذي تقدم ذكره بأنه قتل. فقد أحضر بلال صفية بعد غزوة خيبر، فلما رآها الرسول ﷺ أمر بأن يذهب بها إلى رحله(1) فعرف المسلمون أن الرسول ﷺ قد إصطفاها لنفسه.

ويذكر أن رسول الله ﷺ رأى بعين صفية خضرة فقال لها(ما هذه الخضرة؟ فقالت ـ رأيت وأنا نائمة كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرت زوجي كنانة بن الربيع بذلك فلطمني واتهمني بأنني أتمنى ملك الحجاز محمداً(2)) وتروي صفيـة أن الرسول كان أبغض الناس إلى قلب زوجها وأبيها وأخيها، وكان يعتذر إليها بأن أباها ألبّ العرب عليه، وما زال الرسول ﷺ يرغّب إليها الإسلام حتى أسلمت ثم إصطفاها لنفسه وأعتقها وجعل عتقها صداقها، وبنى فيها وهو في طريق عودته إلى المدينة من خيبر.

وروى البخاري(3) أن الرسول ﷺ لما تزوج صفية دعا المسلمين إلى وليمة، واحتار المسلمون أهي أحدى أمهات المؤمنين أم ما ملكت يمينه، فقالوا أن حجبّها فهي إحدى أمهات المؤمنين وإن لم يحجبها فهي ما ملكت يمينه، فلما إرتحل أركبها خلفه ومدّ الحجاب فعلموا أنها إحدى أمهات المؤمنين.

ويذكر الرسول ﷺ في الوجع الـذي توفي فيـه إجتمع إليـه نساؤه فقـالت صفي:ـ (أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي) فغمزهـا أزواج النبي ﷺ

---

(1) السيرة جـ ٣ ص ٣٣٦ ابن هشام.
(2) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢٢١. ابن الأثير/ فتوح البلدان ص ٣٨. البلاذري.
(3) صحيح البخاري (باب غزوة خيبر) جـ ٥ ص ١٧٢.

وأبصرهن رسول الله ﷺ مضمضماً: في أي شيء تغامزكن بصاحبنكّن والله أنها لصادقة)[1].

وأما الحادثة الثانية فهي محاولة إمرأة يهودية سمّ الرسول ﷺ فقصة الشاة المسمومة التي قدمت للرسول تدل على مبلغ الحقد الذي في النفس اليهودية على الإسلام ورسوله ﷺ.

فقد أوردت كتب السيرة روايات متعددة عن هذه الشاة. فالبخاري[2] ردّ وضع السم في الشاة إلى جماعة من اليهود إعترفوا بذلك وأجابوا الرسول ﷺ عندما سألهم عن السبب بأنهم أرادوا أن يستريحوا منه إن كان كاذباً، وأمّا إن كان صادقاً فلن يضرّه السم.

وابن هشام[3] روى أن الشاة التي قدّمت للرسول ﷺ هي هدية من زينب بنت الحارث إمرأة سلام بن مشكم. وقد لاك منها الرسول ﷺ مضغة فلم يستسغها، وأما البشر بن البراء ابن معروف أخذ منها فأساغها وكان يرافق الرسول حينها. وحينما أحس الرسول ﷺ بأن الشاة مسمومة إستدعاها فاعترفت وعندما سألها عن سبب ذلك أجابت بنفس ما أجاب جماعة اليهود في الرواية الأولى فتجاوز الرسول ﷺ عنها.

وهنا لا يستبعد أن زينب بنت الحارث أهدت الشاة المسمومة إلى رسول الله ﷺ في إتفاق أو بتحريض من بعض قومها، إذ لا يعقل أن تقدم إمرأة على مثل هذه الفعلة الخطيرة دون أن يكون لبعض قومها علم مسبق بذلك.

وحول مقتل زينب بنت الحارث فقد أورد ابن هشام أن الرسول ﷺ قد عفى عنها. بينما ابن كثير[4] قال أن الرسول أمر بقتلها فقتلت.

---

(١) طبقات ابن سعد، جـ ٨ ص ٩١.

(٢) صحيح البخاري (باب إذا غدر المشركون المسلمين) جـ ٤ ص ١٢١.

(٣) السيرة جـ ٣ ص ٣٣٨ ابن هشام.

(٤) البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢١٠. ابن كثير.

وذكر أن رسول الله ﷺ وهو على فراش المـوت شكا لأم البشـر بن البراء - (البشر بن براء مات مسموماً بسبب أكله من الشاة المسمومة) - عندما زارته بأنه متأثر من الأكلة التي أكلها من الشاة المسمومة مع إبنها في خيبر[1].

وفي مقتل زينب بنت الحارث يعزو البعض أن الرسول ﷺ أمر بقتلها بسبب موت البشر بن براء من أكلة الشاة المسمومة، فأطعموها من نفس لحم الشاة.

(١) السيرة جـ ٣ ص ٣٣٨ ابن هشام.

* دعوة يهود فدك ووادي القرى وتيماء إلى الإسلام:

في رواية للبلاذري[1] أن رسول الله ﷺ لمّا خلص من خيبر بعث محيصة بن مسعود الأنصاري على رأس بعثة إلى أهل فدك إلى شمال خيبر يدعوهم إلى الإسلام ورئيسهم يومئذٍ يوشع بن نون، فلما سمعوا بسقوط آخر حصون خيبر وباستسلام أهلها، خافوا مغبة المقاومة، فأرسلوا جماعة إلى الرسول ﷺ لمفاوضته على الصلح، فوافق رسول الله ﷺ على معاملتهم معاملة أهل خيبر، وقد كانت فدك خالصة للرسول لأنه كان يصرف ما يأتيه منها إلى أبناء السبيل.

وبإنتهاء الرسول ﷺ من فدك إنصرف إلى وادي القرى وهو موضع قريب من المدينة كان لجماعة من اليهود، فلما سمعوا بقدوم الرسول ﷺ أعدوا العدة لقتاله فدعاهم إلى الإسلام فرفضوا. فقاتلهم الرسول ﷺ وبلغ مجموع من قتل فيها من اليهود أحد عشر رجلاً[2]، ولما وجد يهود وادي القرى أنهم أعجز من أن يقاوموا المسلمين إستسلموا مع طلوع الشمس من اليوم الثاني من قتالهم، وأعطوا ما بأيديهم.

وبذلك يكون رسول الله ﷺ قد فتح وادي القرى عنوة. وخمّس الرسول ﷺ غنائمها بين المسلمين، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود، وعاملهم على نحو ما عامل يهود خيبر[3].

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٦ البلاذري.
(٢) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٦٨ برهان الدين الحلبي.
(٣) الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢٢٢. ابن الأثير.

أما يهود تيماء فإنهم بعدما علموا بهزيمة وادي القرى خارت قواهم وطلبوا الصلح مع الرسول ﷺ، فصالحهم على دفع الجزية، فأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم[1].

(1) فتوح البلدان ص ٤٨ . البلاذري.

* نتائج فتح خيبر وإجلاء اليهود عن جزيرة العرب:

غزوة خيبر كانت القضاء على النفوذ السياسي والإقتصادي لليهود في الجزيرة العربية قضاءً تاماً ليس في حياة الرسول ﷺ فحسب، وإنما في العصور التي تلت ذلك[1].

فخيبر كانت مميزة عن غيرها من المستعمرات اليهودية بثرائها وتحكمها بعصب الحياة الإقتصادية، فبعد غزو المسلمين وسقوطها تلاشت هذه السيادة وتبدلت أحوال اليهود؛ وبالمقابل فإن المسلمين إستفادوا من خيبر كونهم قاتلوا فيها؛ ممّا عزّز مقام الدولة الإسلامية إقتصادياً.

خَفُتَ صوت اليهود، وقلت مقالبهم وطعنهم بالرسول ﷺ والدليل على ذلك أن خفت الآيات القرآنية التي تتعرض لليهود.

وعلى هذا فقد أغضّ المسلمون الطرف عن بعض أفراد من اليهود بالرجوع إلى المدينة والسكن فيها للمشاركة في حياتها الزراعية والصناعية.

ولغزوة خيبر نتائج عظيمة في جميع أنحاء الجزيرة العربية بشكل عام، وفي مكة والحجاز بشكل خاص، إذ أن القبائل العربية كانت تنتظر نتائجها باهتمام كبير، وقد كان وقعها في نفوس مشركي قريش وقعاً سيئاً؛ فابن هشام[2] روى

---

(1) Montgamery watt; Muhammad prophet and Statesmen p. 191.

(2) السيرة جـ ٢ ص ٣٤٦ ابن هشام/ الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٢٢٣ ابن الأثير.

وغيره من مؤرخي السيرة من أن الحجّاج بن غلاظ السلمي أسلم ولم يعلم مشركوا قريش بإسلامه، وطلب من الرسول ﷺ بعد هذه الغزوة أن يأذن له بالذهاب إلى مكة ليحضر مالاً كان له على بعض أهلها. وعندما وصل مكة سأله أهلها عن الرسول ﷺ وما صنع بخيبر، فأفادهم بأنه هزم وأسرته يهود، وأنهم لن يقتلوه حتى يبعثوا به إلى مكة، فابتهجوا لهذا النبأ وقدموا الضحايا، وأعانوه على جمع ماله، ثم أتاه العباس عم النبي ﷺ وسأله عن الخبر، فأعلمه بالحقيقة وأنه تحايل على قريش ليجمع ماله من ديون، وسأل العباس أن يكتم هذه الحقيقة ثلاثة أيام خوف الطلب. وبعد ذلك أخبر العباس قريشاً بأن محمداً إنتصر وفتح خيبر وأخذ أموالها فصاروا يتوعدون الحجاج؛ لكن بعد فوات الآوان.

ومن أبرز نتائج غزوة خيبر أن ترتّب على هذا الفتح فتح مكة بعد أن إطمأن المسلمون إلى أعدائهم اليهود في شمال الجزيرة. وتفكير الرسول ﷺ ببث الدعوة الإسلامية خارج البلاد. ففي السنة الثامنة للهجرة كانت **غزوة مؤته** ثم **غزوة تبوك** والمجاور لها على حدود بلاد الشام الجنوبية.

فقد عقد الرسول ﷺ معاهدات صلح مع بعض الجماعات اليهودية التي كانت تعيش في الجهات المجاورة لتبوك ناحية الشمال.

فالبلاذري[1] أورد أن الرسول ﷺ حين حلّ بتبوك صالحه أهلها على الجزيرة، **وجاءه يحنه بن رؤبة صاحب أيلة** وهو من يهود فصالحه على أن يجعل له على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً، فبلغ ذلك ثلاثماية دينار، واشترط عليهم قرى من مربّهم من المسلمين وكتب لهم كتاباً أن يحفظوا ويمنعوا.

كذلك صالح الرسول ﷺ أهل **أذرح** من يهود أيضاً على مائة دينار في كل شهر رجب، كما صالح أهل **جرباء** على الجزية وكتب لهم كتاباً.

---

(١) فتوح البلدان ص ٧١. البلاذري.

أما **يهود بني عاديا وعريض** فيذكر إبن سعد[1] أنهم دخلوا في حلف رسول الله ﷺ وكتب لهم كتاباً بأن لهم الذمة وعليهم الجزية.

وعن **عهود بني حبيبة وأهل مقنا** وهما قرب أيلة فقد أورد البلاذري[2] من أن الرسول ﷺ صالحهم على ربع عروكهم وغزولهم وربع كراعهم وثمارهم ذاكراً بأن بعض أهل مصر أخبره أنه رأى كتابهم بعينيه في جلد أحمر دارس الخط فنسخه وأملى نسخته؛ هذا نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى حبيبة وأهل مقنا أسلم أنتم، فإنه أنزل عليّ أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابي هـذا فإنكم آمنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم، وكل دم إتبعتم به لا شريك لكم في قريتكم إلّا رسول الله أو رسول رسول الله. وأنه لا ظلم عليه أو عدوان. وإن رسول الله يجيركم مما يجير منه نفسه، فإن لرسول الله بـزتكم ورقيقكـم والكراع والحلقة إلّا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله.

وإن عليكم بغير ذلك ربع ما أخرج نخيلكم وربع ما صادت عرككم، وربع ما إغتزلت نساؤكم، وإنكم قد ثريتم بعد ذلك، ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، ومن أطلعهم بشر فهو شر له، وليس عليكم أميراً إلّا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله. وكتب علي بن أبي طالب سنة تسع)[3].

فالمستشرق ولفنسون[4] يذكر أنه وصل إليه نص آخر لهذه المعاهدة بعد إكتشاف آثار قديمة في المقبرة اليهودية بمدينة الفسطاط في مصر حيث عثر عليها تحت الإنقاض؛ نوردها هنا للمقارنة بين ما أورده البلاذري وإسرائيل ولفنسون:

---

(١) الطبقات الكبرى، جـ ١ ص ٢٧٩ ابن سعد.

(٢) فتوح البلدان ص ٧١ البلاذري.

(٣) فتوح البلدان ص ٧٢ البلاذري.

(٤) تاريخ اليهود ص ١٧٩. إسرائيل ولفنسون.

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لحنيفة وأهل خيبر وأهل مقنا وذراريهم ما دامت السموات والأرض (سلام) أنتم أني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو أما بعد: ـ فإنه أنزل الوحي إنكم راجعون إلى قراكم وسكن داركم فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله، ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وذمة الله على أنفسكم وذويكم وأموالكم ورقيقكم وكل ما ملكت أيمانكم وليس عليكم أداء جزية، ولا تجز لكم ناصية ولا توطأ أرضكم ولا تحسدون (ولا تحرشون) ولا تظلمون ولا يجعل أحد عليكم ولا تمنعون من لباس المشفقات والملونات، ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح، ومن قاتلكم فقاتلوه ومن قتل في حربكم فلا تعاديه أحد منكم ولا له دية، ومن قتل منكم أحد المسلمين متعمداً فحكمه حكم المسلمين. ولا يعتد عليكم بالفحشاء (ولا تجزلون منزلة)؟ أهل الذمة وإن إستعنتم تعانون وإن استرشدّتم ترفدون ولا تطالبون بيضاء ولا صفراء ولا سمراء ولا كراع ولا حلقة، ولا يقطع لكم شع نعل، ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون من ولاية المسلمين، ولا يولي عليكم إلّا منكم أو من أهل بيت رسول الله، لجنائزكم إلى أن تصير إلى موضع الحق واليقين، وتكرموا لكرامتكم ولكرامة صفية بنت عمكم وعلى أهل بيت رسول الله، وعلى المسلمين أن يكرموا كريمكم ويعفوا عن مسيئكم. ومن سافر منكم فهو في أمان الله وأمان رسوله، ولا إكراه في الدين. ومن منكم إتبع ملّة رسول الله ووصيته كان له ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عطاء قريش وهو خمسون ديناراً وذلك بفضل من الله عليكم وعلى أهل بيت رسول الله، وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب، فمن أطلع إلى أهل حنيفة وأهل خيبر ومقنا بخير فهو خير له ومن إطلع بشر فهو شر له، ومن قرأ كتابي هذا أو قرىء عليه وغير أو خالف شيئاً مما به فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من الملائكة، والناس أجمعين. وهو بريء من ذمتي وشفاعتي يوم القيامة وأنا كاظمته ومن كاظمني فقد كاظم الله فهو في النار، وكفى بالله شهيداً وبملائكته وبمن حضر من المسلمين. وكتب علي بن أبي طالب بخطه ورسول الله أملى عليه حرفاً حرفاً ليوم الجمعة للثلاث الأول خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة. شهد

عمار بن ياسر وسلمان الفارسي مولى رسول الله ﷺ وأبو ذر الغفاري).

بالدراسة والمقارنة بين نصوص الإتفاقين الواردين لكل من البلاذري وولفنسون؟ نرى أن نص معاهدة ولفنسون تدعو إلى الشك لأسباب أهمّها:

١ ـ أن المسلمين لم يؤرخوا بالهجرة في حياة الرسول، وهنا يتضح كيف ذكرت (سنة خمس مضت من الهجرة) في معاهدة ولفنسون. بالإضافة لجهل كاتبها بتاريخ الغزوات.

٢ ـ في السنة السابعة للهجرة؛ توجه المسلمون إلى خيبر، فكيف يمكن لرسول الله ﷺ أن يعقد إتفاقاً مع أهل صفية قبل إلتحاقها به.

٣ ـ عرفنا أن معاهدة الرسول ﷺ وجهت إلى حبيبة وأهل مقنا وأهل خيبر، لهذا لم تخصص المعاهدة تميزاً لأهل خيبر دون سواهم من اليهود. وفي هذا تلفيق واضح.

٤ ـ كيف يسمح رسول الله ﷺ ليهود خيبر بحمل السلاح وقتل مشركي قريته، أو عدم معاقبتهم على قتل مشركي قريش، فهذا يأتي في سياق تكريس لوجود اليهود العسكري؟

٥ ـ إن الهبات والعطايا التي تمنح لأهل خيبر، لم تمنح لبطون قريش عدا عن تحديدها بخمسين دينار.

٦ ـ كيف تخرج البطون اليهودية وعلى رأسهم يهود خيبر من الجزيرة العربية زمن عمر بن الخطاب مع أن معاهدة ولفنسون نصّت على ترك اليهود والسماح لهم بكل فعل شأن المسلمين.

وفي سياق حديثنا عن الإتفاقات والمعاهدات، فقد أرسل رسول الله ﷺ في السنة الثامنة للهجرة ابن الحضرمي إلى البحرين يدعو أهلها إلى الإسلام، صالح يهودها فمن ضمن من صالح من مجوس ونصارى، وترك لهم الحرية في اعتناق

الإسلام أو الجزية، فأدوّا الجزية ديناراً عن كل حالم[1].

أما يهود ـ اليمن فقد روي أن رسول الله ﷺ كتب إلى معاذ بن جبل وهو في اليمن بأن لا يفتن يهودي عن يهوديته مما يؤكد أن الرسول ﷺ كان يعامل اليهود من التسامح.

ومن المعروف أن يهود اليمن لم يتخذوا موقف صلب مع المسلمين وذلك لأن الدعوة الإسلامية لم تنشر في اليمن إلاّ بعد انتشارها في يثرب وانتصار المسلمين على المشركين ومستوطنات اليهود. لهذا كانت أخبار الإسلام قد وصلت اليمن ويهودها الذين لم يكن لهم نفوذ يذكر في اليمن بعد تغلب النصرانية عليها. فلما دخل حاكمها الفارسي في الإسلام ودخل أكثر سكانها لم يكن أمام اليهود غير الدخول فيه أو إداء الجزية، منهم من دخل ومنهم من ظل على دينه مفضلاً دفع الجزية[2].

لم تتطرأ كتب التاريخ كثيراً لأخبار يهود اليمن. وذلك لعدم تورطهم في إشكالات مع المسلمين، والمصادر الإسلامية لم تورد أخبارهم بإهتمام إلاّ لصلتهم بالإسلام وموقفهم من الدعوة الإسلامية.

بقيت الحال على ذاتها بين الرسول ﷺ واليهود، بروح متسامحة وطيبة من النبي الكريم حيث لم يتعرضوا بأذى للإسلام ولجميع المسلمين، مروّا على نفس المنوال زمن أبو بكر الصديق، وفي عهد عمر بن الخطاب أقرهّم جزءاً من خلافته، بعدها أمر بإجلائهم عن الجزيرة العربية ولهذا الإجلاء أسبابه.

فقد أوردت كتب السيرة بعض الروايات التي دفعت عمر إلى إجلاء معظم اليهود عن شمال الجزيرة العربية. فابن هشام[3] ذكر في رواية أن الرسول ﷺ بعد فتح خيبر تسامح معهم وأبقاهم يعملون في الأرض على أن يؤدوا للمسلمين نصف

---

(١) فتوح البلدان ص ٩٠ البلاذري.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ١٦٨. د. جواد علي.

(٣) السيرة جـ ٣ ص ٣٥٦. ابن هشام.

محصولها، فقبلوا ثم أقرهم أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ على هذا المعاملة حتى توفي، ثم أقرهم عمر صدراً من خلافتهم، حتى بلغه أن الرسول ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه (لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان) ففحص عمر ذلك حتى تثبت منه، فأرسل إليهم وأبلغهم أن الله قد أذن في جلائهم وطلب ممن يحمل عهداً من الرسول ﷺ أن يأتيه به، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من يهود أن يتجهّز للجلاء، فأجلوا.

ويورد ابن هشام[1] في رواية أخرى أنه بينما كان عبدالله بن عمر وجماعة من المسلمين ذاهبين إلى أموالهم لتفقدها في خيبر عدي عليه في الليل ففدغت يداه من مرفقه، فاستصرخ عبد الله أصحابه فأصحوا يديه، ثم ذهبوا إلى عمر بن الخطاب فقال هذا عمل يهودي ثم قام في الناس خطيباً وذكر أن الرسول ﷺ كان قد عامل يهود خيبر على أن نخرجهم متى شئنا، وقد تعدّوا على عبد الله بن عمر، ففدغوا يديه، ثم أشار إلى قصة إعتدائهم على عبد الله بن سهل الأنصاري، زمن رسول الله ﷺ ثم طلب من الذين لهم مال بخيبر أن يحلقوا به لأنه عازم على إخراج اليهود.

وقد تطرق ابن سعد[2] في ذكر أسباب إجلاء عمر لليهود، فذكر أنه لمّا صارت أموال خيبر في يد النبي وأصحابه لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النبي ﷺ إلى اليهود يعملونها على نصف ما يخرج منها، فلم يزالوا على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب وكثر في يدي المسلمين العمال وكلّوا (قوّوا) على عمل الأرض، فأجلى عمر اليهود إلى الشام وقسّم الأموال بين المسلمين.

ورأي ابن سعد لقي استحساناً لدى ولفنسون[3] فقد أضاف هذا الأخير إليه أن السبب الذي حمل عمر على إجلاء أغلبية بطون اليهود من خيبر يرجع إلى كثرة

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ ص٣٥٥.

(٢) الطبقات الكبرى، جـ ٢ ص ١١٤ ابن سعد.

(٣) تاريخ اليهود ص ١٨٥ . إسرائيل ولفنسون.

الأيدي العاملة من الأسرى الذين كثروا عند العرب بعد فتوح بلاد الشام والعراق، كان هؤلاء الأسرى ذوي خبرة بالأعمال الزراعية كيهود خيبر.

إن بينّا الرأي على أن عامل إجلاء اليهود عن خيبر إقتصادي محض ولكثرة الأسرى العرب عند المسلمين، فكيف ننسى أن الدعوة الإسلامية اتسّع نطاقها وخرجت من الديار العربية حتى وصلت إلى بلاد فارس وبلاد الروم، أفلا يخاف المسلمون من ترك عدو ورائهم يغدر بهم متى يشاء وهو أهل الفتنة والتعدي؟

ومن المعتقد أن عمر بن الخطاب رأى من الضرورة إجلائهم عن خيبر وذلك للضرورة الأمنية التي وجب على المسلمين إتخاذها حيطة وحذر ممن قاتلوا رسول الله ﷺ. كذلك تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ (أن لا يجتمع في الجزيرة دينان). خاصة بعد تكرار حوادث الأعتداء على المسلمين كما ذكرنا؟ بالإضافة لقول رسول الله ﷺ على إخراج يهود خيبر متى يشاء المسلمون.

وعن عملية الإجلاء فقد روى البخاري[1] أنه لمّا أجمع عمر بن الخطاب على إجلاء اليهود أتاه أحد رجال بني الحقيق واستفسر منه عن إخراجهم من الجزيرة العربية وقد أقرهم الرسول ﷺ وعاملهم على الأموال وشرط ذلك. فردّ عليه عمر بأنه لم ينس قول الرسول ﷺ (كيف بك إذا خرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال له هذه هزيلة من أبي القاسم. فرد عليه عمر كذبت يا عدو الله). ثم أجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من التمر مالاً وإبلاً وخيلاً.

وقد أجلى عمر هؤلاء اليهود إلى سوريا وأريحا وقدّر عددهم بأربعين ألفاً. وبخاصة إجلاء بعض اليهود إلى أريحا ما ذكره الواقدي[2] من أن عمر أجلى آل الحارث أبي زينب المشهورين إلى أريحا بأرض فلسطين، إلتقى أحد أبناء الحارث في يوم من الأيام بقافلة من الأعراب من جهات أريحا وهي راجعة من الشام إلى خيبر، فاشتاق ابن الحارث إلى وطنه واشتد حنينه إليه. فخاطب

(١) صحيح البخاري (باب ما يجوز من الشروط) جـ ٣ ص ٢٣٨.

(٢) مغازي رسول الله ص ٢٧١ الواقدي.

الأعراب بأنه كان يود يوم أجلى عمر أسرته من خيبر أن يدخل في الإسلام حتى لا يبعد عن أرض أجداده، ولكنه خشي أن يحتقره الخلف لأنه آثر أسرته ووطنه على دينه.

وهذه الرواية تؤكد أن اليهود لم يريدوا سكن فلسطين، إنما كانوا يفضلون العودة إلى أماكنهم بعد تشردهم من فلسطين.

وكما ذكرنا فقد عفي من الإجلاء كل من حمل عهداً خاصاً من رسول الله ﷺ وقد شمل الإجلاء يهود خيبر وفدك. أما يهود وادي القرى وتيماء فلم يتعرض عمر إليهم مما يدل على أنه كانت لهم عقوداً خاصة. وقد بقيت أغلبيتهم في وداي القرى إلى القرن الحادي عشر، وكذلك وجدت طوائف منهم في تيماء في القرن الثاني عشر للميلاد، ثم انعدم وجودهم في الحجاز وأطرافها شيئاً فشيئاً حتى اختلطوا في الأعراب وذابوا في المجتمع، كما أن بعض الأسر اليهودية بقيت في المدينة، مما يؤكد ذلك مشاركة نساء هؤلاء اليهود في البكاء على عبدالله بن أبي، وإظهار بعض الرجال من اليهود عليه حزناً شديداً أثناء دفنه[1].

وقد أورد السمهوري[2] أن بعض اليهود أظهروا كتاباً بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، ومنها شهادة الصحابة، إلاّ أن الخطيب البغدادي أثبت أن ذلك مزور لأنه فيه شهادة معاوية، وهذا أسلم عام الفتح ولم يحضر ما جرى، كما فيها شهادة سعد بن معاذ وقد مات في بني قريظة قبل خيبر.

وفي قضية مقتل عمر بن الخطاب، فإن الذي طعنه هو أبو لؤلؤة الفارسي بينما كان في المسجد، وبعدها انتحر أبو لؤلؤة ومات. اختفت قضية القتل إلاّ أن كشافاً جديداً دلّ على تدبير مؤامرة القتل فقد كشف بعض المؤرخين عن جانب من هذه المؤامرة، وهو أن عبد الرحمن بن أبي بكر فاجأ في اليوم السابق لطعن عمر ثلاثة

---

(١) مغازي رسول الله ص ٤١٥ / الواقدي. Montgomery watt; Muhammad prophet and statesman p. 191.

(٢) وفاء الوفا بأخبار المصطفى ص ٢٢٩. السمهوري.

يتهامسون، وهم الهرمزان الفارسي، وجفينة النصراني، وهو من الحيرة وأبو لؤلؤة، فلما فاجأهم ارتبكوا فسقط منهم خنجر له رأسان، ولما رأى عبد الرحمن الخنجر الذي طعن به عمر قرّر أنه نفس الخنجر الذي رآه بالأمس.

أما الجانب الآخر فقد كشف عنه كعب الأحبار عندما جاء إلى عمر قبل مقتله بثلاثة أيام، وأخبره أنه بقي من أجله ثلاثة أيام، وعندما سأله عمر عمن أدراه أجاب أنه يجد ذلك في كتاب الله التوراة، فاستغرب عمر أن يكون اسمه بالتوراة فردّ عليه كعب بأنه صفته وحيلته، وأنه قد فني من أجله عمر لا يحس حينها وجعاً ولا ألماً. وفي اليوم التالي جاءه كعب وحذره أنه بقي يومان، وكذلك جاءه في اليوم الثالث وأنذره أنه لم يبق إلّا يوم واحد[1].

والشيخ محمد حسن[2] يذكر أنه لو صحت هذه الحكاية وكان ممن يحقق في هذه القضية ما تردد لحظة واحدة في أن لكعب الأحبار يداً في مقتل عمر، وأنه كان يعلم بما تمّ عليه الإتفاق بين المتآمرين على مقتل عمر بن الخطاب.

---

(١) تاريخ الطبري ـ جـ ٤ ص ١٩١، . الطبري.

(٢) تاريخ الأمم الإسلامية ص ٧٨.

معنى الاسرائيليات:

دلّ القرآن الكريم على الخرافات والأساطير التي ذكرت في العهد القديم من الكتاب المقدس (التوراة) عن الأمم الماضية، إذا كان هدف القرآن إعطاء العبرة في عرض القصص المذكورة.

فبعد وفاة رسول الله ﷺ أدخل بعض اليهـود من الذين أسلمـوا كثيراً من القصص الإسرائيلية إلى تفسير القرآن عن حسن نية أو عن سؤ نية، وكأنه مروي عن لسان الرسول ﷺ، وبعض هذه القصص موجود في العهد القديم، بينما القسم الآخر من اختراع ووضع هؤلاء اليهود.

وحرص هؤلاء على صلة تفسير هذه القصص بأحاديث نبوية. كما برزت لبعض الأشخاص ودخلت عن طريق اليهود أم المسيحين الذين اعتنقوا الإسلام[1].

كما كان لليهود بجانب التوراة سنن وشروح لم تؤخذ عن النبي موسى بطريقة الكتابة، وإنما نقلت بطريق المشافهة، ثم دونّت وعرفت بإسم التلمود ضمّ الكثير من الأدب اليهـودي والقصص والتاريـخ والتشريـع والأساطيـر، ومجـوعـة تلك الأحاديث دخلت كتب التفسير عن طـريق استعانـة بعض المفسرين للقـرآن من أصحاب القلوب الطّيبة بهؤلاء الرجال من اليهود وهو ما عرف بالإسرائيليات.

١ ـ العوامل والظروف التي أدّت إلى تقبّل الإسرائيليات في التفسير:

للمستوى الثقافي الذي أحاط بمسلمي الفترة الأولى للعهد الإسلامي بعض

(١) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٦٦ب. محمد حسين الذهبي.

العوامل في فهمهم للقرآن الكريم، وأبرز هذا المستوى الذي كان عليه الصحابة وتلقوا به القرآن الكريم أو فهموه ومعرفة هذا المحتوى الثقافي طريقاً أدىّ ألى تقبل القصص الإسرائيلي في تفسير القرآن.

هنا رأينا من الواجب إيضاح العوامل والحقائق التي اتصلت بثقافتهم وفهمهم لكتاب الله القرآن وهي:

أولاً: من المعروف أن يكون جميع الناس على نفس درجة الوعي الثقافي وفهمهم للقرآن الكريم.

ثانياً: تنزيل القرآن الكريم جاء في أعلى درجات البلاغة، وهو بلغة القوم الذي نزل فيهم، فمن الطبيعي أن يفهموه لكنه كان فهماً قائماً على ما اتقنوه من فنون المعرفة وأهمها الناحية البلاغية واللفظية[1].

ثالثاً: إن أهم ما جاء القرآن الكريم من أجله هو العقائد والأحكام ومكارم الأخلاق. وآيات الإيمان بالله وبملائكته فهي واضحة يفهمها أي عربي لمجرد سماعها، كذلك آيات الأحكام كالبيع وتحريم الربا، والأخلاق كالعناية بالوالدين والفقراء والمساكين فهي واضحة أيضاً. فهي بمجلمها لم تكن صعبة الفهم على الصحابة.

أمّا الآيات التي تتحدث عن قصص السابقين والمظاهر الكونية، كذلك الآيات التي تتحدث عن بعض صفات الله تفصيلاً كالإستواء والوجه واليدين، وبعض الآيات التي جاءت غير واضحة ومحدّدة، مثل روح الله وكلمته والآيات التي تبدأ بالأحرف (ألم، ألر، ص) وغيرها من هذا النوع من الآيات هو ما نريد.

معرفة مدى بعض فهم الصحابة له، والقدر الثقافي الذي استقبلوا هذه الآيات به. وعلى هذا يتضح كيف أن الإسرائيليات لعبت دورر بارزاً في سد الفراغات والفجوات التي نشأت عن عدم فهم بعض الصحابة ووعيهم لمثل هذه الأنواع من الآيات.

---

(١) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٦٧. محمد حسين الذهبي.

ففي فترة نزول الآيات القرآنية، كانت أمة العرب أمية أشارإليها القرآن الكريم، فقد ورد في الآية **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[١]﴾**. وهذا يعني أن طريقة الكتابة والقراءة لم تكن منتشرة عندهم، لكن هذا لا يعني أنهم كانوا على جهل تام بأمور الحياة ومما يكتسب منها بالعمل والتجربة، فإننا نجد فارقاً شاسعاً بين عرب الجزيرة وباقي الأمم المنتشرة حولهم، فهم لم تسنح لهم نفس الفرصة التي أتيحت لجيرانهم من الفرس والروم في ذلك الوقت، كما قال رسول الله ﷺ (نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب)[٢].

وهذا الشأن نفسه لتاريخ الأمم قبلهم ممّا قصّه القرآن الكريم، فلم يكن لهم به معرفة سابقة، وقد أشار القرآن لذلك في عرض قصة نوح مع أهله وقومه **﴿تلك أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت وقومك من قبل فأصبر أن العاقبة للمتقين[٣]﴾**. كذلك دلّت على هذا المعنى سورة آل عمران[٤]، وهذا ما رمينا القول إلى أن البيئة العربية لم تكن على علم بتاريخ الأمم والرسل من قبل.

والقصص في القرآن الكريم واضحة فيما يتعلق بأخبار السلف ممن ليسوا أنبياء كقصة أهل الكهف، وذي القرنين.

فالناظر في التوراة والإنجيل يجد أنهما قد اشتملا على كثير مما ورد في القرآن الكريم، خاصة قصص الأنبياء، لكن هنالك اختلافاً في المنحى، فتارة ترى القرآن يعتمد على اللفظة ويكرّسها ولا يتعرض لحثيثيات وتفاصيل جزئية، فمثلاً لا يذكر تاريخ الوقائع ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها، كما أنه ولا يذكر أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث، إذاً فالقرآن يختار ما

---

(١) سورة الجمعة الآية ١٥٨.

(٢) صحيح البخاري (في كتاب الصوم).

(٣) سورة هود الآية ١٤٩.

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٤.

يمس جوهر الموضوع، أو ما يتعلق بموضوع العبرة[1]. فمثلاً قصة آدم وإبليس ورد ذكرها في التوراة كما ورد في القرآن في مواضع متعددة أطولها ما ورد في سورة البقرة والأعراف، ولم يتعرض القرآن لمكان الجنة ولا نوع الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته عن الإكل منها. ولم يبين أن الشيطان تقمّص حيّة ودخل الجنة لزّل آدم وإغوائه بالأكل من الشجرة، كما لم يتعرض للمكان الذي هبط فيه آدم وحواء إلى آخر القصة. بينما تعرضت التوراة إلى كل ما ورد فذكرت أن الجنة في عدن شرقاً وأن الجنة المنهى عنها كانت في وسط الجنة، وأن الحيّة هي التي خاطبت حواء، وما انتقم به الله من الحيّة بأن جعلها تسعى على بطنها وتأكل التراب، وما انتقم به الله من حواء تبعها هي ونسلها[2].

عملنا ليس مناقشة القصص المغرقة التفاصيل الواردة في الكتاب المقدس، لكننا نبتغي عما جاء في تفسير القصص القرآنية الزائدة عن مطلب القصة المقصودة في القرآن الكريم، كيف أتت وعن لسان من قيلت؟ هل أتت ناطقة عن لسان الرسول لأصحابه أم اكتفى الصحابة بالدلالة الظاهرة؟ دون أن يتابعوا التفاصيل الخفية التي تركها القرآن[3].

من طبيعة النفس البشرية حب الإستطلاع والإستيضاح، فبعد وفاة رسول الله ﷺ حاول البعض بعد وجودهم فراغاً سداده عن طريق بعض علماء اليهود الذين ظنّوهم علماء التوراة، ولا ننسى أن هنالك أشخاص من غير العرب دخلوا الإسلام، وهنا نقول أنه لم يكن الكثير ممن أدعّوا العلم علماء بل من النَقَلَة المحرفين الذين حرفوا وزادوا في أكثر من موضع، وأغلبية هذه الأقوال كانت مأخوذة عن اليهود الذين اسلموا أو ادّعوا الإسلام، ونالوا ثقة الصحابة والتابعين ويملكون كتباً قديمة تحدثهم عن قصص الأنبياء، حاضروا الإجابة دائماً يقولون

(١) بدع التفسير في الماضي والحاضر ص ٢٨. د. رمزي نعناعة.

(٢) العهد القديم ـ سفر التكوين ـ الإصحاح الأول ص ٤ ـ ٥.

(٣) مقالات في مجلة العربي العدد ١٢٧ ص ٦٥، العدد ١٢٥ ص ٢٣، عبد المنعم النمر.

في القرآن وغيره وتأخذ عنهم البرية أقوالهم دون سند أو وثيقة تثبت صحة قولهم، فتدخل هذه الأجوبة اليهودية بتفسير القرآن ويصبح لها أهميتها.

وأمتدت الألسنة على التفسير فحسب بل تعدّت إلى الحديث النبوي الشريف حتى راجت الأحاديث الموضوعة وكادت تطغى على الأحاديث الأصلية.

وقد شارك بعض المسلمين في ذلك عن حسن نية أحياناً لشد الناس إلى القرآن كالأحاديث التي تذكر مع تفسير كل سورة لبيان فضلها وثواب قارئها ترغيباً في قراءة القرآن، ثم ينسب ذلك إلى الرسول والصحابة[1].

وعملية تساهل بعض المفسرين والأخبار في نقل الروايات الدخيلة على الإسلام في كتبهم كانت السوق التي راجت فيها الإسرائيليات في كتب العلوم في التفسير والوعظ والتصوف الأخلاق وغيرها.

٢ ـ الإسرائيليات في الحديث والتاريخ

أ ـ النبوءات:

في مسائل الغيب يرى المستشرق فلوتن[2] أن الروح الشرقية تتأثر بكل ما له علاقة بالتنبؤ وكشف حجب الغيب عن المستقبل، ويذكر أن ابن خلدون قد أفرد في مقدمته فصلين لدراسة هذا الموضوع إذ يُعدُّ المؤرخ الشرقي الوحيد الذي أدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ في تاريخ الشرق، كما كان أول من نعى عليه وشهد ببطلانه.

ويذكر الطبري عن هذه التنبؤات ما ذكره هشام بن عبد الملك قبل مقتل زيد بن علي بأن الشاة ستذبح بالعراق كما تنبأ للحارث بن سريج بأنه سيموت تحت زيتونة أو شجرة غبراء، وقد تحققت تلك النبوة[3]. كما تنبأ اليهود بموت الحسين

(١) مجلة العربي، العدد ١٢٥ ص ٦٧.

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ١١٢. فان فلوتن ترجمة حسن أبراهيم حسن.

(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ ٢ ص ٨٤٦. الطبري.

بن علي بن أبي طالب بالقرب من كربلاء، وتنبأ ابن زوجة كعب الأخبار بموت عمرو بن سعيد[٣] (نفس مصدر الطبراني) جـ ٢ ص ٨٤٦.

تنبؤات القتل كانت من إختصاص اليهود أو النصارى الذين اعتنقوا الإسلام.

كما أنه توجد كتب للتكهن والتنبؤ بالغيب، وإن مثل هذه الكتب لم تكن معروفة عند العرب في بادىء الأمر، أنماوصلت إليهم عن طريق اليهود الذين كانوا يحتفظون بها منذ زمن بعيد، ومن بين هذه الكتب ما كان يعزوه مؤلفوها إلى بعض الأنبياء لتحوز شيئاً من ثقة الناس بها.

ومن الكتب التي يرجع إلى القرن الأول الهجري كتب دانيال، وفي هذا يذكر فان فلوتن[١] أن كتب دانيال سارت في الذيوع والإنتشار جنباً مع كتب الجفر التي اشتق أسمها من كتاب للتنبؤات كتب على جلد بعير (جفر) ويعزى هذا الكتاب إلى آل البيت وخاصة إلى الإمام علي ثم إلى حفيده الإمام جعفر بن منحمد الصادق.

وهناك تنبؤات بمصير العالم ونهايته، ترجع في أغلبيتها إن لم نقل كلّها إلى أصل يهودي أو نصراني، لكنها ما لبثت أن اصطبغت بالصبغة العربية في القرن الأول الهجري. وقد شاع هذا النوع من التنبؤات في الأمة الإسلامية عن طريق تلك الكتب، وعن طريق الأحاديث التي وضعها اليهود والنصارى ممن دخلوا الإسلام.

فلكعب الأحبار سالفة نبين منها الأصل الذي استمدت منه هذه المعلومات، فقد سافر كعب مع محمد بن أبي حذيفة في سفينة واحدة فسأله ابن أبي حذيفة ساخراً (هل هذا السفر مذكور عندكم في التوراة. ولكن كعباً لم يعط جواباً عن هذا السؤال وأجاب أني أجد عندنا في التوراة أن شاباً يضرب حتى يموت كما يموت الحمار وأخاف أن لا يكون أنت). [٢].

---

(١) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ١١٢. فان فلوتن ترجمة حسن أبراهين حسن.

(٢) نفس المصدر ص ١١٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ڤ، ص ٨٤٦ ـ الطبري.

وتنبؤ القرآن بمصير العالم المشهور، وأظهر ما يكون ذلك بقرب الساعة، إلاّ أنه لم يرد في القرآن شيء عن رجعة المسيح، وكذلك المسيح الدجال، ولا عن تلك الإضطرابات والفتن التي تسبق قيام الساعة، أما كتب السنة فقد أشارت إلى ذلك، ثم لم يلبث أن أصبح العلم بالغيب جزءاً من العقيدة الإسلامية عند بعضهم ولا سيما في عهد بني أمية.

أمّا بالنسبة إلى المسيح الدجال فإنه ورد في السنة اسم لرجل يهودي من أهل المدينة هو صاف بن صائد صرّح النبي بأنه هو الدجّال، ومن ثم نبذه المسلمون ولم يخالطه أحداً[(١)].

وذُكر أيضاً أن أحد اليهود من أهالي سوريا أخبر عمر بن الخطاب بأن الدجال سيخرج وأن العرب سيقتلونه على باب لد، ولما وصل المسلمون إلى مدينة نهاوند صاح الرهبان والقسس على الأسوار بأنه لا يفتحها إلاّ الدجال، أو قوم معهم الدجال، وقد دخل المسلمون المدينة ومعهم صاف بن صائد، ولما اختفى صاف في معركة الحَرّة عام ٦٣ هجرية ذلك الإختفاء الذي لا يزال الناس يعدونه سراً غامضاً تلمّس الناس خلفاً له. ولما كان الدجال أعور العين اليمنى، كان للعور من هذا النوع حظ كبير في ذلك المضمار، وذكر أن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع كان أعور العين اليمنى وقد أراد يوماً أن يمزح في حضرة هشام بن عبد الملك مع أمير الكوفة فقال أمير الكوفة (مولاي لولا ما أخاف من غضبة عليك وعليّ وعلى المسلمين لإجبته، قال وما تخاف من غضبه؟ قال بلغني أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها)[(٢)].

ب - أبرز من اشتهروا برواية الإسرائيليات في عهد الصحابة:

روى عن رسول الله ﷺ قوله (لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود).[(٣)]

---

(١) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ١١٩د فان فلوتن ترجمة حسن إبراهيم حسن.

(٢) العقد الفريد جـ ٢ ص ١٤٩ ابن عبد ربه.

(٣) البخاري جـ ٢ ص ٥١.

فلقد كان في مقدمة من أسلموا من العديد القليل عبدالله بن سلام وهومن بني قينقاع أعلن أسلامه أبان الهجرة، وعبدالله كان حبراً عالماً نبذه قومه عندما أسلم[1]. فالدكتور جواد علي[2] يقول أنه لا يمكن البتّ أن عبدالله بن سلام كان حبراً، وذلك لأن الدرجات إنما منحها بعض ذوي القلوب الطيبة من المسلمين لنفر ممن أسلم من يهود في أيام الرسول وبعده أمثال كعب الأخبار، وذلك لما رأوه فيهم وسمعوه منهم من أقوال نسبوها إلى الأنبياء، وإلى كتب الله القديمة، معتقدين اعتقاداً خاطئاً أن منح هؤلاء أمثال هذه النعوت مما يفيد الإسلام.

والجدير ذكره أن لابن سلام أقوالاً في كتب التفسير والحديث وبعضها في كتب التاريخ والأخبار، لبعضها طابع إسرائيلي، وهو طابع الأقاصيص، قد يكون هو صاحبها ومرجعها أو أنها لغيره، ونسبها إليه الأخباريون لأشتهاره أكثر من غيره ممن أسلم.

روى عنه ولداه يوسف ومحمد الحديث وكنى باسم ولده يوسف وعدّ يوسف من الصحابة. كذلك نورد أسماء بعض ممن أسلموا أمثال: يامين بن عمر بن كعب النظري ويامين بن يامين الأسرائيلي، ولم يعرف عنهما رواية الحديث أو الإسرائيليات.

أما يهود اليمن فلم يظهر من بينهم من عرف برواية الأسرائيليات سوى رجلين هما كعب الأحبار ووهب بن منبه، فأما كعب فقد أدرك زمن رسول الله ﷺ غير أنه لم يره، ولم يدخل في الإسلام إلاّ في أيام أبي بكر أو عمر[3].

يقول ابن سعد[4] أن ما ذكر عن كعب قد يكون غير صادر من فمه، إذ يجوز أن يكون من رواية أناس آخرين ثم حمل على كعب.

---

(١) السيرة. جـ ص ١٣٧ ابن هشام.
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ١٦٦. د. جواد علي.
(٣) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٨٧. ابن سعد.
(٤) الطبقات الكبرى، جـ ٦ ص ١٧١. ابن سعد.

كان المسلمون زمن الصحابة يرجعون إلى من أسلم من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وكعب الأحبار يسألونهم، ولكن بقدر ما يرون أنه موضح للقصة، فقد قال رسول الله ﷺ (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليبوء مقعده في النار)[1]. وقوله ﷺ (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)[2].

أخذ الصحابة عن أهل الكتاب فيما اتفق مع الشريعة، كانوا يكذبوهم فيما لا يتفق معها، ويتوقفون على ما يحتمل الصدق أو الكذب. كثرت الروايات الأسرائيلية في التفسير، وقد ظهر جماعة من المفسرين حشوا التفسير بكثر من القصص المتناقضة، ويرجع ذلك إلى كثرة الداخلين من أهل الكتاب في الإسلام، أضف إلى أن الكثير قد أصيب بنوع من الشغف بنقل الأخبار التي يعد الكثير منها أقرب إلى الخرافة من الحقيقة.

والدليل الهزيل واضح في تفسيرات العهود المتأخرة بسبب تأثرهم برواية الأسرائيليات مما أورده الخازن، والثعالبي في تفسيرهما.

لبعض القصص، وهذه نماذج من تفسير الثعالبي لإثبات مدى سيطرة الخرافة والأساطير في نهج التفسير، فحينما عرض الثعلبي تفسيراً لقوله الله تعالى في سورة الكهف ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف**﴾، روى عن السدي ووهب بن منبه وغيرها رواية طويلة فيها ذكر أسماء هؤلاء الفتية واسم كلبهم، وفيها حوار غريب بين الكلب والفتية حين تبعهم فحاولوا رده. وأغرب ما فيها أن الرسول محمد ﷺ طلب من ربه أن يريه أصحاب الكهف فأجابه بأنه لن يراهم في دار الدنيا وأمره أن يرسل إليهم أربعة من خيار أصحابه ليبلغوهم رسالته[3].

يروي الثعالبي هذه الرسالة فيقول عن رواية السدي ووهب بن منبه وغيرهما

(١) البخاري (في باب ما ذكر عن بني إسرائيل).

(٢) البخاري ـ كتاب التفسير.

(٣) بدع التفاسير في الماضي والحاضر ص ٣٢. د. رمزي نعناعة.

(وأسماؤهم يريد الفتية مكشلمينا وهو رئيسهم وأملينحا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم، ومرطوش ونسوانس وكيد وسصطنوس وكلبهم قطمير) ثم قال: قال كعب مروا بكلبهم فتبعهم فطردوه مراراً فقام الكلب على رجليه رافعاً يديه إلى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال: لا تخافوا مني أنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم، ثم ذكر من قصتهم ما ذكر إلى أن قال: وقيل أن النبي سأل الله أن يريه إياهم فقال: إنك لن تراهم في الدنيا، ولكن أذهب إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان، فقال النبي لجبريل كيف أبعثهم؟.

أبسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الآخر عمر، وعلى الثالث عثمان. وعلى الرابع علي بن أبي طالب ثم أدع الريح الرخاء المسخرة لسليمان فإن الله يأمرها أن تطيعك، ففعل فحملتهم الريح إلى باب الكهف، فقلعوا منه حجراً فحمل الكلب عليهم، فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بعينيه وأومأ برأسه أن أدخلوا، فدخلوا الكهف وطرحوا السلام وقالوا: معشر الفتية، إن النبي محمد بن عبدالله يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم ما أبلغتم، وقبلوا دينه وأسلموا، ثم قالوا: أقرئوا محمد رسول الله عنا السلام وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم[1].

رواية، ضرب من الخيال، لا أساس لها من الصحة، فكيف للثعالبي أن لا يكذب مثل هذه الأسطورة؟ فهي الدليل إلى المصير الذي وصل إليه المفسرين للقرآن الكريم. كل ذلك بسبب الروايات الإسرائيلية.

وعلى هذا وجب على جميع المفسرين والعلماء المسلمين تصفية كتب التفسير التي تعتبر مرجعاً للأمة الإسلامية من الأساطير والخرافات الإسرائيلية التي تبعد شعبنا عن صدق وصحية الهدف الإسلامي السامي للإنسان الإفضل في المعتقد والمعاملة.

---

(١) بدع التفاسير في الماضي والحاضر ص ٣٥. د. رمزي نعناعة.

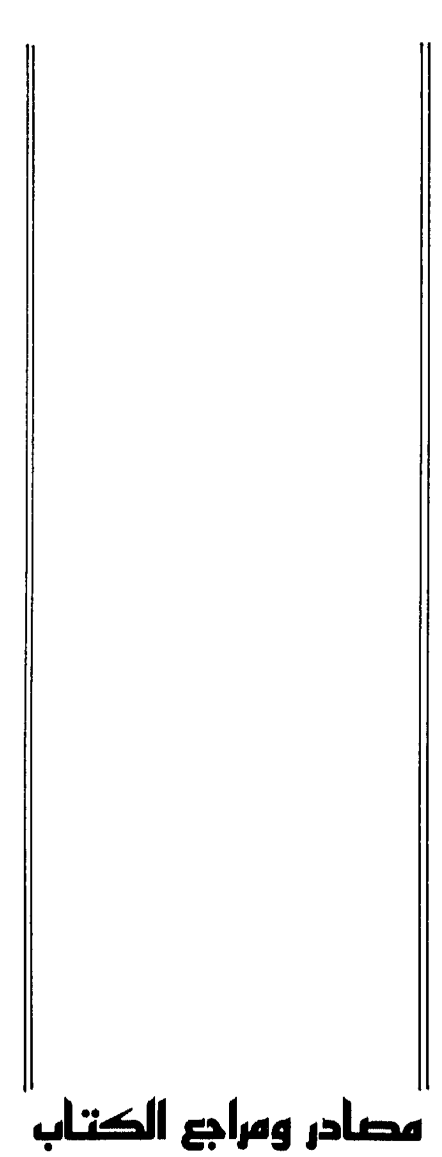
* كلمة أخيرة علّ فيها النفع لأهل النفع

من بداية هجرة رسول الله ﷺ، واليهود يكيدون العداء خلف العداء ويؤلبون مشركي قريش وغطفان وغيرهم من البطون اليهودية القريبة والبعيدة ضد حبيب الله محمد ﷺ حتى وصلت الدناءة والرذيلة على عهدها بهم إلى عصرنا الحاضر، عدا عن اغتصاب الأرض العربية إلى التفكير جدياً في تدمير الأماكن المقدسة.

فهاك بن يخت صحفي يهودي ينشر مقالاً في صحيفة التايمز اللندنية حول قيام دولة إسرائيل فيقول: «عندما تصبح لنا معشر اليهود السيطرة الكاملة على العقبة وخليجها، فإننا سوف نستطيع مهاجمة الحجاز وتدمير الأماكن المقدسة الخرافية في مكة والمدينة».

وفي عام ١٩٦٧ (أيام الحرب) اعتدى اليهود على مكان البراق الشريف، ودنسوا ساحة المسجد الأقصى المبارك، حيث أقاموا حفلاً صاخباً في ملهى تزعمه دفيد بن غوريون الذي ختم الحفل بقوله خاطباً: «لقد أستولينا على القدس واستعدناها ونحن اليوم في طريقنا إلى يثرب؟

و........؟!



مصادر ومراجع الكتاب

١ ـ المصادر العربية القديمة
حسب الترتيب الأبجدي

ـ القرآن الكريم.

ـ العهد القديم من الكتاب المقدس (التوراة).

ـ ابن الأثير، علي بن أحمد بن الكـرم (٦٣٠ هـ).

ـ الكامل في التاريخ، ١٢ جزءاً، القاهرة، المطبعة المنيرية (٣٥) هجرية.

ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن.

ـ الأغاني ٢١ جزء، دار الكتاب ١٩٥٥.

ـ الأصمعي، أبي سعيد عبد الملك بن قريب (٢١٦ هـ).

ـ أخبار الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ميلادية.

ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ).

ـ فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع القاهرة، المكتبـة التجاريـة ١٩٥٩ ميلادية.

ـ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦ هجرية).

صحيح البخاري ٤ أجزاء، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصـر، الطبعـة الأخيرة ١٩٥٣.

ـ البكري، حسن بن محمد بن الحسن (٩٦٦ هجرية).

- تاريخ الخميس، جزءان، القاهرة (١٨٢٣).
- ابن القيم الجوزية (٦٩١ هجرية)٨
- زاد المعاد في هدى خير العباد، ٣ أجزاء المطبعة المصرية ١٩٥٤ ميلادية.
- الجمحي، محمد بن سلام (٢٣١ هجرية).
- طبقات الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر طبعة أولى، دار المعارف بمصر.
- الحلبي، علي برهان الدين إبراهيم (١٠٤٤ هجرية).
- أنساب العيون في سيرة الأمين والمأمون ٣ أجزاء، مطبعة علي صبيح بمصر ١٣٢٠ هجرية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر (٨٠٨ هجرية).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء القاهرة، ١٣٨٤.
- سابا، عيسى
- شعر السمؤال بن عاديا (تحقيق وشرح) بيروت ١٩٥١.
- السمهوري، أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد (٩١١ هجرية).
وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، مطبعة الآداب بمصر، القاهرة ١٢١٦ هجرية.
- ابن سعد، محمد (٢٣٠ هجرية).
- كتاب الطبقات الكبرى ٨ أجزاء، القاهرة ٩٥٦.
- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد (٣٤٩ هجرية).
- العقد الفريد ٣ أجزاء القاهرة ١٩٢٨.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هجرية).

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠ ميلادية.
- أبو الفداء، إسماعيل بن عماد الدين.

- المختصر في تاريخ البشر، ٤ أجزاء القاهرة ١٣٥١ هـ.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (٧٧٤ هجرية).

- البداية والنهاية ٤ أجزاء، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (٣٤٦ هجرية).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة المكتبة التجارية - الطبعة الثالثة، ١٩٥٨.
- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (٢٦١ هـ).

- صحيح مسلم ٨ أجزاء مطبعة محمد علي صبيح القاهرة.
- المقريزي، تقي الدين أبو محمد أحمد بن علي (٨٤٥ هجرية).

- أمتاع الأسماع، المطبعة الحيدرية بالنجف بالطبقة الثانية ١٩٥٤.
- ابن هشام، محمد بن عبد الملك (٢١٧ هجرية).

- السيرة النبوية ٤ أجزاء تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٦.
- الواقدي، محمد بن عمر (٢٠٧ هجرية).

- كتاب المغازي والسير، طبعة أولى مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٦.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (٢٨٠ هجرية).

- تاريخ اليعقوبي جزءان، دار صادر بيروت ١٩٦٠ ميلادية.

المراجع العربية الحديثة

- إسرائيل والتلمود، الطبع الثانية، القاهرة ١٩٦٠ .

- أندراوس، الأب إلياس .

- هل لليهود حق بإنشاء دولة خاصة بهم في فلسطين .

- الجبوري، يحيى .

- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ط ١ مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٤ .

- د. جواد، علي .

- تاريخ العرب قبل الإسلام ٦ أجزاء، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٢ م .

- الخضري الشيخ محمد .

- تاريخ الأمم الإسلامية، جزءان، القاهرة، المكتبة التجارية الطبعة الثامنة سنة ١٣٨٥ هجرية .

- حسن، حسن إبراهيم .

- تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني، طبعة رابعة ٩٥٧ م . مكتبة النهضة المصرية .

- الذهبي، محمد حسين .

- التفسير والمفسرون، جزءان، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٦ ميلادية .

- زيدان، جرجي.

- العرب قبل الإسلام، القاهرة ١٩٢٢، الطبعة الأولى.

- سرور، محمد جمال الدين.

- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي ١٩٥٢.

- شلبي، أحمد.

- مقارنة الأديان/ اليهودية/ مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.

- التاريخ الإسلامي العام والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٥٨.

- طربين، د. أحمد

- فلسطين محاضرات في التاريخ السياسي، معهد البحوث والدراسات العربية، الجامعة العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٨.

- طعمة، صابر.

- الصهيونية في التاريخ، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٨ م.

- العش، د. يوسف.

- تاريخ الفرق والأديان، طبع جامعة دمشق ١٩٦٤ ميلادية.

- عرب، ندوة القانونيين العرب.

- القضية/ مؤسسات الدراسات الفلسطينية/ الجزائر، ١٩٦٨ ميلادية.

- مظهر، سليمان.

- قصه العقائد بين الأرض والسماء دار النهضبة بمصر ١٩٥٨.

- نعناعة، د. زمزي.

- بدع التفاسير في الماضي والحاضر، وزارة الأوقاف، الطبقة الأولى، عمان ١٩٧٠.

- هيكل، محمد حسنين.
- حياة محمد، الطبعة الخامس، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٢ .
- ولفنسون، د. إسرئيل
- تاريخ اليهود في بلاد العرب والقاهرة ١٩٢٧ .

مراجع حديثة مترجمة

- بريستد، جيمس هنري .

- تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ترجمة د. حسن كمال، المصبعة الأميرية بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٩٢٩ .

- توبني ، أرنولد.

- فلسطين جريمة ودفاع ، تعربي عمر الديراوي ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٦ ميلادية .

- جرونباوم ، جوستاف .

- حضارة الإسلام ، الترجمة العربي ، مجموعة الألف كتاب .

- ديورانت ، ول .

- قصة الحضارة ٨ أجزاء، ترجمة محمد بدران، مطبعة نخبة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٨ .

- درمنغم ، إميل .

- حياة محمد، ترجمة عن الفرنسية عادل زعيتر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٣ م .

- روهلينج .

- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة عن الفرنسية عمر أبو النصر، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٦٨ ميلادية .

- فلوتن، فان.

- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد أمية، ترجمة عن الفرنسية حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٢٣.

- لوبون، غوستاف

- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر ١٩٤٨ م.

- لورا، جاك دومال.

- التحدي الصهيوني، ترجمة نزيه الحكيم، الطبعة الأولى ١٩٥٤ م.

- مرولي، جاك.

المراجع اجنبية

— Encyclapedia, Britannica vol 12. by a Socety of Gentlemen
in scotland.

Charles Jeffeson.

— The Encyclopedia Americana. Americana Corporation vol: 16
New york 1962.

— Friedrich; herz.

— Race and civilisation.

— Graetez; Heinrich—

— Hisgory of the jews vol: 111.

— The jewish publication Society of America.

— Margoluth.

— The relation between Arabs and isralites prion to hte rise of islam.

— Muhammad and the Rise of islam

— Mohammad and the Rise of islam 3 **rd**. ed. london 1923.

— Nicholson; Reynold.

— literary History of the Arabs. cambridge 1930.

— Watt; Montgomery.

— Muhammad prophet and statesman. oxford — university press.

— The universal jewish Encyclopedia vol 8.

فهرس محتويات الكتاب

هـذا الكتاب

ان الكثير من المستشرقين الذين اثاروا وكتبوا عن اليهود في علاقاتهم مع العرب ، لم يكملوا جهودهم بتناول كافة المواضيع التي تكشف كافة الجوانب الموضوعية التي تعيشها امتنا في عصرنا هذا .

مما حدا بي ان هممت باعتمادي اقوى المصادر والمراجع في شكل يسمح بتسليط الضوء المنير على اعتبارات وحقائق يلتمس منها كل عربي كيفية هذه العلاقة منذ ان سقطت القدس بيد الرومان وابعدت القبائل اليهودية وتوزعت على الجزيرة العربية وما نكثت من العهود والمواثيق مع الأمة الاسلامية سعياً لتفنيد وجدانيتهم دون سائر الأمم .

فاعتمدنا الشمولية والموضوعية باحثين ومنقبين ومحلّلين لجميع المعلومات ، محاورين ومناقشين آراء المستشرقين والرد عليها قياماً بواجبنا كمسلمين وعرب ، الأمر الذي يجب ان يجري عليه كلّ في اتجاهه المقصود والذي يصبّ أخيراً في كشف تحريف الصهيونية لنشأتها وصراعاتها ، كحقيقة نقدمها بيّنة تاريخية علّنا نضع فيها النقاط على الحروف .

فؤاد مزنر